وصف هند ابن أبى هالة – رضى الله عنه وأرضاه –
لسيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

دراسة بلاغية

إلى الله عز وجل حباً وشوقاً

إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه حباً وشوقاً

إلى أهـل الله حباً وشوقاً

إلى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وصحبـه وسلم حباً وشوقاً

إعـداد

د / منى محمد على عيد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

"وبه نستعين"

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، رفع السماء بلا عمد، ودحى الأرض على ماء فجمد، الرحمن الرحيم، الذى هدانا – عز وجل – لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله – سبحانه – الحمد لله الذى تتم به الصالحات والنعمة، والمنّة، والثناء الحسن الجميل، والشكر له سبحانه على ما أنعم به علينا من غير حول منا ولا قوة قال تعالى:﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ (١).

الحمد لله الذى جعلنا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأصلى وأسلم على الهادى الأمين منقذ الأمة، وكاشف الغمة صاحب الشفاعة العظمى والرسالة الكبرى، الحبيب المحبوب، الشفيع المشفع الرؤوف الرحيم من نزل عليه الذكر الحكيم المعجزة الخالدة الباقية بلسان عربى مبين، أعجز كل الخلائق فهم ما أودع فيه من أسرار ونلك بمحبة الله – عز وجل – لرسوله المختار صلى الله عليه وسلم – أفصح وأبين وأكمل وأجمل وأبدع، وأخلص، وأشرف، وأكرم خلق الله أجمعين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٢). فقد حباه الله مجامع الكلم، وبحور العلوم والمعرفة قال صلى الله عليه وسلم [أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش] (٣).

وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار مصابيح الهدى من ساروا على النهج القويم، عانوا وضحوا وتفانوا من أجل إعلاء كلمة الحق من تصدوا

---

(١) سورة النحل آية: ١٨.

(٢) سورة الحجر آية: ٩.

(٣) ذكر العجلونى فى كشف الخفاء ومزيل الألباس فيما اشتهر على ألسنة الناس ٢٧٢/١.

للباطل بأنواعه فى كل بقاعه، أخلصوا لله فتم إعلاء كلمة الدين فى كل العالم قال تعالى: ﴿ إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[1]. وحين عزمت بحمد الله وحوله وقوته ومشيئته سبحانه أن أكتب فى بحث وفقنى السميع العليم لدراسة أوصاف رسول الله بلاغياً وهو حديث من أعظم الأحاديث التى وردت إلينا وذلك لما يشتمل عليه من شمائل محمدية فيها كل الكمال، وذلك لاشتياقى وجميع المؤمنين الموحدين المحبين. وتعطش أرواحنا وقلوبنا وعقولنا ووجداننا وجميع بدننا لرؤيا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم – يقظة ومناما، فتوكلت على الله وحده لدراسة أوصاف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم – دراسة بلاغية قوامها استخراج درر المعانى، ولآلئ الوصف، ومسلك الألطاف وذلك لبيان الإعجاز الخَلقى الذى تتيه فيه العقول وتهيم فيه القلوب والأرواح فكل المحبين اقتداء بسيدنا الإمام الحسن بن على – رضى الله عنهما – يتشوقوا لمعرفة شيئا من حلية سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حبا وشوقا وتهيما ويعلم الله ذلك. قال ابن اسحاق وكذا عباس بن مرداس:-

يا خاتم الأنبياء إنك مرسل ... بالحق كل هدى السبيل هداكا

إن الإله بنى عليك محبة ... فى خلقه ومحمدا سماكا[2]

فلسيدنا – رسول الله صلى الله عليه وسلم – الكمال المطلق الخَلقى والخُلقى ففى كل وصف معجزة وآية تحار فيها العقول، وتسبح فيها الأفكار كل وصف إعجاز من إعجاز الله تعالى لا يتعداه إلى غيره، وكأنما كل وصف خلق لأجله وحده صلى الله عليه وسلم – فسبحان الله العظيم الذى جعل لسيدنا رسول الله كمال الأولين والآخرين، أرحم قلب فى الأمة صاحب

---

(١) سورة التوبة آية: ٤٠.

(٢) ينظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/٧٧.

تواضع تحار فيه الألباب، مع علو قدر، وحب إلهى تفرد به دون غيره، حقا إنه عظيم الآباء والأجداد صاحب لواء الحمد يوم القيامة، ومهما كتبت القلوب لن تستطيع الأقلام الوصول للحقيقة الكلية التى يعلمها فقط رب البرية، الذى أودع فيمن يحب كمال الخليقة الإنسانية، والحقيقة الأزلية لنور الله المبين الذى تفرح بأوصافه الجليلة الجلية الأملاك العلوية وجميع البشرية وكل من كان محباً لخير البرية من تفرد بالرسالة الختامية، من أتى بالحقيقة التى فيها التعميم المقيم الذى لا يزول إن شاء الله ولا يحول من سما فوق معانى الإنسانية. فما كان من خير فمن الله وحده لا شريك له ببركة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم – وما كان فيه من تقصير فمن نفسى قال تعالى: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[1]. واستغفر الله العظيم، فحسبى الاجتهاد، وأدعوا الله العظيم رب العرش العظيم أن يكون هذا العمل الخاص بأكمل خلق الله تعالى وأحبهم لله سبحانه من اصطفاه سبحانه لنفسه وحباه بالنعيم الأزلى، فالله أرجو أن يكون خالصاً لوجهه الكريم – سبحانه – ببركة خير المرسلين المبعوث رحمة للعالمين بلسان عربى مبين، وآله الأطهار الغر الميامين وصحابته من ساروا على النهج القويم، داعية الله عز وجل – أن يجمعنا وكل المحبين لأحب الخلق أجمعين إن شاء الله فى مرافقة إمام الأنبياء والمرسلين فى أعلى عليين، وأن يرضى الله عنا بهم إن شاء الله رب العالمين. قال تعالى: ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾[2].

وقد وفقنى سبحانه السميع العليم للكتابة فى حلية إمام الأنبياء والمرسلين وذلك لما يأتى:

---

(١) سورة يوسف آية: ٥٣.

(٢) سورة هود آية: ٧٣.

(١) إن دراسة السيرة النبوية تجسد الحقيقة الإسلامية كاملة في مثلنا الأعلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) معرفة الحلية الحقيقية لأعظم خلق الله جميعاً، الذى سمى فوق البشرية بكل المعانى العرفانية أعظم العظماء منذ بدء الخلق إلى يوم الدين. فبحق لم يعرف التاريخ كله من هو مثله فى كل الأوصاف الخَلقية والخُلقية.

(٣) لاشتياق المشتاقون لمعرفة بعض أوصاف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للوصول إلى الحقيقة الإيمانية لصاحب المعجزة الخالدة على مر الزمان.

(٤) إن التطبيق والدراسة للشمائل البهية بلاغياً قدّوة للإنسانية ومعجزة إلهية خالدة لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[1].

(٥) إن من زاق عرف ومن عرف هام وتتيم فى حب الذات المحمدية الموصلة لحب الذات العليّة وذلك بمعرفة آيات الإعجاز الخُلقية.

(٦) كما أنه لابد من إحياء تراثنا الخالد الذى يذخر بكل الخير وأهم وأول، وأنفع، وأتم، وأجل ما فى التراث معرفة حليّة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٧) من أهداف البلاغة العربية السامية إبراز عناصر الإعجاز فى السنة النبوية من جهة ما خص به الله تعالى سيدنا رسولا الله صلى الله عليه وسلم – من لسان عربى مبين نزل عليه التنزيل لخير البشر أجمعين دنيا ودين.

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٢١، وينظر فقه السيرة ص ١٧.

وقد جعلت البحث على قسمين:

القسم الأول من البحث الشريف يشمل الدراسة وقد جعلتها من تمهيد وفصلين، الفصل الأول أسماء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكناه وألقابه والتعريف بالسنة النبوية وكيف تطورت وكتبت وعلاقته – صلى الله عليه وسلم – بالدعوات السماوية السالفة خلقه وبلاغته – صلى الله عليه وسلم.

القسم الثانى: يشمل الدراسة البلاغية للحديث الشريف فى ضوء القرآن الكريم والسنة، وبيان ما فيه من معان إبداعية بلاغية وجواهر لفظية ومعنوية، وكمالات محمدية، وآيات كونية، وأوصاف لها خصوصية، وعظات إيمانية، ووقفات هيام روحية لنسبح معنا فى حب الحبيب الرؤوف الرحيم ذا القلب الذى وسع كل البشرية وجعلت للبحث خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها بقدرة الحى القيوم. والله أسأل أن يتقبل منا إنه سميع مجيب الدعاء، وأن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم والحمد والشكر لله سبحانه نعم المولى ونعم النصير قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[1].

صدق الله العظيم

أ.م.د/ منى محمد على عيد

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٨٦.

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على قرة العيون، الجوهر المكنون وعلى آله وصحبه أجمعين. إن ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه فهى لم تكن من الوحى ولكنها جاءت من سبيله[1] فيجب اتباع السنة النبوية والعمل بها فكما حُفظ القرآن الكريم المعجزة الباقية التى بهرت أرباب الفصاحة والبيان والبراعة فكذا إن شاء الله السنة النبوية الشريفة لقوله تعالى:﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[2]. ففى كل حديث عظة وعبرة، آية، ومعجزة، حكمة، وهداية، وتبصرة، ترغيباً، وترهيباً فنذكر فى عجالة نبذة عن علم الحديث والتى تفيد فى بحثنا هذا إن شاء الله تعالى. الأول: علم الحديث رواية ويشمل أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله وروايتها وضبطها. الثانى: علم الحديث دراية وهو علم المصطلح علم بقوانين يعرف بها أحوال السند.

والسند حكاية رجال الحديث الذين رووه عن بعضهم والمتن ما ينتهى إليه السند من الكلام المنقول بالسند والخبر مرادف للحديث، والحديث ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم والخبر ما جاء عن غيره، لذا يقال لمن يشتغل بالتواريخ الإخبارى ولمن يشتغل بالسنة المحدث[3].

أما نسق البلاغة النبوية: فنحن نعلم تمام العلم بأن أسلوب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم – منفرد بلاغة نسقاً وبياناً، مسددا للفظ، محكما للوضع، جزل التركيب، متناسب الأجزاء فى تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه، واللفظ وضريبة فى التأليف

---

(١) البلاغة النبوية – لمصطفى صادق الرافعى ٤١ (بتعرف).

(٢) سورة النجم الآيات: ٣، ٤.

(٣) نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر ص ٣٧ بالهامش.

والنسق، ثم لا ترى حرفاً مضطرباً، ولا لفظة مستدعاه لمعناها ولا مستكرهة عليه، ولا كلمة غيرها أتم منها آداءً للمعنى، وتأتيا لسِّره في الاستعمال، حسن المعرض، بين الجملة واضح التفصيل، ظاهر الحدود، جيد الرصف، متمكن المعنى، واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان لا نرى فيه إحالة ولا استكراهاً، ولا إضطراباً، ولا خطل، ولا استعانة من عجز، ولا توسعا عن ضيق، ولا ضعفا في وجه من الوجوه، مع سمو المعنى، فصل الخطاب، وكلمة القول، ودنو المأخذ، وإصابة السر، وفضل التصرف في كل طبقة من الكلام ومذهبه صلى الله عليه وسلم في الإفصاح، ومنحاه في التعبير مما خُص به دون الفصحاء، وكان له خاصة من عظمة النفس، وكمال العقل، وثقوب الذهن، ومن المنزعة الجيدة، واللسان المتمكن، فهو نسقا من البلاغة في مثول أغراضه، وتساوق معانيه لبليغ من البلغاء إذ يجمع الخالص من سر اللغة ومن البيان ومن الحكمة بعضها إلى بعض، أما اللغة فهي لغة الواضع بالفطرة القوية المستحكمة، والمتصرف معها بالإحاطة والاستيعاب والبيان، بيان أفصح الناس نشأة وأقواهم مذهبا، وأبلغهم من الذكاء والإلهام، أما الحكمة فهي حكمة النبوة، وتبصير الوحي وتأديب الله، وأمر في الإنسان فوق الإنسانية وأين من ذلك الفصحاء والبلغاء وأنى لهم!؟ [1]. قال تعال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[2].

والحديث الشريف بما فيه من أوصاف جليلة القدر لا يعلمها حق العلم غير الله سبحانه وتعالى – فقد روى هذا الحديث عن حليَّة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم – هند بن أبي هالة – رضي الله عنه وأرضاه – ربيب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم – فقد تربى في بيت النبوة في كنف

---

(١) البلاغة النبوية ص ٧١ : ٨٢ (بتصرف).

(٢) سورة المائدة آية: ١٥.

خير خلق الله كلهم، وأمه أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد – رضى الله عنها وأرضاها – التى تحلت بالصفات الطيبة، التى لا توجد فى كثير من بيوت مكة المستكبرة المتعالية بالحسب والنسب والكثرة والغنى، وإمتاز خويلد أبوها بين قريش بالسيادة والأمر والنهى[1].

وسيدنا هند بن أبى هالة خال سيدنا الإمام الحسن بن على رضى الله عنهما. فقتل فى موقعه الجمل، وكان مع سيدنا الإمام على كرم الله وجهه ورضى الله عنه وأرضاه[2].

---

(١) نموذج للمرأة المسلمة السيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها تأليف أحمد محمد صقر ص ٥ سنة ٢٠٠٣م.

(٢) شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ١ / ١٢ ، البخارى ٢ / ٢١.

الفصل الأول

الحبيب المحبوب فى القرآن الكريم

صلى الله عليه وسلم

شَرَفْت الأمة الإسلامية جميعها، وعظمت من الله تعالى عز وجل وما كان ذلك إلا لأجل أكرم الخلق أجمعين، وذلك لانتسابنا إلى المشرف المكرم فكان تكريما للأمة جميعا حبا من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لرب العباد، وحبا من الله تعالى لخاتم الأنبياء والمرسلين الصادق الوعد الأمين، فأى شرف يكون، وأى تكريم، وأى خير، وأى حب، وأى تعظيم إنه من الله، أعظم من كل عظيم للكريم بن الكريم بن الكريم إلى أن يصل إلى سيدنا إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وإلى سيدنا آدم عليه السلام، وما كان القرآن الكريم من البشير إلا لهداية الناس أجمعين.

وقد ذكر الله سبحانه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم – باسمه الشريف محمد صلى الله عليه وسلم – فى أربع مواضع فى القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[2]. قال تعالى: ﴿ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٤٤.

(٢) سورة الأحزاب آية: ٤٠.

(٣) سورة محمد آية: ١.

عَظِيماً﴾[1]. ومن أسمائه الأخرى – صلى الله عليه وسلم – وهى كثيرة. قال تعالى: ﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[2]. وكذلك ﴿ طَهَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾[3]. وكذلك ﴿ يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[4].

– وقد فضل سبحانه بلده صلى الله عليه وسلم التى نشأ فيها وسمى سورة فى القرآن باسم البلدة تكريما لأكرم وأعظم البشر قال تعالى : ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾[5].

– وفضل عصره سبحانه قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[6].

– وكرم الله سبحانه أمته صلى الله عليه وسلم – وجعلها خير أمة أخرجت للناس جميعاً تكريما وتشريفا وتعظيما لمقامه السامى ومنزلته الرفيعة قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[7].

– كرم نسائه صلوات الله وسلامه عليهن وفضلهن على نساء العالمين وجعلهن أمهات المؤمنين قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾[8].

– وكرم أهل بيته صلى الله عليه وسلم وطهرهم وأعلى مقامهم إكراماً لذاته الشريفة ومكانته العالية عند رب العزة وأمر المؤمنين ببرهم ومودتهم وفاء لمقامه العظيم ورسالته الباقية قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

---

(١) سورة الفتح آية: ٢٩

(٢) سورة الصف آية: ٦.

(٣) سورة طه الآيات: ١، ٢.

(٤) سورة يس من آية ١: ٣.

(٥) سورة البلد من آية ١: ٢.

(٦) سورة العصر من آية ١: ٣.

(٧) سورة آل عمران آية: ١١٠.

(٨) سورة الأحزاب آية: ٦.

عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[2].

- وكرم أصحابه- صلى الله عليه وسلم - وفضلهم تفضيلا عظيما وذكرهم فى التوراة والإنجيل تكريما لصحبتهم لسيد العالمين أحب الخلق أجمعين قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾[3]. قال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾[4].

- وكرم صوته - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾[5]. قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[6].

- وكرم يديه الشريفة قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[7].

- وطهر بصره صلوات الله وسلامه عليه وحفظه من الزيغ والطغيان وأنه بصر مطهر محفوظ بالعناية الإلهية العين التى ذاقت لذة النظر إلى وجه الله الكريم فامتلأت بالأنوار الإلهية فأضاءت بهداها كل العوالم العلوية

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٣٣.

(٢) سورة الشورى آية: ٢٣.

(٣) سورة الفتح آية: ٢٩.

(٤) سورة التوبة آية: ٤٠.

(٥) سورة الحجرات آية: ٢.

(٦) سورة النجم آية: ٣.

(٧) سورة مريم آية: ٧٩.

والسفلية كل مخلوقات الله جميعا قال تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[1].
قال تعالى: ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[2].

- وطهر فؤاده - صلى الله عليه وسلم - وكرمه تكريما عظيما قال تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [3].

- وكرم وجهه الكريم - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾[4].

- وقد ذكر صدره الشريف - صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم؛ وأن الله شرحه تكريما وتشريفا لمقامه العظيم قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[5].

- وذكر رؤياه الصادقة بدخول المسجد الحرام قال تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾[6].

- وفضل عقله - صلى الله عليه وسلم - وحفظه من الضلال والزيغ قال تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[7]، وذكر دثاره - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [8]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ [9].

---

(١) سورة الحجر آية: ١٧.
(٢) سورة طه آية: ١٣١.
(٣) سورة النجم آية: ١١.
(٤) سورة البقرة آية: ١٤٤.
(٥) سورة الإنشراح آية: ١.
(٦) سورة الفتح آية: ٢٧.
(٧) سورة النجم آية: ٢.
(٨) سورة المزمل آية: ١، ٢.
(٩) سورة المدثر آية: ١.

- وذكر حجراته - صلى الله عليه وسلم - التى كان يسكن فيها، وجعل سورتها فى القرآن الكريم باسمها، وأدب الذين ينادونه من وراء الحجرات قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ (١).

- وقد سماه سبحانه بأسماء من أسمائه قال تعالى: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾(٢). وسماه العزيز الرحيم نورا قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾(٣). وسماه العزيز الرحيم سراجا منيرا قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ (٤).

- وجعل رسالته رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾(٥). قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾(٦).

- ومنحه - سبحانه - الفتح والمغفرة والهداية والنصر ابتداء قال تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾(٧).

- واختصه الله - سبحانه - بالعناية والرعاية الخاصة قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾(٨).

---

(١) سورة الحجرات آية: ٤.

(٢) سورة التوبة آية: ١٢٨.

(٣) سورة المائدة آية: ١٥.

(٤) سورة الأحزاب آية: ٤٥ ، ٤٦.

(٥) سورة الأنبياء آية: ١٠٧.

(٦) سورة آل عمران آية: ١٦٤ وينظر سبيل الوصول بمحبة الرسول ص ص ٢٥: ٣٠.

(٧) سورة الفتح الآيات ١ : ٣.

(٨) سورة الطور آية: ٤٨.

- وقد عصمه الله سبحانه من الناس والدفاع عنه قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[1]. إن مبغضه - صلى الله عليه وسلم - مقطوع قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾[2].

- وقد أعطاه الله السبع المثانى والقرآن العظيم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[3].

- وقد أعطاه الله الكوثر قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[4].

- وقد أعطاه الله الشفاعة العظمى والمقام المحمود قال تعالى:﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾[5]، بل وأعطاه الله حتى يرضى قال تعالى:﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[6]. فقال صلى الله عليه وسلم الرؤوف الرحيم إذن لا أرض قط وواحد من أمتى فى النار.

- وآراه آياته الكبرى قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[7].

- وأقسم الله بحياته صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[8].

- وأقسم سبحانه على إنعامه عليه صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[9] - وأقسم سبحانه على ما خصه به من الخلق العظيم وما حباه من الفضل العميم قال تعالى:

---

(١) سورة المائدة آية: ٦٧.

(٢) سورة الكوثر آية: ٣.

(٣) سورة الحجر آية: ٨٧.

(٤) سورة الكوثر آية: ١.

(٥) سورة الإسراء آية: ٧٩.

(٦) سورة الضحى آية: ٥.

(٧) سورة النجم آية: ١٨.

(٨) سورة الحجر آية: ٧٢.

(٩) سورة الضحى الآيات: ١، ٢، ٣.

﴿نْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١).

- ولم يبعث الله تعالى نبياً من آدم عليه السلام فمن بعده إلا أخذ عليه العهد أن يؤمن به صلوات الله وسلامه عليه وينصره ويأخذ بذلك العهد على قومه قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾(٢).

- وقد جعل طاعته سبحانه عين طاعة الله سبحانه وكذا مبايعته صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(٣). قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾(٤).

- وأن الله سبحانه علمه علما واسبغ عليه فضله العظيم قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾(٥).

- وجعل آياته واستغفاره لأمته - صلى الله عليه وسلم - سببا لقبول توبتهم قال اله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾(٦).

- وأمر المؤمنين بالتأدب معه قال تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾(٧) - وخصه الله تعالى بالصلاة عليه وملائكته

---

(١) سورة القلم الآيات من ١ : ٤.

(٢) سورة آل عمران آية: ٨١.

(٣) سورة النساء آية: ٨٠.

(٤) سورة الفتح آية: ١٠.

(٥) سورة النساء آية: ١١٣.

(٦) سورة النساء آية: ٦٤.

(٧) سورة النور آية: ٦٣.

وأمر المؤمنين بها قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[1] – ورفع العذاب عن أمته إكراما له – صلى الله عليه وسلم – قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[2]– وجعل الإيمان لا يتم إلا بالتسليم له – صلى الله عليه وسلم – والرضا بحكمه قال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [3]– وأمر المؤمنين أن يرضوه صلوات الله وسلامه عليه وأن يتبعوا هديه ويجتنبوا نهيه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[4].

– ونادى أنبياءه بأسمائهم لقوله تعالى: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[5].

– وجعله سبحانه سببا لإخراجنا من الظلمات إلى النور قال تعالى: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾[6].

– وأعطاه الله – عز وجل – مقاما عظيما وفضلا كبيرا قال تعالى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾[7].

– وخصه – سبحانه – بالرؤية لقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾[8].

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٥٦.

(٢) سورة الأنفال آية: ٣٣.

(٣) سورة النساء آية: ٦٥.

(٤) سورة التوبة آية: ٦٢.

(٥) سورة مريم آية: ١٢.

(٦) سورة إبراهيم آية: ١.

(٧) سورة التوبة آية: ٥٩.

(٨) سورة الأعراف آية: ١٤٣.

- قال تعالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (*) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (*) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[1].

- وحرم أزواجه على المؤمنين قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ ﴾[2].

- وجعل محبته صلى الله عليه وسلم مقرونه بمحبة الله سبحانه قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾[3].

- ورفع ذكره فى العالمين قال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [4].

ولذا جعل له عز وجل اشتقاقاً من اسمه ليجله، وجعله نصف الشهادة ونصف التشهد وصدق حسان بن ثابت حين قال:

وضم الإله اسم النبى إلى اسمه ... إذ قال فى الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجابه ... فذو العرش محمود وهذا محمد [5]

وما ذلك إلا لبيان عظيم منزلته، وكمال محبته وقربه من الله تعالى فقد خصه سبحانه بمعجزات الأولين والآخرين وآيات ودلالات لا تعد ولا تحصى فصلى الله عليه وسلم على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة النجم آية ١٠.

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٣.

(٣) سورة التوبة آية ٢٤.

(٤) سورة الانشراح آية ٣.

(٥) سبيل الوصول بمحبة الرسول ﷺ ص ٣٣: ٣٧ بتصرف.

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

.. فى السنة النبوية.

لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فضل كبير واضح وجلى فى إعجاز السنة النبوية فعلى الرُغم من أنها من نفس الحروف الثمانى والعشرون ونفس الكلمات ونفس التراكيب والجمل إلا أنها معجزة بألفاظها ومعانيها وكنايتها وتصريحها أو استعارتها وتشبيهها بأحوال الأسناد، بالقصر ، بالفصل والوصل، وبالإنشاء ومعانيها البديعة وتذكر بعض أمور الحياة الهامة التى تناولتها السنة النبوية مكملة للقرآن الكريم فهى الشريان الموصول بالقرآن الكريم لتتم الحياة سوية فعلى سبيل المثال لا الحصر تذكر ما يلى:

وضح لنا صلى الله عليه وسلم- عن بدء نبوته التى فيها الخير للبلاد والعباد فقال- صلى الله عليه وسلم- قال: (إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) [1].

ولقوله صلى الله عليه وسلم: قال: (أنا أبن عبد المطلب) [2]. ووضح سبحانه أنه أفضل ولد آدم قال تعالى: ﴿ وكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ﴾[3]. وقال صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد الناس يوم القيامة) [4] متفق عليه، ولقد جعله حبيباً مقرباً كما جعل سبحانه إبراهيم خليلاً، وما خلق أحد من الخلائق

---

(١) تنظير صحيح البخارى جـ٢/ ٨٠٦، حديث رقم (٣٥٣٥) باب خاتم النبيين روى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(٢) ينظر صحيح البخارى جـ٢/ ٨٠٤، حديث عن البراء (باب من انتسب إلى آباته فى الإسلام والجاهلين).

(٣) سورة الأنعام آية ٨٦.

(٤) ينظر صحيح البخارى ٧٥٩/٢، باب الأرواح جنود مجنده حديث رقم ٣٣٤.

أكرم عليه منه ولقد خلق الله الدنيا وأهلها ليعرفهم كرامته ومنزلته عنده ولذلك يبدأ الله القيامة بتشريفة وإعطائه الشفاعة العظمى، وما ذلك إلا ليعرف مقامه عند ربه.

كما أنه صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود فقد جعل سبحانه أمته متميزة على سائر الأمم فتقف معه صلى الله عليه وسلم- على تل مرتفع وأنّه أوّل مكسى حلة خضراء يوم القيامة، ثم يؤذن له بالشفاعة فصلى الله على سيدنا محمد صاحب المقام الأسمى الأسنى رفيع الدرجات فعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال يبعث الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتى على تلك فيكسونى ربى تبارك وتعالى حلة خضراء، ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول فداك المقام المحمود[1].

وقد بلغ من حب الله تعالى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم له مقام لديه فقد أستثارة فى أمته صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم أن ربى استثارنى فى أمتى ماذا أفعل بهم؟ فقلت وما شئت يا رب هم خلقك وعبادك، فاستشارنى الثانية فقلت له كذلك، فاستثارنى الثالثة فقلت له كذلك فقال تعالى: إنى لن أضيرك فى أمتك يا أحمد ويشرى أن أوّل من يدخل الجنة معى من أمتى سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألف ليس عليهم حساب، ثم أرسل إلى ادع تجب وسل تعط، فقلت لرسوله صلى الله عليه وسلم- أو معطى ربى تعالى سؤلى؟ قال ما أرسل إليك إلا ليعطيك ولقد أعطانى من غير فخر وغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر وأنا أمسى حياً صحيحاً وأعطانى أن لا تجوع أمتى و لا تغلب واعطانى الكوثر نهراً فى الجنة يسيل فى حوض واعطانى القوة، والنصر، والرعب يسعى بين يدى شهراً، وأعطانى أنى أول الأنبياء دخولاً الجنة، وطيب لى ولأمتى الغنيمة

---

(١) رواه أحمد والحاكم وابن حبان وصححه وينظر صحيح مسلم كتاب الأعمال بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم حديث ٣٩١٩٣، ينظر سبيل الوصول بمحبة الرسول.

وأحلّ لنا كثيراً مما شدد على من كان قبلنا ولم يجعل علينا فى الدين من حرج فلم أجد لى شكراً إلا هذه السجدة) [1].

وخصه سبحانه العلى العظيم بأن جعل بين بيته الذى دفن فيه ومنبره روضة من رياض الجنة وأن منبره يوم القيامة على حوضه المورود.

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك عن عبد الله بن أبى بكر عن عبّاد بن تغيم عن عبد الله بن زيد المازنى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: (ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة)[2].

وقد خيره الله تعالى من كرامته على ربه أن يعيش ما شاء ويأكل ما شاء وبين لقائه تعالى فاختار لقاء الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم- إن عبداً خيره الله تعالى بين أن يعيش فى الدنيا ما شاء أن يعيش فيها يأكل ما شاء أن يأكل منها وبين لقائه فاختار لقاءه[3].

وأعطاه الله تعالى من الفضائل العظمى فى ذاته الشريفة ما يجعله عليه الصلاة والسلام يرى من خلفه كما يرى من أمامه وتلك من معجزاته الباهرة وخصائصه العالية. فعن أبى هريرة رضى الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: هل ترون قبلتى ها هنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركعوعكم إنى لأراكم من وراء ظهرى"[4].

---

(١) رواه ابن عساكر والإمام أحمد عن حذيفة، ينظر سبيل الوصول بمحبة الرسول ص ٤١.

(٢) ينظر صحيح البخار ١/٢٧٠، باب فضل ما بين القبر والمنبر حديث رقم ١١٩٥، وينظر موطأ مالك باب ما جاء فى مسجد النبى صلى الله عليه ص ٣٣، حديث رقم (٨٨).

(٣) رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة عن أبى المعلى ينظر سبيل الوصول بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ص ٤٢.

(٤) صحيح البخارى ١/١٠٧، باب عظمة الإمام الناس فى أتمام الصلاة وذكر العلة حديث رقم (٤١٨).

ومن سمو مكانته وعظيم مقامه وعلو منزلته صلى الله عليه وسلم- أن الله تعالى جعل رؤياه فى المنام حقاً فلا يتمثل الشيطان به. عن أبى هريرة- رضى الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى المنام فقد رآنى) [1].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه يقول: (من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة أو كأنما رآنى فى اليقظة لا يتمثل الشيطان بى) [2].

وما اختلط حبى بقلب عبد إلا حرم الله جسده على النار [3].

وقد جعل الله تعالى حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار[4].

يقول صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل فقال يا محمد لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار[5].

وقال صلى الله عليه وسلم: لقد هبط على ملك من السماء ما هبط على نبى قبلى ولا يهبط على أحداً بعدى وهو إسرافيل- عليه السلام- وعندى جبريل فقال السلام عليك يا محمد ثم قال أنا رسول ربك إليك أمرنى أن أخبرك إن شئت نبياً عبداً وإن شئت نبياً ملكاً، فنظرت إلى جبريل فأومأ

---

(١) ينظر صحيح مسلم باب قول النبى فى من رآنى فى المنام فقد رآنى .. ١٥/٢٧، حديث رقم (٢٢٦٦)، وحديث رقم (٢٢٦٧)؟

(٢) رواه أبو نعيم عن ابن عمر.

(٣) رواه مسلم فى صحيحه، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ٢/ ١٣ ، حديث(٤٣).

(٤) رواه مسلم فى صحيحه، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ٢/ ١٣ ، حديث(٤٣).

(٥) رواه ابن عساكر.

جبريل عليه السلام- إلى أن تواضع فقلت نبياً عبداً فلو أني قلت نبياً ملكاً ثم شئت لسارت الجبال معي ذهباً[1].

وقد خصه الله سبحانه- جل وعلا- بأنه أول من ينظر إلى الله سبحانه فقال: صلى الله عليه وسلم- أول عين تنظر إلى الله عز وجل- عيني[2]. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

في القرآن الكريم، والسنة الشريفة لقد اتفق جميع العلماء في المذاهب الأربعة على وجوب الصلاة على النبي الله عليه وسلم فهي واجبه على جميع المؤمنين والمؤمنات، المسلمين والمسلمات وذلك لأن الله- جل وعلا- جعله سبب الاهتداء للإيمان وبه تتم الصالحات، قال تعالى:﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُّبِينٌ (*) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ويُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ويَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

كما أن الشكر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لتكون شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم- ماثلة في قلوبنا حية بنورها[4].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[5] ذكر الألوسي في تفسير ذلك أن عظموا

---

(١) رواه الطبراني عن ابن عمر.

(٢) رواه الديلمي عن انس، وينظر فيما سبق سبيل الوصول بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم من ٥٠:٤٣ (بتصرف).

(٣) سورة المائدة آية ١٥، ١٦.

(٤) مجلة الأزهر ص ٢٨٠، مجمع البحوث الإسلامية ربيع الأول ١٤٠٠هـ، ١٩٨٨م،جزء ٣.

(٥) سورة الأحزاب آية ٥٦.

شأنه.. فإنكم أولى بذلك وظاهر سوق الآية أنه الإيجاب إقتداء به عليه لما صلى عليه، وكذا قراءة الحسن فصلوا عليه أطهر مما ذكر[1].

وأخرج الإمام مالك والإمام أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه وغيرهم عن أبى حميد الساعدى أنهم قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصلى عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا اللهم صلى على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم بارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد[2].

وقيل فى معنى السلام على سيدنا النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أوجه: أحدهما:

السلامة من النقائص والآفات، فيكون السلام مصدراً بمعنى السلامة وذلك لما فى السلام من الثناء- ثانيهما: السلام ودوام على حفظك ورعايتك ومتول له وكفيل به، ويكون السلام هنا اسم الله تعالى، فيكون كما قال بعض العلماء السلامة من كل آفة ونقيصة ذاتاً وصفتاً وفعلاً، وإذا أريد بالسلام ما هو من ، سبحانه تعالى يكون المراد لا خلوت من الخير والبركة، وسلمت من كل مكروة فيكون المراد الدعاء بالحفظ. وثالثهما: الإنقياد عليك، على أن السلام من المسالمة وعدم المخالفة والمراد بالدعاء بأن يصير العباد منقادين مذعنين له عليه الصلاة والسلام ولشريعته، ومعنى اللهم سلم على النبى اللهم قل السلام على النبى أى اللهم أوجد أو حقق السلامة له، وقيل اللهم سلمه من النقائص والآفات وقيل أن السلام من الله تعالى -عز وجل- على أنبيائه عليهم السلام نحو قوله سبحانه:

---

(١) ينظر فى ذلك روح المعانى – الألوسى ٢٢/٧٧ (بتصرف).

(٢) ينظر صحيح مسلم ٢/٧٧٠، كتاب أحاديث الأنبياء حديث رقم (٣٣٦٩) وموطأ مالك باب ما جاء فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ص ١١١ حديث رقم (٦٦).

﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي العَالَمِينَ ﴾[1] ﴿ سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[2] ﴿ سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴾[3]. تنبيهاً على أنه جل شأنه جعلهم بحيث يدعى لهم ويثنى عليهم ونصب (تسليماً) على أنه مصدر مؤكد، وفى تأكيد السلام وتخصيصه بالمؤمنين نكته سرية وهى أن السلام عليه، عليه الصلاة والسلام تسليمه عما يؤذ به، وقيل أن سلام الله تعالى وملائكته عليه الصلاة والسلام معلوماً للمؤمنين قبل نزول الآية، وقد أورد بالسلام مؤكداً وذلك دفعاً لقولهم ذلك والله تعالى أعلم تحقيقة الحال.

والأمر فى الآية للوجوب وذلك بإجماع الأئمة العلماء عليه ومن قال بالندب أو على التأويل مردود. وصلاة الله على النبى صلى الله عليه وسلم- ثناء ورفع درجات. أما الصلاة من الملائكة فهى دعاء الله وتقرب من رسول الله صلى وسلم- واتصال به، ثم أمرنا أن نصلى على رسول الله صلى الله وسلم- فتطلب من الله سبحانه- أن يزيد الصلاة عليه وهو دعاء الرب وذكر له، واتصال برسوله وكفى بصلاة الله على رسوله فضلاً عظيماً، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (*) وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً (*) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ومَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾[4]. ولقد قال النبى صلى الله عليه وسلم (إن الله وملائكته يصلون على ميامين الصفوف) [5].

وقد أطلق سبحانه وتعالى- صفتين عظيمتين من صفاته جلا وعلا- لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- وهما: رؤوف رحيم.

---

(١) سورة الصافات آية ٧٩.

(٢) سورة الصافات آية ١٠٩.

(٣) سورة الصافات آية ١٢٠.

(٤) سورة الأحزاب آية ٤١: ٤٣، وينظر مجلة الأزهر ص ٢٨٢، ١٩٨٨م.

(٥) ثبت الحديث.

وإذا كان الأصل الأوّل فى الدين هو القرآن الكريم فإن السنة هى الأصل الثانى فى الدين وهى المتممة للقرآن الكريم، والمفصلة لاجماله، والمستقلة بالتشريع قال صلى الله عليه وسلم (تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى) [1].

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه- أنه قال:

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. من صلى علىّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً)[2] وقد أرشد صلى الله عليه ولم أن الدعاء محجوب عن القبول حتى يصلى الداعى على رسول الله صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وما ذاك إلا لمنزلته صلى الله عليه وسلم- عند ربه وفضل به الصلاة عليه وعلى آل بيته صلى الله عليه وسلم [3].

روى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم- حتى دخل نخلاً فسجد فأطال السجود حتى خشيت أن يكون الله تعالى قد توفاه فحيث أنظر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم- رأسه فقال: مالك. فذكرت له ذلك يعنى خشيته من إطالة السجود فقال إن جبريل قال لى: ألا أبشرك أن الله عز وجل يقول لك: من صلى عليك صلاة صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه" [4]. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) روى الحديث عن مالك وقيل فيه: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه) ينظر كتاب القدر ص ٥٩٨، وروى " تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وعترتى أهل بيتى" ينظر تحفة الأحوذى، أبواب المناقب، ص ١٩٦.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٢١ كتاب الصلاة حديث رقم (٤٠٨).

(٣) سبيل الوصول بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٤٢.

(٤) ينظر الأزهر ص ٢٨٣: ٢٨٤ (بتصرف).

وفى سنن أبى داود والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من أحد يسلم علىَّ إلا رد الله علىَّ روحى حتى أرد عليه السلام) [1]. وقد وضح لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فائدة التمسك بالسنة الشريفة المطهرة فهى المكملة لتشريع وتعاليم الدين السمح الحنيف، والسنة الفعلية هم آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم- كما بين صلى الله عليه وسلم فائدة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم- ففيها قرب من الله عز وجل، وكذا تقرب صاحبها من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- وأولويته باللحوق به، والفوز بشفاعته يوم القيامة. إن شاء الله سبحانه- وحتى لا يوضع فى النار من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن مات عليها.. قال صلى الله عليه وسلم (ما جلس قوم مجلساً يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة أى ذبناً وخطيئة، فإن شاء الله عذبهم وإن شاء غفر لهم) [2]. وهذا الحديث الشريف يرشدنا إلى وجوب ذكر الله عز وجل- والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم- فى كل مجلس من مجالس المؤمنين حتى لو مرة واحدة على الأقل فعلى المؤمنين إلا يغفلوا فى المجالس عن ذكر الله والصلاة على نبيه، فإن الغفلة آفة القلوب وباعثة على ارتكاب الذنوب والابتعاد عن علام الغيوب، فنسأل الله سبحانه العافية وأن لا نغفل عن ذكر الله إن شاء رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

---

(١) اخرجه أبو داود فى كتاب المناسب باب رقم ٩٦، وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده بهذا اللفظ فى مسند أبى هريرة رضى الله عنه ٢/٥٢٧، ط صادر بيروت.

(٢) فى مجمع الزوائد كتاب الأذكار باب ذكر الله تعالى فى الأحوال كلها والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم. وعزاه للطبرانى فى الكبير وحكم على رجاله فقال ورجاله وثقوا.

المواطن التى يستحب فيها الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام

هناك مواطن كثيرة يستحب فيها الصلاة والسلام على سيدنا النبى صلى الله عليه وسلم فيجب البدء بحمد الله سبحانه- والثناء على خير الخلق صلى الله عليه وسلم- ثم يدعو بما شاء فإنه أجدر بأن يفوز باستجابة دعائه إن شاء الله تعالى:

١- يوم الجمعة وليلتها.

٢- عند سماع ذكره أو كتابته.

٣- عند دخول المسجد: يقال: بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم أغفر لى ذنبى، وافتح لى أبواب رحمتك)، وعند الخروج كذلك : أنه يقول: وافتح لى أبواب فضلك بدل رحمتك.

٤- وبعد التكبيرة الثانية من صلاة الجنائز إذ الأولى يقرأ بعد الفاتحة، والثانية يصلى بعدها على سيدنا النبى الصلاة الإبراهيمية، وهى التى يصلى بها فى التشهد الأخير من كل صلاة فريضة أو نافلة[1]. وفى الموسوعة الذهبية:

يا معشر الأخوان بأهل النبى ... هذه نصيحة صادق مصوان
أوصيكم فيها بأن تتمسكوا ... بالسنة الغُراء والقرآن
فهما النجاةُ لمن تمسك وأهتدى ... من شرِّ فتنة آخر الأزمان [2]

وللصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوائد كثيرة لا تعد ولا تحصى فمنها:

---

(١) هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم- يامحب ص ٤٣٩، ٤٤٠ (بتصرف).

(٢) هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم- يامحب ص ١٠٩٧

١- تشغيل الفم بذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون الإمساك عن الكلام الذى يودى بالإنسان إلى المهالك، فالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم تمحو السيئات أن شاء الله تعالى وتكتب الحسنات.

٢- القرب من الله عز وجل ومن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحب الذكر لله سبحانه ويطرب له القلب، ويسعد به الجسد والروح وتسمو وترتقى بفضله إلى خالق الأكوان بحبيبه العدنان صاحب البيان مسك الكلام.

٣- فى ذكر الله ثم الصلاة على النبى تحريك للفم وعلاج من بعض الأمراض التى تستلزم تحريك الفم فما بالنا لو كان بأجمل ما خلق الله من كلام فيه خيرى الدنيا والآخرة إن شاء الله سبحانه.

آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجوب محبتهم

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد الحبيب المحبوب، وعلى آل سيدنا محمد الغر المحجلين سنة الله فى الأرض إكراماً لأحب الخلق أجمعين الذى قال صلى الله عليه وسلم: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى) (١). وقيل إن ذلك من أفضل الأعمال أو من خيرها وقد أوصى عز وجل- بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال عز من قائل ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٢). وقيل آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم- هم بنى هاشم ذكورهم وإناثهم والظاهر أنه أراد مؤمنى بنى هاشم وذلك عند الحنفية، وقال بعض الشافعية المراد هم مؤمنو بنى هاشم والمطلب، وقيل هم من حرموا الصدقة هم آل على رضى الله عنه وأرضاه كرم الله وجهه، وآل عقيل عليه السلام، وآل جعفر عليه السلام، وآل عباس عليه السلام وقيل هم من أريد لهم المدر والخشب أم بيت القرابة والنسب عام. وقيل هم عليهم السلام السيدة فاطمة عليها السلام وسيدنا الأمام على عليه السلام، وسيدنا الأمام الحسن عليه السلام وسيدنا الأمام الحسين عليه السلام قد جللهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أهل بيتى فإذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً- حدثنا زيد رضى الله عنه بما سمع من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: يا ابن أخى والله لقد كبرت سنى وقدم عهدى ونسيت بعض الذى كنت أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . مما حدثتكم فاقبلوا وهلالا لا تكلفونيه ثم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم. يوماً

---

(١) قبل أخرجه الترمذى فى المناقب (٣٨٩٥) عن عائشة رضى الله عنها وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣١٤) وينظر صحيح مسلم ٧٥١٢ فى كتاب (الإيمان).

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٣٣، وينظر صحيح مسلم ١٩٣/١٥، الذهبى (باب فضائل أهل بيت النبى) صلى الله عليه وسلم.

فينا خطيباً بماء يدعى فما بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ، وذكر ثم قال: (أما بعد ألا يا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يؤتى رسول ربى فأجيب وإنى تارك فيكم ثقلين أولين: كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: (وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى) قالها ثلاثاً وقيل إن نساء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته، وقيل أن غترة النبى صلى الله عليه وسلم- بنو عبد المطلب وقيل أهله الأقربون وهم أولاده وعلى وأولاده رضى الله تعالى عنهم.

والذى رجحه القرطبى أنهم من حرمت عليهم الزكاة. وعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية فى خمسة فى ، وفى على، وفاطمة، وحسن، وحسين، (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)، قيل ولا حجر على رحمة الله عز وجل ولأجل عين ألف عين تكرم[1]. فلآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم- مزيه وخصوصية على غيرهم من الناس لذا نخبر عُبّاد أهل البيت أتم حالاً من سائر العباد المشاركين لهم فى العبادة الظاهرة، وأحسن أخلاقاً، وأذكى نفساً وإليهم تنتهى سلاسل الطرائق التى مبناها على التحلية والتخلية اللتان هما جنحان للطيران إلى حظائر القدس والوقوف على أوكار الأنس حتى ذهب قوم إلى أن القطب فى كل عصر لا يكون إلا منهم خلافاً لسيدنا الأستاذ أبى العباس المرسى حيث ذهب كما نقل عنه تلميذه التاج ابن عطاء الله إلى أنه قد يكون من غيرهم والله أعلم.

---

(١) ينظر روح المعانى للألوسى ٢٢/٢: ٢٠(بتصرف) وصحيح مسلم ١٥/١٩٣: ١٩٤ (باب فضائل أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم) .

وقيل فى مكتوبات الإمام الفاروق الربانى مجدد الآلف الثانى قدس سره أن القطبية لم تكن على سبيل الأصالة إلا لأئمة أهل البيت المشهورين، ثم صارت بعدهم لغيرهم على سبيل النيابة عنهم حتى أنتهت إلى السيد الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس سره النورانى فنال مرتبة القطبية على سبيل الأصالة فلما عُرج بروحه القدسية إلى أعلى علين نال من نال بعده تلك الرتبة على سبيل النيابة عنه فإذا جاء المهدى ينالها أصالة كما نالها غيره من الأئمة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ولكن قطب الأقطاب لا يكون إلا منهم رضوان الله عليهم لأنهم أذكى الناس أصلاً وأوفرهم فضلاً، وإن من ينال هذه الرتبة منهم لا ينالها إلا على سبيل الأصالة دون النيابة والوكالة وقيل كل قطب فى كل عن نائب عن نبينا عليه الصلاة والسلاوم، وقيل أن كل من تقدمه عصراً من الأنبياء عليهم السلام وتأخر عنه من الأقطاب والأولياء نواب عنه ومستمدون منه، قيل وأن السيد الشيخ عبد القادر قدس سره وغمرنابه قد نال ما نال من القطبية بواسطة جده عليه الصلاة والسلام على أتم وجه وأكمل حال فقد كان رضى الله عنه من أجله أهل البيت حسنياً من جهة الأب حسنيناً من جهة الأم لم يصيبه نقص ولا ينكر ذلك إلا زنديق أو رافض ينكر صحبه الصديق، وأرى أن قوله رضى الله تعالى عنه:

أفلت شموش الأولين وشمسنا ... أبداً على فلك العلا لا تغرب

وهذا يدل على استمرار ظهور أمره وانتشار صيته وشهرة طريقته وعموم فيضه لمن استفاض على الوجه المعروف عند أهله منه وذلك مما لا يكاد ينكر وأظهر من الشمس والقمر قال تعالى ﴿وأذكر ما يتلى فى بيوتكن﴾ بطريقة العظة والتذكير (من آيات الله) أى القرآن (والحكمة) هى السنة وقيل القرآن الكريم (يتلى) من الكتاب الجامع لآيات الله الدالة على صدق النبوة والحكمة المنطوية على فنون العلوم والشرائع، وجوز بعضهم

أن يكون قوله (كان لطيفاً خبيراً) أى ناظراً للآيات لدقة إعجازها والخبير للحكمة لمناسبتها للخبرة[1].

ومحبة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه وسلم. واجبة ﴿ واذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[2]. أى رعاية حقوقى لقرابتى منكم، أو لا أطلب منكم أجراً إلا محبتكم أهل بيتى وقرابتى قال الكميت:

وجدنا لكم فى آل حم آية ... تأولها منا نقى ومعرب

وأخرج الترمذى وحسنه والطبرانى والحاكم والبيهقى فى الشعب عن ابن عباس قال: قال عليه الصلاة والسلام (أحبوا الله تعالى لما يغذوكم به من نعمة وأحبونى لحب الله تعالى وأحبوا أهل بيتى لحبى) [3]. وكلما كانت جهة القرابة أقوى كان طلب المودّة أشد فمودة العلويين والفاطميين ألزم من محبة العباسيين على القول بعموم (القربى) وهى على القول بالخصوص قد تتفاوت أيضاً باعتبار تفاوت الجهات والاعتبارات، وآثار تلك المودّة التعظيم والإحترام والقيام بأداء الحقوق أتم قيام يقول الشافعى رضى الله عنه تعالى:

يا ركباً قف بالمحصب من منى ... واهتف بساكن فيفيها والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً كملتطم الفرات الفائض

إن كان رفعناً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان إنى رافضى [4]

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٤، وينظر روح المعانى فى المتشابة المثانى ١٧/٢٢: ٢٠ (بتصرف).

(٢) سورة الشورى آية ٢٣.

(٣) رواه الترمذى فى صحيح مسلم ١٧٩١١٥ باب من فضائل على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه.

(٤) ديوان الشافعى رضى الله عنه.

ومن قوله (إلا المودة فى القربى) فمن الشيعة من أول الآية فى مقام الاستدلال على إمامة سيدنا على كرم الله تعالى وجهه قال: على كرم الله وجهه واجب المحبة وكل واجب المحبة واجب الطاعة، وكل واجب الطاعة صاحب الإمامة ينتج على رضى الله تعالى عنه صاحب الإمامة [1].

وما ذكر من آيات واضحات واحاديث بينة على وجوب محبة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لأنهم السنة الفعلية للناس ولشدة خشيتهم لله، ولتمام طاعتهم لله ولسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ولأننا نتعلم منهم رضى الله عنهم -دروسا فى الوصول إلى الله بمحبة خير المرسلين من رب العالمين من جاء بالنور المبين لهداية الناس أجمعين، من أحب الله حب عباده وإخلاص طاعة، وأحب المسلمين بكل اليقين ليصلهم بخالق الخلق اجمعين، لما فيه خيرى الدنيا والآخرة، فيجب علينا دراسة سيرتهم العطرة الزاخرة بالبطولات والتضحيات قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[2].

فسيرهم رضى الله عنهم -العطرة نبراسا نهتدى به فى جل حياتنا بحب وشوق وولاء وطاعة ورضا ووفاء لأخلص وأحسن وأحب الخلق أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. فكما قيل : (يجب علينا أن نحب آل بيته الكرام وأن ندرس سيرتهم وجهادهم لنتأس بهم ولنقوم بمودتهم وبرهم وفاء لجدهم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لما أسداه إلينا من نعمة الهداية وتبليغ الدعوة) [3].

---

(١) رواه مسلم (بقوله :رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية أو ليأخذن بالراية غدا رجل يحبه الله ورسوله أو قال يحب الله ورسوله يفتح الله عليه) فإذا نحن بعلى وما نرجوه فقالوا: هذا على فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية ففتح الله عليه. حديث رقم (٢٤٠٧) ص١٧٨.

(٢) سورة الحشر آية ٩.

(٣) سبيل الوصول بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ص١٦.

وقد ذكرت احاديث كثيرة ورد فيها آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها وأرضاها، وسيدنا الإمام على بن إبى طالب كرم الله وجهه وسيدنا الإمام الحسن رضى الله عنه وأرضاه وسيدنا الإمام الحسين رضى الله عنه وأرضاه وسيدنا جعفر ، وسيدنا العباس وسيدنا حمزة، وسيدنا عقيل بن أبى طالب ومن تناسل منهم إلى يوم القيامة إذا ساروا على نهجه القويم وصراطه المستقيم ففى عنق كل مسلم حق لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكذا للصحابة رضوان الله عليهم لأنهم آذروا وشيدوا مع سيدنا رسول الله بنيان الدين الحنيف لأن العقيدة الصحيحة حب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: (أذكركم الله فى أهل بيتى) (١). قال العباس عم سيدنا رسول الله صلى الله عيه وسلم – وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بنى هاشم (والذى نفسى بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتى) (٢). كما قال سيدنا رسول الله لسيدنا الإمام على رضى الله عنه وأرضاه (أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى) (٣). وذكرنا صلى الله عليه وسلم بمنزلة السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها وأرضاها (فاطمة بضعة منى فمن أغضبها فقد أغضبنى) (٤).

وقال سيدنا الإمام أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه (ارقبوا محمد صلى الله عليه وسلم من أهل بيته) (٥). وقد عرفنا سيدنا رسول الله

---

(١) رواه مسلم ١٧٩/١٥ كتاب فضائل الصحابة رضى الله عنهم وينظر سبيل الوصول لمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ص١٦.

(٢) صحيح مسلم ١٧٩/١٥ حديث رقم (٢٤٠٨) باب فضائل الصحابة.

(٣) رواه مسلم ١٧٣/١٥ (باب من فضائل على بن إبى طالب)رضى الله عنه وأرضاه ورواه البخارى.

(٤) رواه مسلم ٣/١٦ باب فضائل فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم. ورواه البخارى.

(٥) رواه مسلم ٣/١٦ باب فضائل فاطمة بنت النبى عليه الصلاة والسلام.

صلى الله عليه وسلم منزلة سيدنا الإمام الحسن وسيدنا الإمام الحسين فقال صلى الله عليه وسلم (هما ريحانتاى من الدنيا أى الحسن والحسين)[1]. وكشف لنا عن مكانة امهما فى الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة) [2]. ولما نزلت هذه الأية قال تعالى: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وأَبْنَاءَكُمْ ﴾[3].دعا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال: (اللهم هؤلاء أهلى)[4]. وعن أبى هريرة رضى الله عنه –عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لسيدنا الإمام الحسن (اللهم أنى أحبه فاحبه وأحب من يحبه) [5]. قال صلى الله عليه وسلم: (النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمانة لأمتى) [6].

وقد ذكرت طاعة سيدنا ررسول الله صلى الله عليه وسلم مقرونة بطاعة الله عز وجل فى كثير من الآيات القرآنية، وكذا طاعة أولى الأمر مقرونة بطاعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيجب علينا الإقتداء بآل بيت رسول الله فى الأقوال والأفعال، لأنهم السنة الفعلية فى كل زمان ومكان ولأنهم أخلص الناس لله عبادة وحبا وطاعة وذلك لقرابتهم لسيد الخلق اجمعين حبيب رب العالمين وقد ذكر ذلك فى الآيات التالية[7].

---

(١) رواه مسلم ١٥/١٩٣ باب فضائل أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم.

(٢) رواه مسلم ١٦/٦ باب فضائل فاطمة بنت سيدنا النبى عليه الصلاة والسلام.

(٣) سورة آل عمران آية ٦١.

(٤) رواه مسلم...

(٥) صحيح مسلم ١٥/١٩١ باب فضائل الحسن والحسين رضى الله عنهما.

(٦) صحيح مسلم ١٦/٨٣،٨٢ باب بيان أن بقاء النبى صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان لأمته.

(٧) سورة النساء آية ١٣، ٦٩، ٨٠، سورة النور آية ٥٢، ٥٤، ٥٦، سورة الأحزاب آية ٧١ ، سورة الفتح آية ١٧، سورة التوبة آية ٧١، سورة الأحزاب، آية ٣٣ سورة آل عمران آية ٣٢ ، سورة النساء آية ٥٩ سورة المائدة آية ٩٢، سورة الأنفال آية ٢٠، ٤٦ ، سورة طه آية ٩٠، سورة محمد آية ٣٣، سورة المجادلة آية ١٣.

النسب المذكى لخير نبى

محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم

أسماؤه الشريفة وكناه وألقابه صلى الله عليه وسلم:

الحمد لله المنعم الذى أعطى وأغدق، أنعم بتمام الهداية برسالة خير البرايا نبراس الطريق المستقيم، أتم الله به الدين وحفظه إكراما وكرامة لإمام الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة وسراجا منيرا أشرف الخلق أجمعين سيد ولد آدم أبو القاسم وأبراهيم، وأب قثم[١].وأبو الأرامل (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ،احمد ، والماحى[٢].، والحاشر[٣].، والعاقب، [٤]. والمقفى، ونبى الرحمة، ونبى التوبة، ونبى الملاحم، [٥].

نسب أبيه صلى الله عليه وسلم:

ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر[٦]. بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن مضر بن عدنان[٧]. وهو المتفق عليه من نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم – ومما لا خلاف فيه أن عدنان من ولد اسماعيل[٨]. نبى الله بن إبراهيم خليل

---

(١) القثم الرجل الجامع للخير.

(٢) الماحى أن الله محا به سيئات من اتبعه ينظر ابن مسعود ١/١٥٥.

(٣) الحاشر أى بعث مع الساعة نذيرا لكم بين يدى عذاب شديد ابن سعد ١/١٠٥.

(٤) العاقب عقب الأنبياء ابن سعد ١/١٠٥.

(٥) نبى الملاحم أى نبى القتال وهو كقوله الآخر "بعثت بالسيف" والملحمة الحرب وموضع القتال جمع ملاحم (ينظر النهاية لابن الأثير ٤/٢٤٠، وينظر امتاع الاسماع ص٥.

(٦) فقه السيرة ص٤٩ ط ثانية.

(٧) أخرجه البخارى (٣٨٥١) مناقب الأنصار باب مبعث النبى الأول.

(٨) زاد المعاد ١/٧١ ط مؤسسة الرسالة.

الله عليهما الصلاة والسلام[1]. "أن الله عز وجل قد اختاره من أزكى القبائل، وأفضل البطون، وأطهر الأمهات.

نسب أمه صلى الله عليه وسلم:

هى السيدة جليلة القدر آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب[2]. أم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حملت به فى شعب أبى طالب[3]. وقيل عند الحجرة الكبرى وقيل الوسطى فى ليلة رجب ليلة الجمعة، وقيل حملت به فى أيام التشريق[4].

أسماء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكناه:

عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لى أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد) [5]. (وقد سماه الله رؤوفا رحيما) قال على بن زيد بن جدعان: تذاكروا أحسن بيت قالته العرب، فقالوا قول أبى طالب فى النبى صلى الله عليه وسلم:

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الفضائل (٢٧٧٦).

(٢) ابن لؤى بن غالب بن فهر، وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسبا وشرفا وهى يومئذ أفضل أمرأة فى قريش نسبا وموضعا ينظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٩٢/١.

(٣) قيل والله اعلم أن آمنة بنت وهب رضى الله عنها أم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدث أنها اتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم -فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقول أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا وأنه حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بعد من أرض الشام ينظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٩٣/١.

(٤) وذلك يوم الأثنين ينظر ابن سعد ٩٨/١، صفة الصفوة ٢٣/١، وامتاع الاسماع ص٦.

(٥) ينظر موطأ مالك كتاب أسماء النبى صلى الالله عليه وسلم، باب ما جاء فى اسماء النبى صلى الله عليه وسلم عن مالك ص٦٦٢ حديث رقم (١).

وشق له من اسمه ليجله ... فذوا العرش محمود وهذا محمد[1]

وذُكر فى صحيح مسلم: قال صلى الله عليه وسلم "إن لى أسماء أنا محمد، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد[2]. (وقد سماه رؤوفا رحيما[3].)

وكان سيدنا النبى صلى الله عليه وسلم -يكنى أبا القاسم بولده القاسم، وكان اكبر اولاده واختلف هل مات قبل البعثة أو بعدها.

عن أنس رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم فى السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى) [4].

قال الإمام ابن القيم وأسماؤه صلى الله عليه وسلم – نوعان:

أحدهما : خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل ولكن له منه كماله فهو مختفى بكماله دون اصله كرسول الله وبنى الله، وعبده، والشاهد والمبشر ، والنذير، ونبى الرحمة، ونبى التوبة.

وأما أن جعل له من كل وصف من اوصافه اسم، تجاوزت أسماؤه المائتين كالصادق، والمصدوق، والرؤوف الرحيم، الى أمثال ذلك[5].

---

(١) سير اعلام النبلاء – الذهبى ١٠/٢.

(٢) صحيح مسلم ١٠٧/١٥ وما بعدها باب فى اسمائه صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٢٣٤٥) (١٢٤، ١٢٥) (٢٣٥٥) (١٢٦) وينظر فتح البارى ٦٤١/٦، ٦٤٤ دار الريان للتراث.

(٣) صحيح مسلم ١٠٧/١٥، فتح البارى ٦٤١/٦.

(٤) فتح البارى ٦٤٧/٦ حديث رقم (٣٥٣٧) (٣٥٣٨) (٣٥٣٩).

(٥) زاد المعاد ٨٨/١– لابن القيم– دار الريان وينظر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ٢٣،٢٥.

حليته وخلقه فى صغره صلى الله عليه وسلم:

كان بنو طالب يصبحون غُمصا رُمضا[1]. ويصبح صلى الله عليه وسلم – صفيلا دهينا[2]. وكان ابو طالب يقرب إلى الصبيان نصيبهم أول البكرة، فيجلسون وينهبون، ويكف رسول الله صلى الله عليه وسلم- يده لا ينهب معهم، فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعامه على حدة وكان صلى الله عليه وسلم- يصبح فى اكثر ايامه فيأتى زمزم فيشرب منه شربة فربما عُرض عليه الغداء فيقول لا أريده أنا شبعان[3].

كمال الخَلْق والخُلُق لإمام الإنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم:

خلقه سبحانه بخصائص الطبيعة الأولى، المادية، ونشأ نشأة إنسانية عناصرها عقلية، ومداركها الفكرية، وحيويتها الروحية، على اكمل ما تكون طبيعة إنسان من الكمالات والفضائل الإنسانية، والمعالم البيئية، والمظاهر الاجتماعية فى المجتمع الذى نهد فيه وعاش بين احواله وتقلباته، وأخلاقياته، وهذه الكمالات الإنسانية هى التى نشأ عليها صلى الله عليه وسلم- وعُرفت له فى قومه وبلده، فتزوج وولد له بنون وبنات، وقام على رعاية أولاده وزوجه، يواسى قرابته ويحسن إلى خدمه، ويكرم ضيفه، ويبر إخوانه وأصدقاؤه يأكل، ويشرب وينام ويصحوا، ويغضب، ويرضى، يحب، ويكره، يمرض، ويشفى، يبيع، ويشترى، ويستلف ويستدين، ويعطى ويأخذ، يسافر، ويحضر، ويهدى، ويقبل الإهداء، ويثيب على ما يقدم إليه من خير أفضل منه، ودود، كريم، حيى، حليم، رؤوف، رحيم، يصدق الحديث، ويؤدى الأمانة، وفى بالعهد، سليم الصدر يعين الضعفاء، ويضمد جراح المساكين، أغنى الناس بالقناعة وأجودهم بالعطاء، يألف ويؤلف، عزوف عن الدنيا، لا يزاحم عليها، ولا يخاصم فى شئ منها، رعى الغنم

---

(١) الغمص ما سال من العين من رمص ينظر المعجم الوسيط ٦٦٢/٢.

(٢) دهينا أى كحيلا ١٢٥/١ ابن سعد.

(٣) سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص٦٦ مكتبة الصفا.

واتجر، أمين محبوب يلجأ إليه قومه ويرضونه لحل معضلاتهم ويشاركهم في أعمال الشرف، والمروءة، وكان دائبا صلى الله عليه وسلم على تبليغ رسالة ربه عز وجل -يدعوا الناس- كل الناس- إلى الله تعالى وإلى معرفته وتوحيده، والتعبد له وحده، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، يحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، يرغبهم في الخير ويحببهم فيه ، ويعدهم عليه، عظيم ثواب الله، ويرهبهم من الشر وينفرهم من مفارقته، ويوعدهم على مواقعته بأليم عذاب الله وسخطه يحبب الخلق في الخالق، ويعظم في أنفسهم نعمة الله عليهم، لايئوسهم من رحمته، ولا يقنطهم من فضله، وأحسانه،ـ يستغفر للمذنبين ويفتح لهم أبواب الرجاء، ويدعوهم إلى الإنابة والتوبة، ويحضهم على العمل لدنياهم كحضه لهم على أداء واجبات دينهم، يبغضهم في الكسل ويحببهم في الكسب الحلال، ويقول لهم: (اليد العليا خير من اليد السفلى) [1]. يكرم العلماء، ويعلم الجهلاء، ويعلى مكانة العلم والمعرفة ويقول (إنما بعثت معلما) يجاهد أعداء الله، ويقيم للناس موازين العدل وينشر بينهم رحمة الله، ويربط بين الأفراد والجماعات بأواصر الإخاء والمحبة والتعاطف والمودة، ويدعوا إلى المساواة، وإلى التعاون والإيثار يعفو ويصفح، ويامر بالصبر على الأذى، ويرد السيئة بالحسنة ويقابل الجهل بالحلم، إن كان في الناس كان كأحدهم يشاركهم أحاديثهم ويضحك مما يضحكون منه ويألم لما يألمون له، إلا أن تنتهك حرمات الله، وإن كان وحده كان الله انيسه يتفكر في جلاله، ويتمثل عظمته، ويقرأ في كتاب الكون آثار اقتداره ورحمته، هذه شخصية أعظم رجل في العالم أتى بأعظم رسالة في العالم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم-

---

(١) عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال وهو على المنبر، وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: "اليد العليا خير من اليد السفلى: واليد العليا هى المنفعة والسفلى هى السائلة" -باب ما جاء في التعفف عن المسألة- حديث رقم (٨) ينظر الموطأ لأمام الأمة وعالم المدينة مالك بن أنس ص٥٥٨.

أعظم من عرفته الحياة كلها، وعرفه التاريخ بخصائصه انسانا من الناس اصطفاه اله نبيا ورسولا، بلغ الناس رسالة ربه فهدى الله به من شاء من عباده، ويهدى لرسالته من يشاء من خلقه، فقد تكاملت فيه صلى الله عليه وسلم- الخصائص الانسانية بشقيها المادى والروحى العام[1].

أما الطبيعة الثانية لأجل خلق الله وأكملهم وأعلمهم وأتقاهم وأنقاهم صلى الله عليه وسلم- طبيعة روحانية خالصة يوم ان تم له صلى الله عليه وسلم أول لقاء بملك الوحى يقظة فى غار حراء وذلك هو ميلاد رسالته بخصائصها فى أكمل الكمالات الروحانية، وأعظم إشراقاتها العقلية وأنوارها العلية وتناسباتها الملائكية، فكان صلى الله عليه وسلم- بشرى المظهر، ملائكى المجد، وقد كان تشريف الأمة بوراثة اتبليغ ومشاركتها فى المدح والثناء، وهذا الشعور الغامر هو المظهر الأعلى للإيمان الخاص الذى كان به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القدوة القصوى لأمته ليسلكها معه فى نهجه فى رسالته لتكون داعية ووراثة عنه (أى الأمة الأسلامية) تبليغ رسالته كما قال سبحانه لمجموع الأمة

قال تعالى﴿ ولْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وينْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾[2]. فإيمان سيدنا رسول الله اصل بذاته متلقى عن الله جل وعز بالوحى،وإيمان الأمة فرع عنه -صلى الله عليه وسلم- مبلغى عن الرسول صلى الله عليه وسلم- بالتبليغ فهو مرتبة تعليم منه وتعلم منها فتدرج بالأمة فى مدارج العلم والمعرفة وتتفاوت على حسب منازل الأفراد[3].

ومن هنا تتفاوت درجات إيمان المؤمنين فى العلم والمعرفة بالله تعالى لذا كان إيمان سيدنا ابو بكر الصديق -رضى الله عنه- وازنا برجاحة

---

(١) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ص٢٨١: ٢٨٣ (بتصرف).

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٤.

(٣) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ص٢٩٤ (بتصرف).

إيمان جميع الأمة، لرسوخ علمه بالله تعالى رسوخا كان به أثبت المؤمنين قلبا، وأشجعهم نفسا يوم زلزلت اقدام الأكابر الفاروق عمر بن الخطاب فمن دونه، ومن هنا كان تكليف الصديق بالخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- والبيعة فى الإسلام تكليف فقام بالأمر قيام ثانى أثنين فى تاريخ الدعوة إلى الله فقد رد رسن الإسلام على غربه، وجمع الله به ما تفرق[1].

وإيمان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- إيمان شهود، والتلقى عن الله عز شأنه بالوحى مرتبة من مراتب الإيمان، قد تكون أعلى مراتب الشهود التى تبلغ بصاحبها أرفع منازل القرب، بل هى أرفع هذه المراتب على الإطلاق، وهذا الإيمان هو الأساس فى تلقى الوحى وتبليغ الرسالة، وقد بلغ صلى الله عليه وسلم- بإيمانه أرفع مراتب المرسلين ونهج رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يطالب الرسول أصالة والأمة وراثة بتغير حياة العالم كله فى عقائده وتعبداته وأخلاقه ونظمه الاجتماعية، وطرائق عيشه، وروابط أفراده وجماعاته[2].

ولقد تغيرت أحوال الأمم والشعوب التى أصبحت كلها مدعوة إلى الإيمان برسالته، لتكون دستورهم المحكم فى كافة جوانب حياتهم، وذلك دعوة لإصلاحهم إصلاحاً جذرياً فى الأمم والشعوب يبدأ من الأساس من تصحيح العقيدة بتوحيد الله وإفراده بالتعبد له تعالى وتغيير النظم والأخلاق، وإقامة موازين العدالة والمساواة، وبين روح الثقة، والإخاء، وتحقيق المحبة والمواساة بين الناس إخراج الأمم والشعوب مما رسخ فى طبائعهم، وقامت على دعائمه حياتهم، سنين وأحقاباً من العقائد، والأخلاق والنظم، وإبدالهم به محاسن الشيم والفضائل وخاصة بأن الداعية لهذا الإصلاح العام الشامل على أكبر قدر يسمو به فوق أقدار من يدعوهم إلى رسالته، من

---

(١) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٢٩٤ (بتصرف).

(٢) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٢٩٥، ٢٩٦ (بتصرف).

الحكمة، والحنكة، والعلم، والخبرة بالنفوس والطبائع مؤيداً بقوة قاهرة لقوى الحياة، قوياً فى نفسه على تجرع مرارة الصبر صبوراً على تحمل أقداح ما يلقى من بلاء وإيذاء عليماً بما سيلقى فى سبيل دعوته مقدراً جسامة ما يلقى، معداً له ما يقابله فى مواجهة إيجابية، من غير عزلة وتنح عن ملاقاة الأحداث[1].

أمّا موقف المجتمع فى الداخل والخارج من رسالة الإسلام، وقف منه المجتمع الشرير الفاسد موقفاً سلبياً، حيث وجد عناداً جاحداً وجموداً عنيداً واستكباراً فى الأرض بغير الحق، ومقاومة جائرة، وتألباً ظالماً وطغياناً ضارياً، وعداوة شرسة، ولداً كافراً، وخصومة فاجرة وإعراضاً مدبراً، كأن فى آذانهم وقراً، وكأن الحق والهدى عليهم عمى ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [2].

رسالته صلى الله عليه وسلم- تقوم على أساس تفويض بنيان الوثنية بجميع صورها وكافة أشكالها. ورسالة صلى الله عليه وسلم- لابد وأن تقف حاجزاً قوياً يحول بين كافة الناس فى أرجاء الأرض، وبين رذائل الأخلاق المنتشرة فى مجتمعاتهم، لتحويل هذه الرذائل إلى فضائل إنسانية، يحيون بها، ويعيشون فى ظلالها، ويحل تفككهم الاجتماعى إلى روابط، وتنهض بالعقول والأفكار إلى التفكر فى الكون وما أودعه الله فيه من عبر وآيات وأسرار، وإخماد الفتن والحروب، ولتعرف كل أمة كرامتها، وتعمل جاهدة على المحافظة عليها وحمايتها[3].

والنبوة أجل مراتب الحياة فلا يختار لها إلا الكملة الأعلون فرسالة أكمل الأنبياء أكمل الرسالات الإلهية. وتفاضل الأنبياء والرسل بتفاضل

---

(١) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٢٩٨، ٢٩٩ (بتصرف).

(٢) سورة البقرة آية ١٨.

(٣) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٠١/١ (بتصرف).

رسالتهم قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [1].
فرسول الله صلى الله عليه وسلم- اختص بالنور الذى لا نور بعده ولا قبله فكل الذى فعل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقوال ،افعال كلها أنوار يهتدى بها الحائر فالنورانية الأولى التى اختص بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الحديث فهو الصدوق المصدق الأمين والنورانية الثانية صلة الرحم، والنورانية الثالثة تحمل الكل أى الضعيف، النورانية الرابعة تكسب المعدوم كلا يا أبا القاسم لن يخزيك الله أبداً ولن يخزنك أبداً، النورانية الخامسة: يقرى الضعيف صلى الله عليه وسلم، النورانية السادسة الإعانة على نوائب الحق كلا يا أبا القاسم صلوات الله عليك لن يخزيك الله أبداً، وكيف يخزيك ربك وهو الذى وهبك منذ شرف الوجود فطرة جامعة لكل مكرمة وفضيلة؟ ولن يخزيك الله أبداً وكيف يخزيك وسبحانه عز وجل أعدك لحمل عبئ أفضل رسالة ختم بها رسالاته إلى خلقه؟ إليس الله عز شأنه هو الذى آواك إلى كنف رعايته، وهو الذى تولى تربيتك بأخص إنعاماته، وفواضل إحسانه، فأدبك بارفع آدابه، وهو الذى طبعك على أكرام خلائق الإنسانية لتكون هادياً بإذنه، وداعياً إلى عدله ورحمته، ونصيراً للمظلومين من عباده معواناً على إقرار الحق فى موضعه، الأمانة السايعة أداء الأمانة كلا يا أبا القاسم صلوات الله عليك. لن يخزيك الله أبداً وأنت الذى فطرك الله على مكارم الأخلاق، وجمع لك أصولها التى تتفرع منها سائر الفضائل الإنسانية[2]، يقول الإمام قتادة: العلم نعمة من الله عز وجل عظيمة، لولاها لم يقم دين، ولم يصلح عيش، فدل على كمال كرمه بأن علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها إلا هو وما دونت

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٣.

(٢) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٠٢/١ وما بعدها (بتصرف).

العلوم، ولا قُيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة[1].

أهداف الدعوة ومقاصد الرسالة:

دعوة الحق لسيدنا إمام الأنبياء والمرسلين تستهدف إخراج الناس من الظلمات إلى النور، بل إخراج الحياة كلها بما فيها ومن فيها من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له. وتستهدف دعوته- صلى الله عليه وسلم- تخليصهم من رذائل الأخلاق ليكونوا ربانيين فى حياتهم وأخلاقهم- وتستهدف دعوته صلى الله عليه وسلم تخليصهم من شراسة القوة الطاغية- وتستهدف دعوته صلى الله عليه وسلم- تخليصهم من مساوئ الأنانية، وسيطرة الغرائز المادية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [2].

وما سبق من أهداف جاءت بها رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- وغايتها ومقاصدها، جعلت العلم بجميع فنونه المادية والفكرية والمعرفة بأنواعها التجريبية والعقلية وسيلة تحقيقها، لكن المجتمع البشرى الذى أرسل فيه وإليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- بجميع أممه وشعوبه وجماعاته وأفراده، لم يكن يعرف هذه الأهداف ولا يحاول أن يعرفها.. عبء فادح وتكليف شاق، وجهد مثقل ومفاجأة دون تمهيد، ولكنه تشريف دونه كل شرف فى هذه الحياة[3].

أفضليته صلى الله عليه وسلم على جميع الخلق

نحن نعلم بأن قدر رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم عظيم لا يصل إليه واصل ولا يبلغه لاحق، من فضله الله عز وجل بنصف الشهادة، ونصف التحيات من خصه الله بالفضائل العظيم فهو حبيب رب

---

(١) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٣٢/٣ (بتصرف).

(٢) سورة الحجرات آية ١٠.

(٣) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٣٨/١ (بتصرف).

العالمين وأى فضل أعظم من ذلك وأى نعمة أتم من ذلك إنه صلى الله عليه وسلم من أختازه الله سبحانه من جميع أنبيائه ورسله وأولياؤه وأصفياؤه بالحب الدائم والنعيم الذى لا يحول ولا يزول، وقد اختصة بالرسالة العظمى بكل البشارات، بالشفاعة الكبرى، قال تعالى: ﴿وكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ﴾(١). وقال صلى الله عليه وسلم (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) (٢).

فيجب الإيمان الكامل، والاعتقاد الذى لا شك فيه بأنه صلى الله عليه وسلم- أفضل الأنبياء والمرسلين، بل أفضل الخلق أجمعين قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ورَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ (٣). وقد قيل أن أفضليته صلى الله عليه وسلم- بقوله تعالى: ﴿ورَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(٤).

ثالثاً قال تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(٥).

رابعاً: أن الله تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم- أن يتحدى بكل سورة من القرآن فقال: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ (٦).

خامساً: أن معجزة رسولنا صلى الله عليه وسلم أفضل من معجزات سائر الأنبياء فوجب أن يكون رسولنا افضل من سائر الأنبياء،

سادساً أنه تعالى بعد ما حكى أحوال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾(٧).

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٦.

(٢) روى الحديث عن إسحاق بن نضر عن أبى هريرة- رضى الله عنه- قال (كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم- فى دعوة فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة، وقال: أنا سيد الناس يوم القيامة .. الخ).

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٣.

(٤) سورة الأنبياء آية ٧.

(٥) سورة التين آية ٤.

(٦) سورة النساء آية ٥.

(٧) سورة البقرة آية ٢٣.

سابعاً: أنه صلى الله عليه وسلم بعث إلى كل الخلق وذلك يقتضى أن تكون مشقته أكثر فوجب أن يكون أفضل قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾[1].

ثامناً: أن دينه صلى الله عليه وسلم- أفضل الأديان فيلزم أن يكون هو صلى الله عليه وسلم- أفضل الأنبياء بيان الأوّل أنه تعالى جعل الإسلام ناسخاً لسائر الأديان والناسخ يجب أن يكون أفضل لقوله- عليه الصلاة والسلام- (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) [2].

تاسعاً: أمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- أفضل الأمم فوجب أن يكون هو صلى الله عليه وسلم- أن يكون أفضل الأنبياء، بيان الأول قوله سبحانه وتعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [3].

بيان الثانى أن هذه الأمة الإسلامية- نالت هذه الفضيلة لمتابعته صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[4].

عاشراً: أن نبينا صلى الله عليه وسلم. أكثر ثواباً لأنه مبعوث إلى الجن والإنس فوجب أن يكون ثوابه أكثر لأن لكثرة المستجيبين أثراً فى علو شأن المتبوع، وأنه صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء والمرسلين فوجب أن يكون أفضل لأن نسخ الفاضل بالمفضول، وفى الحديث عن إسحاق أى لقد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا أبو حيان عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: (كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوة فرفع إليه الذراع.وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال: أنا سيد الناس يوم

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٠.

(٢) سورة سبأ آية ٢٨.

(٣) سورة آل عمران آية ١١٠.

(٤) سورة آل عمرن آية ٣١.

القيامة هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فينصرهم الناظر، ويشمعهم الداعى، وتدنوا عنهم الشمس فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس أبوكم آدم، فيأتونه فيقول: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول ربى غضب غضباً لم يغضب قبله مصله، ولا يغضب بعده مثله، ونهاني على الشجرة فعصيته، نفسى نفسى إذهبوا إلى غيرى إذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيأتون نوحاً فيقول يا نوح أنت أوّل الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً أما ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسى نفسى ائتوا النبى صلى الله عليه وسلم فيأتونى فأسجد تحت العرش فيقال يا محمد ارفع رأسك وأشفع تشفع وسل تعطى)[1].

---

(١) ينظر صحيح البخارى ٧٥٩٢ كتاب أحاديث الأنبياء.

الفصل الثانى

التعريف بالسنَّة النبوية، وكيف تطورت، وعلاقة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأديان السماوية الأخرى

لا ريب أن سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- تشكل الركيزة الأساسية لحركة التاريخ العظيم الذى يعتز به المسلمون على اختلاف لغاتهم وأقطارهم وأوّل ما دونه الكاتبون المسلمون من وقائع التاريخ وأحداثه ، هو أحداث السيرة النبوية، ثم تلا ذلك تدوين الأحداث التى تسلسلت على أثرها إلى يومنا هذا. فالسيرة النبوية تشكل المحور الذى تدور حوله حركة التدوين لتاريخ الإسلام فى الجزيرة العربية، بل هى العامل الذى أثر فى أحداث الجزيرة العربية أولاً.. ثم فى أحداث سائر العالم الإسلامى ثانياً..

تأتى كتابة السيرة النبوية- من حيث الترتيب الزمنى- فى الدرجة الثانية بالنسبة لكتابة السنة النبوية، فلا جرم أن كتابة السنة، أى الحديث النبوى، كانت أسبق من كتابة السيرة النبوية عموماً، إذ السنة بدأت كتابتها، كما هو معلوم. فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم- بإذن بل بأمر منه- عليه الصلاة والسلام- وذلك بعد أن اطمأن إلى أن أصحابه قد تنبهوا للفارق الكبير بين أسلوبى القرآن المعجز والحديث النبوى البليغ، فلن يقعوا فى لبس بينهما، أمّا كتابة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم- ومغازيه بصورة عامة، فقد جاء ذلك متأخراً عن البدء بكتابة السنة، وإن كان الصحابة يهتمون بنقل سيرته ومغازيه شفاهة وأوّل من أهتم بكتابة السيرة النبوية عموماً- هو عروة بن الزبير المتوفى (٩٢) ثم أبان بن عثمان المتوفى (١٠٥)، ثم وهب بن منبه المتوفى (١١٠)، ثم شرحبيل بن سعد المتوفى (١٢٣)، ثم ابن شهاب الزهرى المتوفى (١٢٤) أن هؤلاء يعدون ولا ريب، فى مقدمة من اهتموا بكتابة السنة النبوية كما تعد كتاباتهم طليعة هذا العمل العلمى العظيم، بل تعد الخطوة الأولى- كما ألمحنا- إلى

كتابة التاريخ والاهتمام به عموماً، هذا يقطع النظر عن أن الكثير من أحداث السيرة منشور فى كتاب الله تعالى وفى بطون كتب السنة التى تهتم من سيرته صلى الله عليه وسلم بأقواله، وأفعاله لا سيما ما يتعلق منها بالتشريع، غير أن جميع ما كتبه هؤلاء قد باد وتلف مع الزمن، فلم يصل إلينا منه شئ، ولم يبق منه إلا بقايا متناثرة روى بعضها الطبرى، ويقال أن بعضها الآخر- وهو جزء مما كتبه وهب بن منبه- محفوظ فى مدينة هابدلبرج بألمانيا.

ولكن جاء فى الطبقة التى تلى هؤلاء من تلقف كل ما كتبوه، فأثبتوا جلة فى مدوناتهم التى وصل إليها معظمها بحمد الله وتوفيقه، ولقد كان فى مقدمة هذه الطبقة محمد بن إسحاق المتوفى (١٥٢)، وقد اتفق الباحثون على أن ما كتبه محمد بن إسحاق يعد من أوثق ما كتب فى السيرة النبوية فى ذلك العهد [١].

ولكن لم يصل إلينا كتابه (المغازى) بذاته إلا أن أبا محمد عبد الملك المعروف بابن هشام قد جاء من بعده، فروى لنا كتابه هذا مهذباً منقحاً ولم يكن قد مضى على تأليف ابن اسحاق له أكثر من خمسين سنة.

يقول ابن خلكان: (وابن هشام هذا. هو الذى جمع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم- من المغازى والسير لابن اسحاق.وهذبها، ولخصها، وهى السيرة الموجودة بأيدى الناس والمعروفة بسيرة ابن هشام) [٢].

وعلى كل فإن مصادر السيرة النبوية التى اعتمدها سائر الكتاب على اختلاف طبقاتهم محصورة فى المصادر التالية:

---

(١) انظر ما كتبه سيد الناس فى مقدمة كتابه عيون الأثر عن ابن إسحاق وترجمته.

(٢) وفيات الأعيان ١/٢٩٠، الطبقة الميمنية.

أولاً: كتاب الله تعالى فهو المعتمد الأول فى معرفة الملامح العامة لحياة النبى -صلى الله عليه وسلم- وفى الاطلاع على المراحل الإجمالية لسيرته الشريفة بقطع النظر عن أسلوب القرآن فى بيان ذلك.

ثانياً: كتب السنة النبوية، وهى تلك التى كتبها أئمة الحديث المعروفون بصدقهم وأمانتهم ككُتب السنة وموطأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد وغيره، وإن كانت عناية هذه الكتب الأولى إنما تنصرف إلى أقوال رسول الله وأفعاله من حيث أنها مصدر تشرح لا من حيث هو تاريخ يدون، ولذلك رُتبت أحاديث كثير من هذه الكتب على الأبواب الفقهية، ورتب بعضها على أسماء الصحابة الذين رووا هذه الأحاديث ولم يراع فيها التتابع الزمنى للأحداث.

ثالثاً: الرواة الذين اهتموا بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم- وحياته عموماً وقد كان فى الصحابة الكثير فمن اهتم بذلك، بل ما من صحابى كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم- فى مشهد من مشاهد سيرته إلا ورواه لسائر الصحابة ولمن بعده أكثر من مرة، ولكن دون أن يهتم واحد منهم فى بادئ الأمر بجمعها وتدوينها، وأحب أن ألفت النظر إلى الفرق بين عموم ما يسمى كتابة وتقييداً، وخصوص ما يسمى تأليفاً أو تدويناً أما الأول: فقد كان موجوداً بالنسبة للسنة فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم- كما ذكرت آنفاً، وأمَّا الثانى: (ويراد به الجمع والتنسيق بين وقتهم) فقد ظهر فيما بعد، عندما ظهرت الحاجة إلى ذلك.

المنهج العلمى فى رواية السيرة النبوية:

من المعلوم أن كتابة السيرة النبوية تدخل فى عموم ما يسمى تاريخياً، وإن كانت السيرة النبوية- كما أوضحنا- منطلقاً للتاريخ وحافزاً على رصد الوقائع والأحداث التى خلت قبلها والتى جاءت متسلسلة على أعقابها. وقد اعتمد منهجهم على المذهب الموضوعى.

لقد كانوا يرون أن الحادثة التاريخية التى يتم الوصول إلي معرفتها ضمن نفق من هذه القواعد العلمية التى تتسم بمنتهى الدقة، حقيقة مقدسة يجب أن تجلى أمام الأبصار والبصائر كما هى كما كانوا يرون أن من الخيانة التى لا تغتفر أن يُنصب من التحليلات الشخصية والرغبات النفسية التى هى فى الغالب أنعكاسات البيئة ومن ثمار العصبية ما كم مسلط يستبعد منها ما يشاء ويحور فيها كما يريد.

ضمن هذه الوقاية من القواعد العلمية، وعلى ذلك الأساس عن النظرة الموضوعية للتاريخ، وصلت إلينا سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم- بدءاً من ولادته ونسبه، إلى طفولته، قصبوته اليافعة، إلى الارهاصات الخارقة التى صحبت مراحل طفولته وشبابه، إلى بعثته وظاهرة الوحى التى تجلت فى حياته، إلى أخلاقه وصدقه وأمانته، إلى الخوارق والمعجزات التى اجراها الله تعالى على يده إلى مراحل الدعوة التى سار فيها لتلبية أمر ربه من سلم فدفاع فجهاد مطلق حينما طاف بالدعوة إلى الله تعالى أى تهديد، إلى الأحكام والمبادئ الشرعية التى أوصى بها إليه، قرآناً معجزاً يتلى، وأحاديث نبوية تشرح وتبين.

ومن هذه القواعد القياس الاستقرائى، وقانون الالتزام بأنواعه المختلفة والدلالات بأنواعها.. الخ.

ولقد استنبطت من أحداث السيرة النبوية طبقاً لهذه القواعد أحكام كثيرة منها ما يتعلق بالاعتقاد واليقين، ومنها ما يتعلق بالتشريع والسلوك، والمهم فى هذا الصدد أن تعلم بأنها جاءت منفصلة عن التاريخ وتدوينه، بعيدة عن معناه ومضمونه، وإنما كانت نتيجة معاناة عملية أخرى نهضت فى حد وجودها على البيان التاريخى الذى قام بدوره على القواعد العلمية السابقة[1].

---

(١) فقه السيرة من ص ١٩: ٢٣.

السيرة النبوية على ضوء المذاهب الحديثة فى كتابة التاريخ:

فى القرن التاسع عشر ظهرت طرائق كثيرة متنوعة فى كتابة التاريخ وتدوينه، إلى جانب الطريقة الموضوعة أى المذهب العلمى، وقد تلاقى معظم هذه المذاهب فيما أطلق عليه اسم المذهب الذاتى، ويعد (فرويد) من أكبر الدعاة إليه والمتحمسين له ولا يرى أقطاب هذا المذهب من ضير فى أن يقحم المؤرخ نزعته الذاتية أو اتجاهه الفكرى أو الدينى أو السياسى، فى تغير الأحداث وتعليلها والحكم على أبطالها بل أنهم يرون أن هذا هو واجب المؤرخ، لا مجرد وصف الأخبار وتجميع الوقائع العارية، وهذه الطريقة تجعل كتابة التاريخ وتدوينه عملاً فنياً مجرداً، ولا تسمح بعده فهو هنا يعمل على تدقيق...

والحقيقة أن المذهب الجديد فى كتابة التاريخ قد أصبح أساساً لمدرسة جديدة فى دراسة السيرة النبوية وفهمها عند طائفة من الباحثين، ويقود نشأة هذه المدرسة إلى أيام الاحتلال البريطانى لمصر لقد كانت مصر آنذاك منبر العالم الإسلامى كما نعلم يعنوا إليه بتفكيره وعقله كلما أراد أن يعلم عن الإسلام علماً، كما يصفو إلى كعبة الله بوجهه كلما اراد حجاً أو صلاة، وكان فى استمرار هذا الصوت العظيم من جانب وفى استمرار انصات العالم الإسلامى إليه من جانب آخر، ما لاندع للإحتلال البريطانى فرصة هدوء أو استقرار ومهما أخضعت بريطانيا لنفسها الوادى كله تحت سلطان من قوة الحديد والنار، وأنه خضوع موقوت لا يطمأن إليه، ما ابقيت للأزهر هذه القيادة الحية.

لذا كان لابد للاحتلال البريطانى من الإقدام على أحد علاجين لا ثالث لهما: أولهما: أن يقطع ما بين الأزهر والأمة، بحيث لا يبقى له عليها من سلطان، ثانيهما: أن يتم التسلل إلى مركز العمليات القيادية فى الأزهر ذاته فتوجه قيادته الوجهة التى ترضى مصالح الاحتلال وتهيئ له أسباب

الطمأنينة والاستقرار[1].

ولم تتردد بريطانيا فى اختيار العلاج الثانى، نظراً إلى أنه أقرب منالاً، وأبعد عن الملاحظة والانتباه[2].

وكان السبيل الوحيد على هذا التسلل نحو القيادة العلمية والفكرية داخل الأزهر، الاعتماد على نقطة ضعف أنمة كانت تعانى منها مشاعر الأمة الإسلامية عامة، بما فيها مصر وغيرها وهى أحساس المسلمين بما انتباهم من الضيعة والتخلف والشتات، إلى جانب ملاحظتهم للنهضة العجيبة التى نهضها الغرب فى شتى المجالات الفكرية والعملية والحضارية!.. لقد كان المسلمون يتطلعون ولا ريب إلى اليوم الذى يتحررون فيه من الأثقال التى خلفتهم إلى الوراء ليشتركوا مع الآخرين فى رحلة الحضارة والمدينة والعلم الحديث.

من هذا السبيل تسلل الهمسى، بل الكيد الأستعمارى إلى صدور بعض قادة الفكر فى مصر، ولقد كان مؤدى هذا الهمس أن الغرب لم يتحرر من أغلاله، إلا يوم اخضع الدين لمقاييس العلم.. فالدين شئ والعلم شئ آخر، ولا يتم التوفيق بينهما إلا بإخضاع الأوّل للثانى، وإذا كان العالم الإسلامى مريضاً حقاً على مثل هذا التحرر فلا مناص له من أن يسلك الطريق ذاته وأن يفهم الإسلام هذا، كما فهم الغرب النصرانية هناك.. ولا يتحقق ذلك إلا يتخلص الفكر الإسلامى من سائر الغيبيات التى لاتفُهم ولا تخضع لمقاييس العلم الحديث. من هذا السبل تسلل الهمس، بل الكيد الاستعمارى إلى صدور بعض من قادة الفكر فى مصر، ولقد كان مؤدى هذا الهمس أن الغرب لم يتحرر من أغلاله إلا يوم أخضع الدين لمقاييس العلم.. فالدين شئ والعلم شئ آخر، ولا يتم التوفيق بينهما إلا بإخضاع الأوّل للثانى وإذا كان العالم

---

(١) ينظر فقه السنة مرجع سابقة ص ٢٣، ٢٤ (بتصرف).

(٢) ينظر منكرات اللورد كرومر والاتجاهات الوطنية فى الأدب الحديث د/ محمد محمد حسين.

الإسلامى حريصاً حقاً على مثل هذا التحرر فلا مناص من أن يسلك الطريق ذاته.. وأن يفهم الإسلام هنا، كما فهم الغرب النصرانية هناك.. ولا يتحقق ذلك إلا يتخلص الفكر الإسلامى من سائر الغيبيات التى لا تفهم ولا تخضع لمقاييس العلم الحديث. وسرعان ما خضع لهذا الهمس. أولئك الذين انبهرت أبصارهم بمظاهر النهضة الأوروبية الحديثة.

ممن لم تترسخ حقائق الإيمان بالله فى قلوبهم و لاتجلت حقائق العلم الحديث وضوابطه فى عقولهم. فتنادوا فيما بينهم بالتحرر من كل عقيدة غيبية لم تصل إليها فى اكتشافات العلم الحديث. ولم تدخل تحت سلطان التجربة والمشاهدة الإنسانية. فكان أن قاموا بما اسمى فيما بعد الاصلاح الدينى.. واقتضى منهم ذلك. أموراً عديدة منها كتابة السيرة النبوية وفهمها.. واعتماد منهج جديد فى تحليلها .. ولقد كان لهم فى الطريقة الذاتية فى كتابة التاريخ خير ملجأ يعينهم على تحقيق ما قصدوا إليه .. وبدأت تظهر كتب وكتابات فى السنة النبوية تستبدل بميزان الرواية والسند وقواعد التحديث وشروطه.

طريقة الاستنتاج الشخصى، وميزان الرضا النفسى، ومنهج التوسم الذى لا يغبطه شئ إلا دوافع الرغبة، وكوامن الأغراض والمذاهب التى يضمرها المؤلف.. واعتماداً على هذه الطريقة أخذ يستبعد هؤلاء الكاتبون، كل ما قد يخالف المألوف ، مما يدخل فى باب المعجزات والخوارق، من سيرته صلى الله عليه وسلم- وراحوا يروجون له صفة العبقرية والعظمة والبطولة وما شكالها، شغلاً للقارئ بها عن صفات قد تجره إلى غير المألوف من النبوة والوحى والرسالة ونحوها مما يشكل المقومات الأولى لشخصية النبى صلى الله عليه وسلم ويعد كتاب حياة محمد لحسين هيكل أبرز، نموذج لهذا الاتجاه فى كتابة السيرة النبوية، ويعبر مؤلفه عن اتجاهه هذا بصراحة وفخر عندما يقول: "إننى لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث، لأننى فضلت أن أجرى هذا البحث على الطريقة العلمية"!..

إنك لتراهم يمجدون شخص محمد صلى الله عليه وسلم- وينوهون بعظمته وصفاته الحميدة، ولكن بعيداً عن كل ما قد ينبه القارئ إلى شئ من معنى النبوة، أو الوحى فى حياته. وبعيداً عن الاهتمام بالأسانيد والروايات التى قد يضطرهم الأخذ بها إلى اليقين بأحداث ووقائع ليس من صالحهم اعتمادها أو الاهتمام بها. وهكذا وجد أبطال هذه المدرسة الجديدة، فى اتباع المذهب الذاتى فى كتابة التاريخ هذه المدرسة الجديدة، فى اتباع المذهب الذاتى فى كتابة التاريخ الميدان الفسيح الذى يمكنهم من نبذ كل ما لا يعجبهم من حقائق السيرة النبوية مهما جاءت مدعومة بدلائل العلم واليقين، متخذين من ميولهم النفسية، ورغباتهم الشخصية وأهدافهم البعيدة، حاكماً مطلقاً على حقائق التاريخ وتحليل ما وراءه من العوامل وحكماً مطلقاً لقبول ما ينبغى قبوله ورفض ما يجب رفضه.. لذا كانت هذه الطريقة فى دراسة السيرة النبوية خصوصاً والتاريخ الإسلامى عموماً مكيدة خطيرة غشيت عن رؤيتها أعين البسطاء من بعض المسلمين وصادفت هوى وقبولاً حسناً عند طائفة أخرى من المنافقين وأصحاب الأهواء.

لقد غاب عن أعين البسطاء أن ذلك الهمس الاستعمارى الذى يدعو المسلمين إلى ما أسموه بثورة اصلاحية فى شئون العقيدة الإسلامية، إنما استهدفت فى الحقيقة نسف هذه العقيدة من جذورها.

وغاب عنهم أن تفريغ الإسلام من حقائقه الغيبية، إنما يعنى حشوة بمنجزات ناسفة تخيله أثراً بعد عين. ذلك لأن الوحى الإلهى وهو ينبوع الإسلام ومصدره، يُعدّ قمة الخوارق والحقائق الغيبية كلها. . ولا ريب أن الذى يسرع إلى رفض ما قد جاء فى السيرة النبوية من خوارق العادات. بحجة اختلافها عن مقتضى سنن الطبيعة ومدارك العلم الحديث، يكون أسرع إلى رفض الوحى الإلهى كله بما يتبعه ويتضمنه من أخباراته عند النشور والحساب والجنة أو النار بالحجة الطبيعية ذاتها.. كما غاب عنهم

أن الدين الصالح فى ذاته لا يحتاج فى عصر ما إلى مصلح يتدارك شأنه أو اصلاح يغير فى جوهرة. غاب عن هؤلاء الناس هذا كله، مع أن إدراكهم له كان فى أبسط مقتضيات العلم لو كانوا يتمتعون بحقيقة وينسجمون مع منطقيته، ولكن أعينهم غشيت فى غمرة إنبهارها بالنهضة الأوروبية الحديثة وما قد حف بهما من شعارات العلم وألفاظه. فلم تبعد من حقائق المنطق والعلم إلا عناوينها وشعاراتها. وقد كانوا بأمس الحاجة إلى فهم كامل لما وراء تلك العناوين وإلى هضم صحيح لمضمون تلك الشعارات فلم يعد يتأثر بتفكيرهم إلا خيال نهضت، وإصلاحية، تطور العقيدة الإسلامية هنا كما تطورت العقيدة النصرانية هناك وهكذا فقد كان عماد هذه المدرسة الحديثة التى أشرنا إليها بإيجاز هياجاً فى النفس أكثر من أن يكون حقيقة علمية مدروسة استحوذت على العقل[1]. من المعلوم أن محمداً صلى الله عليه وسلم- عندما ظهر فى الجزيرة العربية، قدم نفسه إلى العالم على أنه نبى مرسل من قبل الله عز وجل إلى الناس كافة، ليؤكد لهم الحقيقة التى بعث بها الأنبياء الذى خلوا من قبل، ولتحملهم المسؤوليات ذاتها التى حملها الأنبياء السابقون أقوامهم، موضحاً أنه آخر نبى مرسل فى سلسلة الرسل الذين تعاقبوا مع الزمن، ثم زاد نفسه تعريفاً لهم فأوضح أنه ليس إلا بشراً من الناس يسرى عليه جميع سمات البشرية وأحكامها، ولكن أن أنمنه- بوساطة الوحى- على تبليغ الناس رسالة تعرفهم بهوياتهم الحقيقية، وتنبهم إلى موقع هذه الحياة الدنيا من خارطة المملكة الإلهية زماناً ومكاناً، وإلى مصيرهم الذى سيلقونه حتماً بعد الموت، كما تلفت نظرهم إلى ضرورة إنسجامهم فى سلوكهم الاختيارى مع هوياتهم التى لامفر منها، أى أن عليهم أن يكونوا عبيداً لله بتعبدهم وسلوكهم الاختيارى. كما تحققت فيهم هذه العبودية بالواقع الاضطرارى ثم أكد لهم بكل مناسبة

---

(١) فقه السنة ص ٢٣: ٢٧.

أنه لا يملك أن يزيد أو ينقص أو يبدل شيئاً من مضمون هذه الرسالة التى حمّله الله مسئوليه إبلاغها إلى الناس جميعاً، بل أكد البيان الإلهى ذاته هذه الحقيقة: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (*) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (*) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ (*) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[1].

إذاً فإن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم- لم يقدم نفسه إلى العالم زعيماً سياسياً أو قائداً وطنياً، أو رجل فكرة ومذهب. أو مصلحاً اجتماعياً، بل لم يتخذ لنفسه خلال حياته كلها. أى سلوك قد يوحى بأنه يسعى سعياً ذاتياً على شئ من ذلك. وإذا كان الأمر هكذا فإن الذى يفرضه المنطق علينا. عندما نريد أن ندرس حياة رجل هذا شأنه. أن ندرس حياته العامة من خلال الهوية التى قدم نفسه إلى العالم على أساسها لنتجلى فيها دلائل الصدق أو عدمه على ما يقول!!

وهذا يلزمنا- بلا ريب- أن ندرس جميع النواحى الشخصية والإنسانية فى حياته ولكن على أن نجعل من ذلك كله قبساً هادياً يكشف لنا ببرهان علمى وموضوعى عن حقيقة هذه الهوية التى قدم نفسه إلى العالم على أساسها. إن المنطق يقضى أن ندرس حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من شتى جوانبها نشأته، وأخلاقه، وحياته الشخصية والبيئة وصبره، وكفاحه، وسلمه وحربه، وتعامله مع أصدقائه، وأعدائه وموقفه من الدنيا وأهوائها وزخرفتها. دراسة موضوعية. نتوخى الصدق والدقة بناء على المنهج العلمى الذى يقضى أن ندرس ذلك كله.. فنجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم- لم يخترع عنده شرعة وأحكاماً وإنما كان أميناً على إبلاغها إيانا. قضاء مبرماً من لدن رب العالمين عندئذ نتنبه إلى عظم مسؤولياتنا تجاه هذه الشرائع والأحكام رعاية وتنفيذاً، ونعلم علم اليقين بأنه نبى مرسل من قبل الله عز وجل أسلمتنا نبوته بدورها إلى المخرج من الحيرة

---

(١) سورة الحاقة آية ٤٤.

والوقوف على السر بالنسبة لهذه الألغاز، إن النبى الصادق فى نبوته لابد أن يكون مؤيداً من قبل الإله الذى أرسله. ولابد أن يكون القرآن وحى هذا الإله إليه. فالقانون المتكامل إذا تنزيله وشرعته وليس من تأليف أمة أمته حتى يقع العجب وتطبق الحيرة.

والله الواحد الأحد يقول للمؤمنين فى محكم تبيانه: ﴿ ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1]، ويقول: ﴿ ونُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾[2]، ويقول: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ المَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ (*) ومَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى ولِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ومَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3].

فقد اتضح المهم، وظهر الحل، وانجلت الغاشية، وعاد الأمر طبيعياً إذ ينظر خالق القوى والقدر عبادة المؤمنين به الملتزمين بمنهجه ويحقق لهم الفوز على من يشاء [4].

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٩.

(٢) سورة القصص آية ٥.

(٣) سورة آل عمران آية ١٢٦.

(٤) ينظر فقه السنة ص ٢٩: ٣٢ (بتصرف).

قبس من معجزات سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم

إن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم- وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده إياهم إلى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته فى مضايق الأسئلة وبدائع تدابيره فى مصالح الخلق ومحاسن إشارته فى تفعيل ظاهر الشرع الذى يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها فى طويل أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك فى أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستعداد من تأييد سماوى وقوة إلهية وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى إن العربى الفتح (الخالص) كان يراه فيقول: والله ما هذا وجه كذاب، فكان يشهد له بالصدق بمجرد رؤية شمائلة فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله فى جميع مصادره وموارده صلى الله عليه وسلم وصحابه وسلم- فهو صلى الله عليه وسلم﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (١)،﴿وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٢)، ويقول صلى الله عليه وسلم(أدبنى ربى فإحسن تأديبى) (٣).

فمن هذه المعجزات الباهرات التى دلت على كمال رسالته صلى الله عليه وسلم- شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية وأطعم النفر الكثير من الطعام القليل فى منزل جابر ابن عبد الله -رضى الله عنه- وفى منزل أبى طلحة وزوجته -رضى الله عنهما- ومرة أطعم ثمانين من أربعة أمداد وشعير وعناق وهو الصغير من اولاد المعز، ومرة أكثر من ثمانين رجلا

---

(١) النجم آية ٥.

(٢) القلم آية ٤.

(٣) صحيح معجزات النبى صلى الله عليه وسلم -ص٣٢: ٣٣ (بتصرف).

من أقراص شعير ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم.

ونبع الماء من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضؤوا من قدح صغير ضاق عن أن يبسط عليه الصلاة والسلام يده فيه، واهراق عليه الصلاة والسلام- ماء وضوئه في عين تبوك ولا ماء فيه ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشت بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء -صلى الله عليه وسلم أمر عليه الصلاة والسلام- عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكة فزودهم كلهم منه وبقي منه فحبسه أي: جعل باقي التمر عنده

-ورمى جيش قريش في غزوة بدر بقبضة من تراب فعميت عيونهم، قال تعالى: ﴿ ومَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾[1].

- وأبطل الله الكهانة بمبعثه صلى الله عليه وسلم.

- وحن جذع الشجرة الذى كان يخطب عليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الأبل فضمه إليه فسكن ودعا اليهود إلى تمنى الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه قال تعالى ﴿ولَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[2].

- وأخبر عليه الصلاة والسلام -بأمور غيبية منها أنذر عثمان بأنه تصيبه بلوى بعدها الجنة فقتل مظلوما وبأن عمار تقتله الفئة الباغية فكان مع على وقتله جيش معاوية وأن الحسن بن على يصلح الله به بين فئتين

---

(١) الأنفال آية ١٧.

(٢) البقرة آية ٩٥.

من المسلمين عظيمتين فتنازل لمعاوية عن الخلافة وكان هذا العام يسمى عام الجماعة.

-وأخبر صلى الله عليه وسلم- عن رجل قاتل فى سبيل الله أنه من اهل النار فظهر ذلك بأن قتل نفسه بعد إذ آلمته جراحه فقضى على نفسه بعد أن كان قتل الكثيرين من الكفار فانتحر عياذ بالله تعالى.

- وهذا كله أشياء إلهية ربانية لاتعرف البتة بشئ من وجوه تقدمت المعرفة بها ولا بنجوم ولا بكشف ولا بخط هذه ولكن بأعلام الله له ووحيه إليه.

- واتبعه سراقة بن مالك فساجت قدما فرسه فى الأرض وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس، وبشره صلى الله عليه وسلم- بأن سيوضع فى ذراعيه سوارى كسرى فكان ذلك فى زمن عمر رضى الله عنه

-وأخبر بمقتل الأسود العنسى الكذاب ليلة قتله والرسول بالمدينة والكذاب بصنعاء اليمن، ولم يكن هناك وسائل اتصال إلا ركوب الأبل وأخبر بمن قتله.

-وخرج على مائة من قريش ينتظرونه ليلة الهجرة فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه صلى الله عليه وسلم.

وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل لسيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال لنفر من أصحابه مجتمعين "أحدكم فى النار ضرسه مثل أحد" فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد "الرجّال بن عنقرة" فقتل مرتدا..

-وقال لأخرين: "آخركم موتا فى النار" فسقط آخرهم موتا فى النار فاحترق فيها فمات.

- ودعا شجرتين فأتيتاه واجتمعا ثم أمرهم فافترقا صلى الله عليه وسلم- وكان عليه الصلاة والسلام نحو الربعة "متوسط الطول، فإذا مشى مع الطوال طالهم صلى الله عليه وسلم- ودعى صلى الله عليه وسلم- وفد

نصارى نجران إلى المباهلة- يعنى الكاذب من الفريقين يهلكه الله تعالى ففرقهم صلى الله عليه وسلم- أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا، وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه الصلاة والسلام- فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغرة ظهرت فى رقبته كغدة البعير وهلك أربد بصاعقة من السماء أحرقته.

وأخبر عليه الصلاة والسلام- أن يقتل أُبَى بن خلف الجمحى فخدشه يوم أحد خدشاً لطيفاً فكانت منيته فيه.

وأطعم عليه الصلاة والسلام- السم من امرأة يهودية فمات الذى أكل معه وهو البراء ابن معرور، وعاش هو صلى الله عليه ولم بعده أربع سنين، وكلمه الذراع المسموم، وأخبر صلى الله عليه يوم بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلاً رجلاً. فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع وأنذر عليه الصلاة والسلام بأن طوائف من أمته يغزون فى البحر فكان ذلك وزويت له الأرض فأروى مشارقها ومغاربها.

وأخبر بأن ملك أمته سيلغ ما زوى له منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أوّل المشرق من بلاد الترك إلى المغرب فى بحر الأندلس حتى حدود فرنسا الآن وبلاد البربر، ولم يتسعوا فى الجنوب ولا فى الشمال كما أخبر صلى الله عليه وسلم- سواء بسواء.

وأخبر أبنته فاطمة رضى الله عنها- بأنها أول أهله لحاقاً به فماتت بعده رضى الله عنها- بستة أشهر.

وأخبر نساؤه بأن أطولهن يداً أسرعهم لحاقاً به، فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهم يداً فى الصدقة أولهن لحوقاً من زوجاته- رضى الله عنهما- ومسح ضرع شاه حائل لا لبن لها فدرت وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضى الله عنه- وفعل ذلك مرة أخرى فى حمية أم معبد الخزايمة رضى الله عنهما- عندما كان مهاجراً ومعه أبو بكر رضى الله عنه.

ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه الصلاة والسلام بيده من غير طبيب ولا حجرة عمليات فكانت أصح عينين وأحسنيهما، وتفل فى عين على رضى الله عنه، وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية ففتح أهم حصون خيبر.

وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه عليه الصلاة والسلام- وأصيبت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم- فمسحها بيده فبرأت من حينها.

وقلَّ زاد جيش كان معه عليه الصلاة والسلام- فدعا بجمع ما بقى فاجُمع شئ يسير جداً فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم بأخذوا فلم يبق وعاء فى المعسكر إلا ملئ من ذلك الطعام.

وحكى (قَدَّد) الحكم بن العاص بن وائل مشيته عليه الصلاة والسلام مستهزئاً فقال عليه الصلاة والسلام: كذلك فكن فلم يزل يمشى مرتعشاً حتى مات

أمَّا المعجزة التى أذهلت العرب والعجم، والتى أعجزت كل العرب من فصحاء وبلغاء وأرباب العقول هى القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، والذى يزداد تجدداً، كلما تقدم الدهر ويزداد حلاوة، على ألسنة القارئين ويرتقى بقبول التالين ويشنف آذان السامعين، ويوجه الجميع إلى محاسن الأخلاق وكرائم الشيم والآداب غير ما فيه من أحكام العبادات، وحصن المعاملات، وتشتهد بما قال فيه ألد أعداء الله عتبة بن ربيعة أنه لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وأن أسفله لمغدق وأنه يعلو ولا يعْلى عليه، وما هو بقول البشر.. وحُسبك أنه كلام الحميد المجيد[1]، الفعال لما يريد رب السموات والأراضين ومن فيهن والمتصرف الوحيد لكل مافى السموات والأرض بديع السنع، سبحانه- جلا وعلا.

---

(١) ينظر معجزات النبى صلى الله عليه وسلم- للإمام الحافظ عماد الدين أبى الفدا إسماعيل بن كثير، ص ٣٢: ٣٨ (بتصرف).

حفاوة الحبيب بالحبيب الإسراء والمعراج

أعظم آيات الأعجاز الكونى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

هذه الآية العظيمة هى المعجزة الفريدة الخطيرة الحسية المادية التى كُتب بمداد نورها الحرف الأوّل فى سطر الحفاوة الربانية الذى أفتتحت بـه نفحات الفرج، وانكشاف غمم المحن والبلاء، وضائقات المعوقات التى كان يقيمها طغات الشرك وعتاولة الوثنية أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم- فى طريقة تبليغ رسالته، ونشر دعوته دعوة الهدى والنور، إعـلاء كلمـة الله، كلمة الحق والعدل والخير والإصلاح، والإخاء بين أبناء الإنسانية كافة، وزرع المحبة بين الناس من كل جنس ولون وجيل أينما وجدوا مـن أرض الله، لأن هذه الآية العظيمة جاءت بعد مقتضياتها التى كان من أظهرها عام الحزن، ذلك العام الذى ابتلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسـلم-بفقـد زوجة ومأنس قلبه. ومطمئن فؤاده وزيرة الصدق له فى دياجير المحـن، وهى تخفف عنه آلامه وتمسح عن نفسه ما كان يلُم به من حزن لما يلقاه من عتو الشرك وفجور الوثنية على أيدى أحلاسها من المستبكرين الطغـاة ربائب الجهل الظلوم من ملأ قريش الذين كان يدعوهم إلى النجاة ويأبون إلا أن يكون مأواهم النار، لا تخفف عنهم من عذابها وما منها بمخرجين، تلك زوجة الصدِّيقة المصدقة الأمنية الطاهرة سيدة نساء العالمين السيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها- ثم بفقد الحفى القوى، الحمى الجرئ، المطاع فى قومه، العظيم فى جاهليته، الحدب المدافع عن رسول الله صلى الله عليه وله حميَّة قومية، العزيز فى حسبه الفارع فى نسبه، الذى إذا دعا لنضـال الحماية لدفع مذلة الضيم أجابته السيوف المنافية الهاشمية شاكية تأبى أن تعرّ فى أغمادها حتى يقض بينها وبين من يـتلمظ لعـداوتها ويتعـرض لملاقاتها وسخطها.

ذلك الفحل لا يقدع أنفه، ولا يطمع فى مهادنته إذا استغصيب ولا ترام مداهنته إذا خودع: أبو طالب بن عبد المطلب سيد العظماء عم رسـول الله

صلى الله عليه وسلم حنو أبيه، صاحب المواقف التى أرعبت أفئدة ملأ قريس، وروعت أمنهم، وذهبت باستقرارهم وأذلت إستكبارهم دفاعاً عن سياج العزة الهاشمية التى أبى عليها تعززها بالسؤدد والمجد والشرف فى العرب قاطبة أن تقتل حينما فى شخص وحيد الدنيا فى عليا المكارم محمد الأمين صلى الله عليه وسلم- حفيها ونور حياتها ولباب أفئدتها، يهبون إذا أهبهم شيخهم أبو طالب، ويسكنون متحفزين إذا سكنهم فهو طوع إرادته ورهن إشارته، كانت هاتان المحنتان المتعاقبتان فى زمن يسير من أشد ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم- من أحزان الدنيا لأنه صلى الله عليه وسلم- فقد بفقدهما حنان الأنس، وعاطفة الحب فى الزوج المحبة الأمينة، وفقد القوة الحامية والحدب فى عمه الذى وقف إلى جانبه يدافع عنه ويقوى عزيمته، ويرد عنه سفه السفهاء، وعفو الطغاة، وفجور الفجار، وقد كان فقدهما عقيب محنة مريرة قاسية، تجلت فيها بشاعة اللؤم العتى وفظاعة الحقد الوثنى، والاستكبار الصنيد، تلك هى محنة الحصار الاقتصادى، والمقاطعة الصارمة، والاجاعة المميته ثلاث سنين، بين البؤس والحرمان وآنين الأطفال ودموع النساء وهذا الحصار الذى تعاهدت عليه قريش وأفقدها كل عاطفة حيوانية بل إنسانية كان أشد على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه- ومن دخل بمعهم حمية من الهاشمين والمطّلبين إبلاغاً ومضامنة وقوة من سنى يوسف، وكانت أيامها أظلم الحوالك فى دنيا الظلم والفجور، حتى أكل المحصورون ما لم يؤكل، وصبروا على ما لم يصبر عليه الصّبر من أولى البلاء والمحن، مع ما سبق ذلك من سفه سفهاء قريش وفجور ملئها فى إيذاء النبى صلى الله عليه وسلم، وأصحابه فى صور متعددة وأشكال مختلفة تدل على حنق مغيظ وغيظ حانق حقود.
وبعد أن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأسه من استجابة طغاة الوثنية البليدة لدعوة الحق والهدى، ويأسه صلى الله عليه وسلم أن يتركوه يبلغ رسالات ربه ويخلوا بينه وبين الناس فى محافلهم وأسواقهم ومواسم

تجمعاتهم ليدعوهم إلىالله الواحد الأحد الـذى يجـب أن يفـرد بـإخلاص العبادة- إلى الطائف حيث ثقيف ولفها ليؤده وينصروه حتى يبلغ رسـالته. فلقى منهم أفراداً وجماعات السفة بكبريائهم إن يسمعوا منه أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم- وأنه يدعو إلى توحيد الله وخلع الأصنام والأوثـان فأساؤا رده من أول وهلة، وتنمروا له من أول كلمة وأعلنوه بالخروج من بلدهم، وسلطوا عليه عابدانهم وغلمانهم وسائر سفائهم فوقفـوا لـه فـى طريق خروجه سماطين، يرمونه بالحجارة حتى أعيا من سوء ما لقى، فإذا عقد ليستريح من أوصلب الآلام أخذوا بقدميه وأقاموه إمعانـاً فـى دنـاءة بالهمة ولؤم الطباع، حتى بلغ مأمناً يهابه جبناء قريش فرجعوا عنه، وعاد صلى الله عليه وسلم- إلى مكه وملؤها وسفهاؤها على اخبث ما كانوا من غيظ حقود، وهكذا تجمعت غمامات الآلام عليه صـلى الله عليـه وسـلم- وتكاثفت سحب العوائق أمام نهوضه بتبليغ رسالة ربه، وانتشر الشر فـى آفاق الحياة وأحلولك الظلام فى ضبابتها، وتقاصر الأمل عن غايته، وضاقت حلقات العزائم عند كثير، واستحكم الشر فى نفوس الشـريرين، وتثـاءب اليأس المظلم، وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم- وحيداً يقلب وجهـه فى السماء انتظاراً للفرج وترقباً لإنجلاء غمامات المحن والبلايا لقد كانـت هذه المرحلة الكفاحية غير المتكافئة قميصاً للمؤمنين ودروساً لتربية صدق العزائم عن طلائع السابقين، وإعداد لكتائب الدعاة إلى الله تعالى فى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم- خبيراً جميلاً، وإحتمالاً لنـوازل الـبلاء، وتوجيهاً للأحداث بفكر حكيم محكم، وسياسة رحيمة، تجعل من العدو صديقاً حميماً، ومن السفيه الجهول حكيماً عليماً، وهنا سمع الأمين الحبيب محمد خاتم النبيين صلى الله عيه وسلم نداء القرب وتباشير النصـر فـى ليلـة الإسراء، صوت الأمل يجرى فى آفاق الحياة نغماً نشـوان يحـب الحـق، وصديق أحلام الغيب فى الملاء الأعلى يجرى باستقدام الحبيب إلـى سـدَّة التشريف الأعظم والتكريم الأكرم، بأجل ما شُرِّف بـه المشـرَّفون، ونـزل

الأمين جبريل عليه السلام سفيراً إلى الحبيب يحمل إليه رسالة الدعوة الطلبية الحفية المباركة وأشرقت شمس الفرج تملأ بأشعتها السموات والأرض وتوالت تباشير النصر فى بدء بيعات الثريين الذى ادخرهم الله تعالى لنصره دينه وتأييد نبيه صلى الله عليه وسلم- حتى تمت البيعة الكبرى التى كانت شجاً فى حلاقيم عتاة المشركين من ملأ قريش وطغاتهم فقصوا بها حقداً حانقاً تمثل فى جنون تصرفاتهم على أنصار الله الذى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يكونوا كتائب دعوته جهاداً فى سبيلها وجثوا لتبليغ رسالته.

وفى خضم هذه التباشير أسرى الله بعبده محمد صلى الله عليه وسلم- وكان هو سبحانه وتعالى الذى أخذ بيد الحبيب فأبلغه منازل القرب كما شاء، وأحل مكانة لا مطمع لمخلوق فيها، جله فوقها كما أراد غرشأنه، وأراه من آياته وعجائب ملكه وملكوته ما لم يره أحد من خلقه وعلمه ما لم يعلم، وزاده رفعة وشرفاً، وأعطاه لنفسه لأمته ما أرضى فؤاده وأثلج قلبه ويلج بأنوار المعارف الخاصة روحه، وجعله أعلم العالمين بجلال الله وعظيمة سلطانه، وخصه من الحفاوة والحياء ما لا تستطيع الأقلام تسطيريه، فهدى به وهدى له، وجعل له من لدنه سلطاناً نصيراً. وهكذا كانت آية الإسراء فى جوها الخاص والعام بلسماً لجراح بشرية محمد صلى الله عليه وسلم- التى نالها أعداء الحق والخير بالإيذاء، وكانت سراجاً وهاجاً أضاء الطريق أمام دعوته إلى الله الحق المبين، وكانت نوراً تبلج من آفاق العناية الربانية علماً ومعرفة، وشرفاً وفضلاً، ليقيم له صلى الله عليه وسلم- ولدعوته ورسالته الخالدة الخاتمة معالم الطريق الذى أسس على الكفاح الصبور فى سبيل الحق والخير والهدى والإصلاح، بغير إعجاب مادى يكره الناس على الاستجابة إلى الإيمان بالدعوة، ليكون ذلك رسماً لطريق الدعوة إلى الله أينما كانت، ومعلماً للدعاة إلى الله حيثما كانوا وكيفما كانوا، وهكذا كانت أيضاً آية الإسراء فى حقيقتها ومقاصدها صورة

جامعة للقدوة فى العلم والمعرفة، والعمل لإصلاح الحياة، وبشرى انقضاء عهد البلاء والمحن، وابتداء عهد البناء والمعرفة، ومطالعة آيات الله فى ملكوت السموات والأرض المسخرة للإنسان، وتحقيقاً لخلافة الأمة التى يربيها بنى الإسلام بعقيدته، وتعبداته، وشرائعه، وأحكامه، وسياسته، وآدابه ونظمه، ومناهجه فى الحياة، لتقيم من هذه العقائد والتعبيرات والشرائع والآداب والنظم والمناهج بناءاً شامخاً تأوى إليه الإنسانية أخوة متحابين لتكوين خير أمة أخرجت من ضمير الغيب للناس، ومن ثم كانت آية الإسراء تشريف وتكريم لسيد المرسلين، وهى أجل ما أعطيه محمد الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين من الآيات الحسنة والكوامل المادية، وهى فى فضلها وعظمة الحفاوة تالية للقرآن الكريم فى روعة دلالتها على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وعموم رسالته وخلودها وما له عند الله من مكانة ورفعة شأن، مما فُضل به على جميع الأنبياء والمرسلين بعد القرآن الكريم[1].

---

(١) محمد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- منهج ورسالة بحث وتحقيق ٢/٣٢٧: ٣٣٠.

الخلق الكامل

1- الرفق:

لقد خاطب الله سبحانه وتعالى سيدنا رسول الله ﷺ بقوله: ﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، فهو بحق الرؤوف الرحيم حيث قال صلى الله عليه وسلم: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))، رواه الإمام أحمد في مسنده، وقال صلى الله عليه وسلم: ((أدبني ربي فأحسن تأديبي)) [2]، وإذا تحدثنا عن كمال الخلق الذي اتصف به خير خلق الله كلهم لا تسعنا الصفحات ولا تستطيع الأقلام أن تصل إلى كنه حقيقته لأنه أعظم وأجلّ من أن يحيط به أحد من البشر مهما كان ولا تسعه مدارك العقول ولا يصفه واصف فيوفيه قدْره وحقه وإنما ذلك يعلمه الله وحده- جلا وعلا- ونحن إذ نتحدث عن كمال الخلق لسيدنا رسول الله ﷺ- نقرب المعنى فقط تقريباً إلى الأذهان التي أعطاها الله سبحانه قدْره بعلمها الله سبحانه ولكن قدْر سيدنا رسول الله ﷺ لا يعلمه إلى الله وحده- سبحانه-.

وقد ذكر العلماء أن كمال الخلق يشمل كثيراً من الصفات الحميدة الجميلة التي يدركها البشر كما أراد الله سبحانه فمنها: حب الفضيلة والتمسك بها والقيام بحقها، وكذا حسن العشرة ولطف المودّة، وصلة الرحم والإحسان إلى الجار القريب والبعيد. وحب الناس والرفق بهم، والتواضع وتوطئ الكنف لهم، والبشر، ولقاء الناس به، والأناه وعلمه ومنع الجفوة. وكظم النفس. واجتناب الغيظ، والحياء، وإقرار السلام على من عرف ومن لم يعرف، والجود، والزهد، والحلم والأناة.

وذلك عكس الغلظ والفظاظة، والعفو عن المسئ وإقاله عثرته وكذا يشمل الرد على المسئ بالإحسان، وتخصيص القلب من الأحبه، والإعراض

---

(١) القلم الآية ٤.

(٢) خاتم النبين ١/١ ٩٦ (بتصرف).

عن الجاهلين، وترك المهاترة والمجادلة، ويشمل التيسير، وترك التعسير والتبشير دون التنفير. وتهذيب النفس، وتربية الوجدان والتآلف مع الناس، والقرب إليهم، والرفق بالضعفاء، والقرب منهم والألم لآلامهم، والسرور لسرورهم، والاندماج فيهم من غير ثائر ولا تجانف لإثم، فإن الخُلق الحسن يؤثر فى الدعوة إلى الحق بما لا يؤثر البرهان وضروب الأمية[1]، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[2].

وأنه من أوصاف النبوة، ولقد قال الله تعالى فى ثمرات الخلق المحمدى قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[3].

العفو:

هيأ سبحانه وتعالى خاتم الأنبياء والمرسلين حبيب رب العالمين الرحمة المهداة والنعمة المسداه ليكون صلى الله عليه وسلم- الهادى الأمين إلى الحق إلى صراط الله المستقيم ذا الخلق الكامل، والحب الشامل والعفو والصفح والتسامح، الذى به تؤلف القلوب وتجمع النفوس على الخير والتقوى، إلا من طغى واستكبر وآثر الهوى على الحق، فمن صفاته الجليلة وخصاله الحميدة قبل الإسلام حب العشير، ويقرب الصديق، ولا ينعت أحد بعداوة بل صلى الله عليه وسلم- كان الملاك الطاهر بينهم، يعف عن قول الخفا، وفعله، يبتعد عن الهوى وجموحه، لا يعادى، ولا يصخب، ولا يفحش فى قوله أو عمل، وهو الصادق الصدوق الأمين الذى يعين الكل ويغيث الضعيف، ويعين على نوائب الدهر، يعفو عمن ظلمه، إلا أن يكون

---

(١) خاتم النبيين ١٩٧/١ (بتصرف).

(٢) سورة النحل آية ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩، خاتم النبيين ١٩٧/١ (بتصرف).

ذلك إنتهاك لحرمة من حرمات الله. أو اعتداء على فضيلة وإذا كان المسيح عيسى بن مريم خُلُقه السماحة يعفو عن المسئ كذلك خلق النبيين عامة، وخلق سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ- خاصة وكان ذلك إيجابياً، وليس سلبياً، يفعل الخير ويجتنب الشر، وكان التاجر السمح الصبور، حتى أنه يروى بعض القريشيين أنه بايع النبى صلى الله عليه وسلم- فانتظره النبى عليه الصلاة والسلام ثلاث ليال، وكان يذهب فيقيم فى مكانه الذى غادره فيه حتى لا يضل فلا يهتدى إليه، فيضيع حقه الثابت له، ولقد امتدت هذه الأخلاق إلى ما بعد نبوته صلى الله عليه وسلم- فكانت دعامة الدعوة فسار بسنه العفو عن الإساءة والإعراض عن الجاهلية إستجابة لقوله سبحانه وتعالى: ﴿خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بِالْعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ (١). وهذا الخلق الكريم يجذب الناس إلى الإيمان من غير دليل ولا برهان وزاده وضوحاً خلق النبى الكريم صلى الله عليه وسلم (٢). قيل كان رسول الله ﷺ: (يخزن لسانه إلا بما يعينهم ويؤلفهم ولا ينفرهم. ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس، ويحترس منهم، ويتفقد أصحابه. ويسأل الناس عما فى الناس. ويتحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهيه. معتدل الأمر غير مختلف لا يفعل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا لكل حال عنده عتاد لا يقصد عن الحق، ولا يجوزه، الدين يلونه من الناس خيارهم أفضلهم عنده، أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة" (٣).

وكان صلى الله عليه وسلم إذا تنهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطى كل جلسائه نصيبه، لا يحسس جليسه أن أحداً أكرم عليه من جالسه أو قاوله فى حاجة، صابره، حتى يكون هو

---

(١) سورة الأعراف آية ١٩٩.

(٢) يتطرح ذلك باستفاضة فى كتاب خاتم النبيين ١/ ١٨٩٢١٩٧ (بتصرف).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٣٣/٦ وينظر، خاتم النبيين ١٩٨/١.

المنصرف، ومن سأله حاجة. لم يرد إلا بها أو بميسور القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه، وصاروا عنده فى الحق سواء، مجلسه مجلس حكم وحياء وصبر وأمانه، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤين فيه الحرم، ولا تغشى فيه فلتاته، متعادلين لا يتفاضلون إلا بالتقوى (قال صلى الله عليه وسلم (لا فرق بين عربى وأعجمى إلا بالتقوى).

متواضعون يوقرون فيه الكبير، ويرحمون الصغير، يؤثرون فى الحاجة ويحفظون الغريب[1]، وقد ترك نفسه صلى الله عليه وسلم: من ثلاث وثلاث المراء والإكثار ومالا يغيه.، ولا يذم أحد، ولا يعيره، ولا يطلب عورته ولا يتكلم فيما لا يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنهم على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده، يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه. ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقة ومسألته حتى أن أصحابه يستحلمونه فى المنطق[2].

ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاء او قيام، وقد كان سكوته صلى الله عليه وسلم- على أربع الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر.

أما تقديره صلى الله عليه وسلم- ففى تسويته النظر والاستماع بين الناس، وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى. وجمع له الحلم والصبر[3].

أخلاق خير خلق الله كلهم الخارقة للعادة:

لقد تمم الله مكارم أخلاق أحب الخلق إلى الله تعالى بكل الصفات الخَلقية والخُلقية جميعاً ما علمناها وما لم نعلمها وخصه- جل وعلا- بها من أختصه الله سبحانه بأفضل الرسالات السماوية، والتى فيها العموم

---

(١) البداية والنهاية ٦/٣٣، وينظر خاتم النبيين ١/ ١٩٩.

(٢) البداية والنهاية ٦/٣٣، وينظر خاتم النبيين ١/١٩٩. (بتصرف).

(٣) خاتم النبيين ١/١٩٩(بتصرف).

والشمول لكل الخير لكل الناس، فكان من الخوارق أخلاقه صلى الله عليه وسلم- التى لا يصل إليها واصل ولا يبلغها لا حق ولا يصل إليها نبى أو ولى غير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- لأن من الأنبياء من هو عصبى المزاج أو متسرع ومنهم من دعا على قومه من شدة تعذيبهم الأنبياء، ولكن صاحب الخلق العظيم بعد أن عُذب كل التعذيب فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية طلب ما هو فيه خيرى الدنيا والآخرة للأمة الإسلامية جميعها ألا وهى الشفاعة التى ليست لنبى غير سيدنا النبى حبيب الله تعالى. فكيف يكون أخلاقه - صلى الله عليه وسلم- قيل أنها أعلى من أخلاق الملائكة لأن الملائكة قال تعالى: ﴿ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١).

وليس فيه روحانية عيسى عليه السلام المجرده بل فيه صلى الله عليه وسلم- الروحانية الإنسانية وتجرد الروح فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- بين الناس الإنسان الذى تتجلى فيه الإنسانية الكاملة فكل ما فيه من خلق من طبعه وتكوينه، عفيف لم تبذل إلى فنا قط، وكف الشر، والعفة، فتكون النصرة للعفة، والغلبة للفضيلة وما يكون الوصول إليه بغلاب يكون أعلى وأنفس مما يجيئ رخيصاً وسهلاً. فكان من أخلاقه عليه الصلاة والسلام- أن يخزن لسانه فإذا تكلم كان كلامه فصلاً، وكان قوله حكماً.

كم أنه صلى الله عليه وسلم- يأتلف مع أصحابه، ويمتزج إحساسه الفاضل باحساسهم لينساب إلى نفوسهم. يكرم كريمهم، ويرفع خسيسه صغيرهم، حتى يحس بأنه منه، ويوزع محبته بينهم، ويعطى نفسه لكل واحد منهم حتى أنه يظن كل واحد منهم أنه موضع الرعاية منه، وإذا رأى أمراً حسناً أعلن حسنه وإذا رأى قبيحاً نبه إليه فى رفق الهادى الأمين الذى يؤلف ولا ينفر بقرب ولا يبعد، ولا يسكت عن باطل.

---

(١) سورة التحريم، أية ٦.

وصلى الله عليه وسلم- اليقظ الذى لا يغفل- حريصاً يحذر. يفتح قلبه لهم- كما أنه خير خلق الله كلهم المتواضع الكريم، الذى يمسهم صلى الله عليه وسلم- بجناح الرحمة، ويسوى بينهم- وبشره مستمر، بلين جانبه لهم ويفضى الطرق عما لا يحسن إلا أن يكون فى السكوت ترك لواجب الإرشاد.

وإن أرشد فالإشارة، فإن لم يكف كان التعريض، فإن لم يكف كان التنبيه فى تعميم، فإذا رأى بعض الناس يسئ لا يواجهه بالإساءه بل يقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، ثم التوبيخ فيه معنى العموم كان ألطف وكان مع ذلك أفعل وأبلغ أثراً، ولا يمزح إلا قليلاً فى حكمه.

كما أنه حبيب رب العالمين بعيد عن الغلظة والجفوة.

كما أنه صلى الله عليه وسلم- الامتناع عن الذم إمتناعاً مطلقاً إلا أن يضطره الحق إضطراراً فإنه يتكلم بالكفاية، يبعد عن الفحش فلا يتكلم إلا فيما يرجوا ثوابه. وما يجلب خيراً للناس.

كما أنه صفوة الله من خلقه صلى الله عليه وسلم يلتزم السكوت بل سكوت من يفكر قبل أن ينطق عن حلم وعقل وإغضاء وإعفاء عمن يكون فى قوله سوء.

كما أنه صلى الله عليه وسلم- لا يغضب لشئ يتصل بذاته، فلا يغضب إلا لله أن تنتهك حرماته، فإذا كان ذلك لا يسكت حتى يقام حد الله.

وما سبق هو ما وصفه به هند بن أبى هالة رضى الله عنه وأرضاه- وقد كان رجلاً وصافاً للرجال. لا تفوته اللمحات، ولا تختفى عليه النظرات وتنكشف دخائل النفوس عن العبارات[1].

كما أنه صلى الله عليه وسلم- يقبل بنفسه كلها على من يلقاه، واضح فى إقباله كما هو واضح فى إدباره فإن تركه لا يتركه إلا بعد أن يتم حديثه.

كما أنه صلى الله عليه وسلم- لم يكن يجبه الناس بفحش.

---

(١) خاتم النبيين ١/١٩٩: ٢٠٢ (بتصرف).

كما أنه صلى الله عليه وسلم- لا يصخب ولا يغاضب، ولا يجادل فـي الأسواق بل كان في كل الأمور على سمت حسن وجلال.

كما أنه صلى الله عليه وسلم- من شدة تواضعه خير بين أن يكـون نبياً ملكاً، أو نبياً عبداً فأختار أن يكون نبياً عبداً"[1].

ومصداقاً لكل الأوصاف الجليلة السابقة روى عروة بن الزبيـر عـن خالته أم المؤمنين عائشة- رضى الله عنهما- قالت: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادماً قط، ولا إمرأة، ولا ضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما خير بين شيئين إلا كان أحبهما إليه أيسـرهما إلا أن يكون أثماً، ولا أنتقم لنفسه من شئ يؤتى إليه حتى تنتهك حرمـات الله سبحانه، فينتقم لله عز وجل) [2].

وعن أنس يرضى الله عنه- أن امرأة كان في عقلها شـئ، جاءتـه، فقالت إن لي إليك حاجة، قال صلى الله عليه وسلم "إجلس يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت، أجلس إليك حتى أقضي حاجتك"[3].

وقد كان صلى الله عليه وسلم- خير الناس لأهله موطأ الكنف بعـين أهله في مهنة البيت، ولا يستنكف، يغسل ثوبه، ويحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويعقل البعير، ويعلف ناضـحه، ويأكـل مـع الخادم، ويحمل بضاعته.

كما كان صلى الله عليه وسلم- من حسن خلقه كانت الأمنة من إماء المدينة إلى احتاجت إلى من يعينها من الرجال ولقيت رسول الله صـلى الله عليه وسلم أعانها في حاجتها حتى تقضيها، ثم ينصرف عنها موفوراً غير منقوص[4].

---

(١) خاتم النبيين ٢٠٢/١ (بتصرف).

(٢) خاتم النبيين ٢٠٢/١.

(٣) الشفاء ١/ ٧٦.

(٤) خاتم النبيين ٢٠٣/١.

هيبته – صلى الله عليه وسلم-

ومع هذا التواضع الكريم فى عزة وهيبته وفى غير ذل، كانت هيبتـه فى القلوب أشد ما تكون هيبة الرجل الإنسان الحبيـب المحبـوب الشـفيع المشفع الرؤوف الرحيم الذى اختاره الله تعالى رسولاً للعالمين، وما كـان تواضعه إلا لما يعلمه من فرط هيبته صلى الله عليه وسلم-فيلطفها بـذلك التواضع، ولا يكون هذا التواضع إلا من نفس قوية ولقد وصف الواصفون مجلسه صلى الله عليه وسلم- بين صحابته بما يدل على عظـيم مهابتـه، وقوة وقارة وسمته، فكان مجلسه عليه الصلاة والسلام- يحفـه الوقـار، والاطمئنان.

وكان أحياناً ينزل ثم ينزل ليقرب منه الذين يحدثهم ويريد هـدايتهم- وأحياناً كان النساء يسترسلن فى القول فى مجلسه من غير أن يكون منـه جفاف القول، وهو قادر على إسكاتهم بنظراتـه ولكنـه لا يرمضـهن ولا يمنعهن، ولقد كان صلى الله عليه وسلم- يرشد بعض النسوة فكان يتسابقن فى سؤاله فتصاحين عليه. فدخل عمر رضى الله عنه تبارك وتعـالى عنـه وهن يتصاحين فى تسابق إلى السؤال فسكتن فابتسم رسول الله صـلى الله عليه وسلم- حتى بدت سنته، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسـول الله ، ما الذى اضحك ؟ فقال الرسول الكريم الرؤوف الرحيم: هؤلاء النسوة كـن يتصايحن على. فلما رأينك سكتن، فقال عمر: أى عدوات أنفسهن أتهبننـى ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم- فقالت إحـداهن: ولكنـك أفـظ وأغلظ، فأسكتها الرسول، وقال القوى المهيب نافياً الغلظة عن صاحبه: "لا" أن الشيطان لا يسير فى فج يسير فيه عمر".

ولم يكن سيدنا عمر رضى الله عنه- أشد هيبة من النبى صـلى الله عليه وسلم- بل النبى المهيب المحبوب من وهبه الله الهيبة الربانية فكـان مواجهاً زعماء الشرك فى ثقة وهم يرهبونه من هيبته الجليلة- وروى أبو هريرة: دخلت السوق مع النبى صلى الله عليه وسلم- فاشترى سـراويل،

وقال للوزان زن وارجح أى (أوف الميزان) فيثب التاجر إلى يد النبى صلى الله عليه وسلم يقبلها، فجذب يده، وقال هذا ما يفعله الأعاجم بملوكها، وأنت بملك، إنما أنا رجل منكم، ثم أخذ السراويل، فذهبت لأحملها، فقال صلى الله عليه وسلم- (صاحب الشئ أحق بشيئه أن يحمله) فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- وصل إلى أسمى درجات الهيبة، ونزل من التواضع إلى درجة يقرب فيها من كل ذى حاجة وذى ضعف يأنس به الضعيف ويرجوه ذو الحاجة فى حاجته، وأن أكثر الذين يستكبرون فمن يحسبون بضعيف فى نفوسهم، ولا يجدون فى أنفسهم قدرة شخصية تفرض هيبتهم فيستعينون بالكبرياء، وغمط الناس والتسامى عليهم، ليعوضوا النقص، ويخففوا الضعف أو يخلقوا هيبة صناعية مصدرها مال إن ذهب فقد ذهبوا أو منصب يتعالون به إذا ألقوا عنه أصيبوا بالصغار والضياع.

أما ذو الشخصية المهيبة بتكوين الله تعالى. وبما منحها الله تعالى من علم وفضيلة وقوة نفس فإنها لا تحتاج إلى المهابة الصناعية والغطرسة والاستعلاء بها على الناس.

فالمهابة الفطرية التكوينية المستمدة من العلم والخلق والفضيلة هى والتواضع صنوان يتبعان من معين واحد، فهما لا يفترقان لأن المهابة الفطرية. ليست فى حاجة إلى غذاء صناعى بل أن المهابة توجب التواضع ليكون التآلف والتكامل الجماعى[1].

ومن أوصافه الجليلة القدر العفو والتسامح:

ينبعان من قلب سليم وخلق كريم ولقد قالت السيدة عائشة- رضى الله تعالى وتبارك عنها وعن أبيها فى خلق النبى صلى الله عليه وسلم "كان خلقه القرآن" فهو يأخذ بهديه. ويتبع منهجه من غير عوج ولا التواء. والله

---

(١) خاتم النبيين ٢٠٥١، ٢٠٦ (بتصرف).

تعالى يأمره بقوله: ﴿ خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بِالْعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾ (١)، واستمع إلى قوله تعالى:﴿ ولا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٢).

وقد هيأه سبحانه وتعالى قبل البعثة ليكون العفو عن هفوات الناس المتجاوز عن أخطائهم، كما أن العفو والتسامح لا يسكنان إلا قلباً خالياً من الأخطاء والأطغان، ومن يأتى برسالة داعياً إلى الحق لا يكون دبرى النفس يشغله الماضى عن الحاضر. بل يكون عاملاً للمستقبل.

سيدنا محمد بن عبد الله الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه، والذى خُلق من أجل أقوى رسالة لخير البشرية جميعاً، وأعظم هداية، رباه ربه على الصفح الجميل ليكون قلباً مهيئاً للدعوة السامية متفرغاً لها حتى يبلغ الرسالة على أكمل وجه، فنبى الله وحبيبه صلى الله عليه وسلم. فوق أن يشغله ضغن.

ولقد كان حريصاً صلى الله عليه وسلم على سد كل مسام الأحقاد والأضغان وذلك بمنع النميمة، ولو كان ما ينقل صدقاً، فقد ثبت فى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: (لا يبلغنى أحد عن أحد شيئاً إنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر"(٣).

ولمحبته صلى الله عليه وسلم- للعفو الكريم والصفح الجميل ما كان يوجه لوماً على عمل يقول أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم- "والله ما قال لى لشئ صنعته لم صنعته هكذا، ولا لشئ لم أصنعه لم لم تصنع".

وعندما فتح الله تعالى له مكة المكرمة. نادى الملأ من قريش ولم يفكر فيما كانوا يصنعون به وبأهل الإيمان أن كان لهم النصر، ولكنه فكر

---

(١) سورة الأعراف آية ١٩٩.

(٢) سورة فصلت آية ٣٤.

(٣) البداية والنهاية ٦/٢٣٨، خاتم النبيين: ٢٠٧١.

فيم ينبغى لمثله معهم، وتطيب قلوبهم، وإزالة الأحقاد من نفوسهم فقد قال لهم فى ود رآه فى موضعه: ما تظنون إنى فاعل بكم، قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم ما نظن إلا خيراً، قال أقول لكم ما قاله أخى يوسف لأخوته. ((لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين)) أذهبوا فأنتم الطلقاء، وبذلك أنهى الأحقاد، ووضعها دبر أذنه ليتقبلوا عهداً جديداً فى الإسلام.

إن الداعى بدعوة الحق، يجب عليه أن يطهر نفسه من أمرين: أحدهما أدران التألم من الناس لأذى سبقوا به. أو لحسك الصدور، أو لفحش كان منهم، فإنه جاء لهدايتهم، لا لمقابلة إساءة بمثلها ولا ليشغل نفسه بالنقمة بهم، وإن كان حقاً أو أخذ حق. ولا علاج لذلك إلا بأن يجعل نسيان الماضى والتسامح، هو السبيل لهذا النسيان والعفو عما سلف من سيئات هو الذى يمكن الداعى من الخلاص إلا من الحق[1].

كما أنه صلى الله عليه وسلم كان يبعد الأثرة عن نفسه. كما أنه لا يقصر فى حقوق غيره من الناس أما حقوق نفسه فيعفو عنها.

وقد قالت السيدة عائشة – رضى الله عنهما- فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم- "لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً،ولا صخاباً فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح".

فما كان صلى الله عليه وسلم- يحمل إلا الخير- ولا يحمل نفسه عناء البغض والكراهة إلا أن يكون لله[2].

حياؤه صلى الله عليه وسلم

الحياء صفة نفسية يظهر أثرها فى العمل على ألا يفاجئ الشخص الناس بما ينفرهم أو بما لا يألفون، لا يظهر منه ما يخالق الفضيلة فلا يعن رذيلة، ولا أمراً لا يتلقاه الناس بالقبول، ويعمل على إرضاء النفس

---

(١) خاتم النبيين ١/ ٢٠٧: ٢١٠ (بتصرف).

(٢) خاتم النبيين ١/٢١٠.

الجماعية ما لم يكن آثماً وهناك صفات تلتبس مع الحياء، ولكن الحياء ينشأ عن الكمال والشجاعة، والحياء يتلاقيان فيكون ذروة الكمال، وقيل في الحياء: رقة تعترى وجه الإنسان عند فعل يتوقع كراهيته أو ما يكون تركه خيراً من فعله، وكان النبى صلى الله عليه وسلم- أشدَّ حياء من كل الناس وأكثرهم عن العورات إغضاء قال الله تعالى: " إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم" عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم- أشد حياء من العذارء فى خدرها"[1]. ومن بعض مظاهر الحياء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً ﴾[2].

وما فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- قدوتنا وأسوتنا وملاذنا أدب شخصى ليس له صلة بالدعابة أو تبليغ الرسالة[3].

إذا كان الخلق الطيب يجذب النفوس، ويوجهها نحو الحق، فإن الحياء، يجعل صاحبه لا يفاجأ الناس بما لا يسرهم، بل يجئ إليهم من جانب ما يألفون، فلا تنفر النفوس ولا تنشعب عن الحق، وإن عنف الداعى، وتفحش قوله يعوق دعوته ويكون استثقاله مؤدياً إلى رده.

ولقد قال فى وصفه على بن أبى طالب كان أوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة. وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة[4].

---

(١) خاتم النبيين ٢١١/١، والشفاء ٦٨/١.

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٣.

(٣) خاتم النبيين ٢١٣/١ (بتصرف).

(٤) خاتم النبيين ١/ ٢١٤ (بتصرف).

الجود باباً من أبواب الخير إذا قصد به وجه الله الكريم، ولا يرجو من الناس جزاء ولا شكوراً، وهو خلق جماعى يربط المودة بين آحاد الجماعة، ولقد عد الحكماء الفضائل أربعة منها الحكمة، والشجاعة، والعفة، والسخاء فهو فضيلة عامة لا تصدر إلا عمن يحسن بحق الجماعة عليه، ولقد كان النبى- عليه الصلاة والسلام- جوداً يعطى مافى يده ولو كان فى حاجة إليه، فهو علم المؤمنين أن يؤثروا على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ولقد ذكر ابن عباس فقال: "كان أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون فى شهر رمضان، وكان إذا لقيته جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة".

فالجود صفة ملازمة كى تعلو ولا تنزل، تعلو فى رمضان، ويسمو علوها فى العشر الأخيرة من رمضان عندما يذاكره خبريل القرآن.

ولقد كان الجود خلقه صلى الله عليه وسلم- قبل البعث ولقد قالت له السيدة خديجة- رضى الله عنها وأرضاها- "إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم".

فقد كان من كرمه صلى الله عليه وسلم أن يوزع كل ما يجئ إليه من غنائم ولا يبقى منها لنفسه شيئاً ألا ما يكفيه. ، قيل: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يسأل حاجة فقال ما عندى شئ، ولكن أبتع على، فإذا جاءنا شئ قضيناه ولقد قال عمر رضى الله عنه- وقد رأى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم- يتحمل ثمن البياعات، ليؤديه إذا لم يكن معه، قال له: ""ما كلفك الله تعالى ما لا تقدر عليه، فكره النبى صلى الله عليه وسلم- من صاحبه ووزيره عمر الفاروق ذلك، لأنه لا يريد أن يحول أحد بينه وبين سجيته التى فطره الله تعالى عليها والتى جعلته فوق الكرماء والأجواد.

قيل ولقد كان جوده صلى الله عليه وسلم- من فرط اعتماده على الله تعالى مع اتخاذ الأسباب، ولأنه يؤثر على نفسه، ولأنه صلى الله عليه وسلم- حمل نفسه سد حاجة أى محتاج، فهو جود من قبيل تحمل الأعباء، لا من قبيل السخاء الجود، لقد قال عليه الصلاة والسلام- وصدق فعله قوله من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك عيالاً فإلى وعلى"

يقول أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم :"كان رسول الله لا يدخر شيئاً" .. ولقد كانت عشر دراهم مباركة ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بركتها فقال: "لقد بارك الله تعالى فى العشرة كسا الله نبيه جميعاً، ورجلاً من الأنصار جميعاً، واعتق الله تعالى منها رقبة، وأحمد الله هو الذى رزقنا بقدرته"(١).

الشفقة والرأفة والرحمة:

وصف صلى الله عليه وسلم- بأنه الرؤوف الرحيم، والرأفة والشفقة متقاربتان فى المؤدى، وقد قال تعالى فى ذلك الوصف ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣).

قيل والنبى صلى الله عليه وسلم- كان فيه الرحمة بالكافة، وكان منه الرأفة الخاصة ما لم تتعارض الرحمة بالكافة.

وإن من شفقته الأبوية التى لا تتعارض مع الواجب، أولاً يعارضها واجب من العدالة، والتسوية بين الناس لتبدو فى شفقته، على ابن زينب وهو يحتضر، فقد ارسلنا إلى أبيها نبى هذه الأمة، ولكن الرجل الشفيق خشى من ضعف الشفقة أن يرى حفيده يحتضر، فأرسل إليها عليه الصلاة

---

(١) خاتم النبيين ١/٢١٢: ٢١٧ (بتصرف).

(٢) سورة التوبة آية ١٢٨.

(٣) سورة الأنبياء آية ١١٧.

والسلام يقول لها "إن لله ما أخذ وما أعطى، وكل شئ عنده مسمى فلنحتسب لنعتبر" ولكنها تصر على أن يحضر، وتقسم عليه "فقام إليها النبى وقام مع من يحضرنه من صحابته، فوضعه عليه الصلاة والسلام فى حجره، ونفسه تخرج ففاضت عين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فقال له سعد بن أبى وقاص ما هذا يا رسول الله قال الرسول: هذه رحمة وضعها الله فى قلوب من شاء من عباده، ولايرحم الله من عباده إلا الرحماء"(١).

الوفاء ورعاية العهد:

يستدل على سجايا الرجل بمقدار رعايته لمن كان لهم به صلة وممن كانوا معه على عشرة طيبة، فيوفى حق هذه العشرة يرعاها حق رعايتها، يصلها ولا يقطعها، يذكرها ولا ينكرها، فالوفاء خلة الرجل الكريم، وبمقدار وفائه يكون مقدار ما أتاه الله تعالى من خلق سمح ونفس مؤمنة بالخير، معترفه به لأهله.

فمن وفاء النبى الذى لا يوجد مثله وفاء فى الدنيا كلها.

١- وفاؤه لأم المؤمنين خديجة- رضى الله عنها وارضاها- يود صديقاتها ويصل صلاتها بذكرها بالخير والاعتراف بالجميل، حيث جاء ذكرها، حتى أن أم المؤمنين عائشة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم- تقول:

"ما عزت على امرأة ما عزت على خديجة لما كنت أسمعه صلى الله عليه وسلم يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة، فيهديها إلى خلائلها، استأذنت عليه أختها فارتاح إليها ودخلت عليه امرأة، فبش لها واحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال إنها كانت تأتينا إيام خديجة".

---

(١) خاتم النبيين ٢١٨/١.

كما كان وفى بالعهد فهو أوفى الأوفياء ومما يتصل بوفائه لزوجه البارة خديجة أن عائشة من كثرة ثنائه عليها قالت له مرة:

"هل كانت إلا عجوزاً بدلك الله خيراً منها، فقال عليه الصلاة والسلام. ألا والله ما أبدلنى خيراً منها.. آمنت بى أن كفر الناس.. وصدقتنى أن كذبنى الناس.. وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء".

- وكان صلى الله عليه وسلم لفرط وفائه إذا رأى أحداً من أولادها من غيره فاض عليها بالعطف والحنان، إذ قد سمع صوت ابنها هالة قد جاء إليه فخرج إليه منادياً فى لهفة فرح: هالة.. هالة.. وأكرمه وبالغ فى إكرامه.
- ومن وفائه صلى الله عليه وسلم- وعرفانه للجميل ما روى عن أبى قتادة أنه جاء وفد النجاشى ملك الحبشة الذى آوى أهل الهجرة إلى الحبشة وأكرمهم- قام النبى صلى الله عليه وسلم- يخدمهم بنفسه فقال له أصحاب تكفيك يا رسول الله ﷺ صدمتهم فقال محمد صلى الله عليه وسلم الوفى العارف للجميل "إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين" وأحب أن أكافئهم.
- ومن كريم وفائه صلى الله عليه وسلم- ولطف مودته وعدم نسيان من ارتبط معهم برباط من مودة وعشرة، مهما يتباعد زمانها، فإن الكريم لا ينسى عشرة من عاشرهم، ضعفوا أو علوا، قدم عهدهم أو قرب وقد وجد أختاً له فى الرضاع أسمها الشيماء من سبايا هوازن فتعرض له، فلما عرفها بسط لها رداءه وقال لها أن أحببت أقمت عندى مكرمة محببة، أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت قومها فأرسلها.
- وإنه صلى الله عليه وسلم- ليوفى حتى لمن فرح بولادته، فقد كانت جارية لأبى لهب قد ارضعت النبى صلى الله عليه وسلم- فى

أول، ولادته وخرجت فبشرت أبا لهب بالولادة، واعتقها أبو لهب لهذه البشارة فكان محمد صلى الله عليه وسلم- يبعث إليها بصلة مستمرة موصولة ما كانت حية، فلما ماتت سأل عمن بقي من ذوى قرابتها، فقيل لا أحد.

- ومن جملة أخلاقه التى لاتعدو ولا تحصى أنه يصل رحمه ولو لم يكونوا له نصراء وأولياء، فيصلهم راحماً وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام قال عن بعض ذوى رحمة- "ليسول لى بأولياء غير أن لهم رحمة سأبلها ببلالها"[1].

---

(١) الشفاء ١٨/٧٤، ٧٥، خاتم النبيين ١/ ٢٢٦.

بلاغته صلى الله عليه وسلم

لقد نشأ صلى الله عليه وسلم- فى قريش، وهى أفصح اللهجات العربية وكان يحضر أسواق مكة فى موسم الحج، ويتذوق ما ينشد فيها من شعر وقد تفصح في بنى سعد بهوازن، وهوازن من أفصح العرب، فالتقى فى بيانه لغة العقل والحضارة النسبية فى مكة المكرمة، وسذاجة البداوة مع حلاوة اللفظ وسهولته فى لهجة أفصح أهل البادية.

ولذلك كان النبى سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم- أفصح الناس منطقاً ينطق بالحكمة وفصل الخطاب، فهو إذا ارشد كانت ألفاظه كالجواهر تنثر بين الناس من غير بهرجة، وفيها جوامع الكلم وفصل الخطاب، وإذا تحدث فى معاملات الناس وفى سمرهم الذى لا مجون فيه كان كلامه النمير العذب يسرى فى النفوس سريان النسيم العليل والماء العب ينعش القلوب، ويروى ظمأ القلوب.

وقد وصفت حديثه أم معبد بعد البعثة: فقالت: "إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، وكان منطقه فرزان نظم ينحدرن.

ولقد اصطفاه الله تعالى ليكون موضع رسالته. ومُبلغ وحيه كان يجمع بين الإيجاز والوضوح. فألفاظه قليلة، ومعانيه كثيرة من غير تعقيد ولا اعضال. بل هو السهل الذى لا توعر فيه، ترى فى كلامه- عليه الصلاة والسلام- جمال الألفاظ من غير تكلف وحلاوة اللفظ من غير تحسين ولا تزيين فهو الجمال الطبيعى الذى لا طراوة فيه، ولا جفوة، ولا خشونة.

وكان فيه معانى الإلهام، وجملة الله تعالى بالصفاء، لأنه خرج من نفس صافية، وقلب مفعم بالإيمان والصدق، فكان صافياً لنفسه، خالياً من الشوائب خلو نفسه منها.. فلقد وصفه الجاحظ قال: "الكلام الذى قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف استعمل المبسوط فى موضع البسط، والمقصور فى موضع القصر وهجر الغريب

الوحشى، ورغب عن الهجين السوقى، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمه، ولم يتكلم إلا بكلام صف بالعصمة، وشد بالتأييد ويسر بالتوفيق، وهذا الكلام الذى ألقى الله تعالى المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإلهام، وقلة عدد الكلام، وهو ما استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاوودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم ولا باءت له حجة، ولم يقم له خصيم، ولا أفحمه خطيب، بل يبدأ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحق، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أتم نفعاً ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أصح فى معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم[1].

وأنه قد اجتمع له صلى الله عليه وسلم- مع سلامة المعانى حسن اختيار الألفاظ المناسبة فى الحال؛ المناسبة فى غير أن يقرع الأسماع، بكلام له رنين بل بكلام يدخل على القلوب فى أناه ورفق فينساب فيها إنسياب الضمير العذب ويكون ثمة تناسق بين المعنى الكريم واللفظ الجميل من غير إعنات للأفهام ولا إرهاق للأسماع.

وكان فى منطقه حلاوة فيخرج اللفظ من لسان واضح بين تخرج الحروف من مخارجها، وتقع فى مواضعها، والسامع مشدوه من حلاوة الكلمة وحلاوة اللفظ، والمعانى الأبكار، فى أسلوب لا توعر فيه ولا تكلف ولقد قالت عائشة رضى الله عنها- فى وصف كلامه "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يسرد الكلام كسردكم هذا"[2]. ولكن كان يتكلم بكلام

---

(١) خاتم النبيين ١/ ١٨٦، ١٨٧ (بتصرف).

(٢) خاتم النبيين ١/ ١٨٧، ١٨٨ (بتصرف).

بين فصل يحفظه من جلس إليه، كما أن الإمهال فى القول يجعل السامع يتذوق جمال الألفاظ، ويتأمل المعانى، ويستحفظ ما قال القائل، ويتابعه فى أفكاره من غير إعنات ولا ملال.

كما كان منطقة صلى الله عليه وسلم- خالياً من الفأفأة، وكل عيوب الكلام فى صوت هادئ عميق، بجملة الصدق، ويدخله مداخل النفس ويوجه الرشيد إلى الحق، ونغمات صوته هادئة قوية فى صوت غير أجش، ولا جفوة، ولكن النقى فيه عمق النغم الفطرى بجمال الصوت، وجهارته فى غير ضجيج ولا صخب.

ولقد رأى أن سيدنا الحسن بن على أحد السبطين الكريمين، رضى الله عنهما- عليهما السلام- سأل هند أبى أبى هالة ربيب النبى عليه الصلاة والسلام- فقال قلت صف لى منطقة قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم- متواصل الأحزان، دائم الفكر ليس له راحة، ولا يتكلم فى غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه"(١).

ومهما قال البلغاء وذكر وأورد العظماء، وخطب الخطباء، وتدافعت الأقلام فى السيرة العطرة على مر الزمان لا يصل واصل إلى حقيقة بلاغته صلى الله عليه وسلم- فكل الكلام يدخل إلى القلوب، ويأخذ بالألباب ويسحر أولى العقول لنهجة القويم، وأسلوبه الحكيم، ومعناه البديع، وسبكه الجيد، فكل كلامه حسن يفهمه العامة والخاصة وذلك من المعجزات لأن للعامة أسلوب وللخاصة أسلوب فكيف الأسلوب رفيع الشأن فى محكمة ومتشابهه، فى تكراره وعدمه، فى بيانه وفصاحته فى قمة وأعلى مراتب البلاغة كيف يفهمه كل الناس إنها معجزة فسبحان من أبدع وصور؛ وأعطى وقدر،

---

(١) خاتم النبيين ١/ ١٨٨ (بتصرف) ينظر الحديث، رواه الطبرانى فى الكبير ٢٢/١٥٥، والبيهقى فى الشعب ٢/١٥٤، وابن سعد فى الطبقات الكبرى ١/٤٢٢، ينظر الشمائل المحمدية والفضائل المصطفوية للإمام أبى عيسى محمد ابن عيسى الترمذى ص١٦، ١٧، وتم تخريج هذا الحديث من قبل فى هذا البحث.

سبحان الله العلى العظيم، فحين يقرأ الإنسان لا يتخير غريباً لغرابتـــه؛ ولا لفظاً لحلاوته؛ ولكن كل ذلك يجئ فى رفق ويسر وعذوبة متناهية، وبلاغة من أرقى وأسمى وأروع أنواع البلاغة والبيان والفصاحة.

وحق علينا أن نقول مقالة الجاحظ بعد وصفه كلامه. وخشى على نفسه أن يقال أنه اتبعث من المحبة فقد قال "ولعل من لم يتسع فى العلـــم، ولـــم يعرف مقادير الكلام يظن أننا تكلفنا له من الإمتداح والتشريف ومن التزيين والتجويد ما ليس عنده ولا يبلغه قدره، كلا والذى حرم التزيد عند العلمـــاء وقبح التكلف عند الحكماء، ويهرج الكذابين عند الفقهاء، لا يظن هذا إلا من ضل سعيه. [1].

وقد قال القاضى عياض فى وصف فصاحة النبى صلى الله عليه وســلم وبلاغته قد قال رضى الله عنه- أما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كـــان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل والموضـــع الـــذى لا يجهـــل سلامة طبع وبراعى منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالـــة قـــول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتى جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلـــم ألسنة العرب، فكان يخاطب كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويبار بها فى منزع بلاغتها[2].

ومن فصاحته وبراعته وبلاغته صلى الله عليه وســلم- أن حبـــاه الله سبحانه معرفة كل لهجات العرب وقد أتاه ذلك من إقامته بمكة المكرمة التى كان يلتقى فيها بقبائل العرب فى موسم الحج، مع حرص علـــى تعرفهـــا، وذكاء مدرك لها، وتحصيل واع لكل ما يسمع وحفظ لكل ما يجرى حوله[3].

يقول القاضى عياض فى كتابه الشفاء : (وأما كلامه المعتاد وفصـــاحته المعلومة، وحكمة المأثورة، فقد ألفت فيها الكتب، ومنهـــا مـــا لا يـــوازى

---

(١) خاتم النبيين ١/ ١٨٩.

(٢) خاتم النبيين ١/ ١٨٩.

(٣) خاتم النبيين ١/ ١٩٠ (بتصرف).

فصاحة ولا يجارى بلاغة كقوله: "المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، وقوله: الناس كأسنان المشط" و "المرأ مع من أحب"، ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له"، "الناس معادن"، "وما هلك امرؤ عرف قدره"، "والمستشار مؤتمن"، "ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم، وقوله: اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين"، وقوله : "إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً[1]، .. الخ، "الظلم ظلمات يوم القيامة"، وقوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه: "اللهم إنى أسألك رحمه من عندك تهدى بها قبلى، وتجمع بها أمرى، وتلم بها شعثى وتصلح بها غائبى، وترد بها الفتن عنى، وتعصمنى بها من كل سوء، اللهم إنى أسألك الفوز عند القضاء ونزل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء"[2].

وهكذا ثبت القاضى عياض فصاحة الكلم النبوى والبلاغة المحمدية بما ساق من عبارات جامعة ومعان رائعة، وألفاظ ينبثق منها النور وتضبط بها حقائقه هذا الوجود"[3].

ألفاظ النبوة سهلة ميسرة متناسقة يأخذ بعضها بحجز بعض مع إيجاز العبارة المحكم، ومقصد القول الرصين، والتصوير البديع والحقيقة الرائعة، فللألفاظ النبوية جمال كجمال الطبيعة يقول- صلى الله عليه وسلم- عن القناعة والرضا بالقليل وعدم اللجامة التى تؤدى "ليس الغنى، عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس".

وقوله فى الدعوة إلى ضبط النفس "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب"[4].

---

(١) صحيح مسلم ١٥/٨٠، باب كثرة حياته صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٢٣٢١).

(٢) خاتم النبيين ١/ ١٩٠، ١٩١.

(٣) خاتم النبيين ١/ ١٩١.

(٤) خاتم النبيين ١/ ١٩٢.

فكل توجيهاته صلى الله عليه وسلم تسابق ألفاظها معانيها ومعانيها ألفاظها، فلا نعلم الحسن فى الألفاظ، أم المعانى، أم فى ضم كل كلمة إلى أهلها أم فى الأسلوب الرصين، أم فى التوجيهات الموصلة للجنة أم فيما تشابه من ألفاظ؛ أم ما فيه وعظ وارشاد، إن ألفاظ النبوة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالوحي لقوله تعالى: ((وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى)) فكانت السنة متممة للقرآن الكريم موضحه لما تشابه على الناس فى يسر وعذوبة وجمال نبوى لا يشابهه جمال فى قوة الأساليب واستدعاء المعانى وترابطها بعضها ببعض كما توجد كثير من المعانى لم تكن فى العربية من قبل وإنما استدعاها الحال مثل قوله عليه الصلاة والسلام "المؤمن للمؤمنين كالبنيان يشير بعضه بعضاً"(١)، وقوله "مثل المؤمنين فى توادهم وتراجمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى(٢)، ومثل "هدفة على دخن" وقيل "اليد العليا خير من اليد السفلى ومثل "كل أرض بحصتها من الرزق"، "كل أرض بسمائها"، "رويدك رفقاً بالقوارير"(٣).

كما أن كلام خاتم النبيين وأحب الخلق أجمعين إلى الله العلى العظيم فيه حكمه، وألفاظ قليلة مع معان كثيرة جديدة، لم تكن معروفة من قبل مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم"(٤). وقوله فى صلة الرحم: "ليس الواصل بالمكافئ إنما الواصل من

---

(١) صحيح مسلم ١٣٩/١٦، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم (٢٥٨٥).

(٢) صحيح مسلم ١٤٠/١٦، (باب تراحم المؤمنين وتراحمهم وتعاطفهم وتعاضدهم)، حديث رقم ٦٧.

(٣) صحيح مسلم ٨٢/١٥، باب تبسمه وحسن عشرته حديث رقم ٧١.

(٤) رواه البيهقى ٤٤٢/١١، البداية والنهاية ٢٢٤/٥، وينظر إعجاز القرآن ص ٨٦.

يصل رحمه عند القطيعة"، ومثل قوله عليه الصلاة والسلام- "رحم الله قال فغنم أو سكت فسلم"[1].

كما أنه صلى الله عليه وسلم- يخاطب بكلامه الجليل العقل والوجدان والحس والشعور، ومن هنا أتى البيان فى خرج من القلب يدخل القلب وما خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان فكل ما قال صلى الله عليه وسلم خرج من القلب الناصح الأمين الحبيب المحبوب العطوف الرؤوف المخلص فى حبه لقومه المخلص فى رسالة المخلص فى طاعته منذ بدء الخلق إلى يوم الدين- فصلى الله عليه وسلم- أول من لبى نداء رب العالمين بقوله لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

ونجد كلامه صلى الله عليه وسلم- خالى من الصناعة البديعية والتكلف قال صلى الله عليه وسلم "رحم الله عبداً قال فغنم أو سكت فسلم[2].

كما أن كلامه صلى الله عليه وسلم- يأتى أحياناً أسلوب قصصى فى أسلوب تصويرى تنطق فيه حقائق القصة وأبواب العبرة فى كلام مرسل سهل يمكن القارئ أو السامع من أن يصل إلى نحايتها، ويدرك معانى هدفها الصادق من غير أسراف فى اللفظ، ولا نقص فى الأداء، ولكن وفاء وكمال فى غير حشو ولا لغو[3].

وقد تأتى القصة فى الحديث النبوى الشريف لأغراض عدة يقتضيها الحال ويطلبهما المقام وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات[4].

---

(١) خاتم النبيين ١/ ١٩٣.

(٢) خاتم النبيين ١/ ١٩٣

(٣) بتنظير فى ذلك خاتم النبيين ١/١٩٤.

(٤) أخرجه الأمام البخارى فى كتاب بدء الوحى باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم ١، ينظر صحيح الإمام البخار، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١/٨، ط دار المعرفة ، بيروت لبنان.

- إن الأعمال بالنيات وإن الله تعالى لا يقبل إلا الطيب من الأعمال بأن يكون المقصود بالعمل وجه الله تعالى الكريم، وابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى لا لأجل حاهاً ولا شرفاً ولا مالاً، وإنما يريد الله سبحانه وتعالى كما قال عليه الصلاة والسلام: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشئ لا يحبه إلا لله"(١).

-أن قدر الله سبحانه يسير على وفق نظام محكم فى علمه ويحكمه بالغة يقدرها خالق الخلق مالك الملك من بيده ويأمره وبحكمة كل الأمور تصير، وأنه سبحانه وتعالى ينزل الوج لمن يتجه ويلجأ إليه، وأنه يجب دعوة المكروب لخير قدمه ولاخلاص قلبه، وابتغاء ما عند ربه كما قال جل وعلا ﴿ ولَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ﴾(٢).

كما أن الوفاء بالحق فضيلة الإسلام، وأنه ليس بقريب من الله من أكل حقوق غيره، وأقرب الناس من أعطى كل ذى حق حقه ويجب أن يعطى العامل أجره قبل أن أن يجف عرقه فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً قال تعالى: ﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾(٣).

وأن أحكام القول ليبلغ فى الأخلاق والمعاهدات التى عقدها النبى عليه الصلاة والسلام أعلى البلاغة وكما قيل لأن مقاطع الحقوق عند الشروط(٤).

وستظل البلاغة النبوية إلى أن يرث الأرض ومن عليها بفضل الله تعالى محفوظة شاهدة بمعجزة خير الأنام وبلاغته ونبوغه وهو الأمى الذى علمه خالق كل شئ الذى أحسن صنع كل شئ وقدر كل شئ تقديره فهى البلاغة

---

(١) صحيح مسلم ١٣/٢، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم (٤٣)، (٦٨).

(٢) سورة الأعراف آية ٩٦.

(٣) سورة الكهف آية ٣٠.

(٤) خاتم النبيين ١/ ١٩٥، ١٩٦ (بتصرف).

الشاهدة على إعجاز من نزل عليه القرآن الكريم فأعجز أساطين الفصاحة والبلاغة والعيان؛ فلم يستطيعوا التحدى ولن يشاد الدين أحداً إلا غلبه، ثم بعد ذلك نجد أن السنة العطرة للمصطفى فى الأرض والسماء من بين كل البشر الذى صدق الله وأحب الله بإخلص قلب من البشر معجزاً فى هيئته وتكوينه وبلاغته وفصاحته وبيانه سواء تكلم أو سكت ففى كل ما فعل آية تدل على الواحد الفرد الصمد وقد تحدثت عن بلاغته صلى الله عليه- كما قال العلماء وإن كان الجزء العلمى لهذا البحث الخاص بأوصاف خير خلق الله كلهم شاهد على أن فى كل وصف آية تدل على المبدع الواحد الأحد الصمد ومهما كتب إلى يوم القيامة لا يستطيع أى بشر على الإطلاق الوصول لكنهه صلى الله عليه وسلم- فى التكوين الخلقى والخلقى وفى الأعجاز الذى جاء به ومن أجله ولأجله كان صلاح البشرية أجمعين فى سبيل إعلاء كلمة، الله أكبر ولكن أقول بالحب وهما حرفين فقط الوصول إلى أحب الخلق أجمعين وإلى رب العالمين أرحم الراحمين- لأن إدراك حقيقة أى أمر من الأمور حتى فى العلم مبنى على حب كل عمل يعمله الإنسان ليصل لرضا الله سبحانه الذى له سبحانه الكمال المطلق ولسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- الأعجاز المطلق والكمال الخلْقى والخُلُقى الذى خصه به سبحانه وتعالى أى الكمال الأبدى صلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

كتاب وصف النبى صلى الله عليه وسلم

عن الحسن[1] بن على رضى الله عنهما قال:

سألت خالى هند[2] بن أبى هالة وكان وصافاً عن حلية النبىﷺ - وأنا اشتهى أن يصف لى منها شيئاً أتعلق به فقال: كان رسول الله ﷺ

---

(١) هو الحسن بن على أبى طالب سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته ولد فى رمضان سنة ثلاث كان شبيهاً بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففى الحديث الشريف حدثنا عمرو بن على حدثنا ابن فضيل حدثنا إسماعيل بن أبى خالد قال سمعت أبا جحيفة رضى الله عنه قال: "رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وكان الحسن بن على عليهما السلام يشبهه. قلت لأبى جحيفة صفة لى: قال: كان أبيض قد شمط، وأمر لنا النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة قلوصاً قال فقبض النبى صلى الله عليه وسلم أن تقبضها. يقول (عباس محمود العقاد) لا نجد أسرة فى العالم بأسره قدمت من الشهداء ما قدمته أسرة سيدنا الحسين فهو الشهيد أبن الشهيد أخو الشهيد أبو الشهيد.

ورى عن أبو عاصم.. عن عقبة بن الحارث قال: صلى أبو بكر رضى الله عنه العصر ثم خرج يمشى. فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقة وقال بأبى شبيه بالنبى لا شبيه بعلى وعلى يضحك.

ينظر فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى ٦٥١/٦ حديث رقم (٣٥٤٤) وينظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى ١٦٢/١٣، شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه للإمام الحافظ بن كثير ٧٠/١، ٧١، وأوصاف النبى صلى الله عليه وسلم للإمام الترمذى بتحقيق وتعليق سميح عباص ص ٢٧، هامش وينظر الإمام الحسين رضى الله عنه ١٨٠، ١٨٢.

(٢) هند بن أبى هالة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم- أمه السيدة خديجة رضى الله عنها وارضاها بنت خويلد خالد سيدنا الإمام الحسن وسيدنا الإمام الحسين والسيدة زينب رضى عنهما- قُتل فى موقعة الجمل، وكان مع سيدنا الإمام على رضى الله عنه.

ينظر شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ٦٢/١، وصحيح البخارى بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد كتاب المناقب باب صفة النبى ٢٣/٢، والموطأ لإمام الأئمة مالك بن أنس ٢٩١/٢، وأوصاف النبى ص ٢٧ بالهامش.

فخماً مفخماً[1].

يتلألأ وجهه تلؤلؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع[2]، وأقصر من المشذب[3]، عظيم الهامة[4]، رجل الشعر[5]، إن انفرقت عقيقته[6] فرقها وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه، إذا هو وفره،أزهر اللون[7]،واسع

---

(١) رجل فخماً مفخماً: رجل (فخم) أى عظيم القدر، والتفخيم التعظيم ينظر مختار الصحاح باب الفاء ص ٥١٩ط، أولى ١٩٨٦م. وقد ورد نص الحديث هكذا قال يعقوب فى سفيان الغوى الحافظ رحمه الله: حدثنا سعيد بن حماد الأنصارى المصرى وأبو عثمان مالك بن إسماعي النهدى قالا: حدثنا جميع فى عمر بن عبد الرحمن العجلى قال: حدثنى رجل بمكة عن ابن لأبى هالة التميمى، عن الحسن بن على قال: سألت خالى هند بن أبى هالة وكان وصافاً عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا اشتهى أن يصف لى منها شيئاً اتعلق به فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم- فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر.. الخ. ينظر شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم، دلائل نبوته وفضائله وخصائصه للإمام الحافظ ابن كثير ١/ ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، وينظر جمع الوسائل فى شرح الشمائل للشيخ على بن سلطان محمد القارى ٣٣/١، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) أطول من المربع من (بعة) أى مربوع الخلق لا طويل ولا قصير ينظر مختار الصحاح (باب الراء) ص ٢٥١.

(٣) المشذب: هو الطويل البائن أى الطول فى نحافة، والمقصود أنه صلى الله عليه وسلم أطول من المربوع، وأقصر من فارع الطول، ينظر أوصاف النبى صلى الله عليه وسلم لترمذى ص ٢٨، وشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم للحافظ بن كثير ٦٣/١.

(٤) الهامة: من هيم (الهامة) الرأس والجمع ها. ينظر مختار الصحاح باب الهاء ٧٢٩.

(٥) رجل الشعر: بفتح الجيم وكسرها ليس شديد الجعودة. ينظر مختار الصحاح (باب الراء) ص ٢٥٦.

(٦) ويقال (الفقة) بالكسر الشعر الذى يولد عليه كل مولود.

ينظر مختار الصحاح (باب العين) ص ٤٧١، وقد ذكرت فى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم بلفظ (عقيصته) وهى الضفيرة وعقص الشعر ضفره ولبُه على الرأس. ينظر مختار الصحاح (باب العين)، ص ٤٧٠.

(٧) أزهر اللون: أبيض مشرق الوجه. ينظر مختار الصحاح (باب الزاى) ص ٢٩٨.

الجبين، أزج الحواجب[1] سوابغ فى غير قرن بينهما عرق يدَّره الغضب، أقنى العرنين[2] له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم[3]، كث اللحية[4]، سهل الخدين[5]، عفليج الفم[6]، مفلج الأسنان[7]، دقيق المسربه[8]، كأن عنقه[9] جيد دمية فى صفاء الفضة معتدل الخلق، بادن متماسك[10]، سواء البطن والصدر[11]،عريض الصدر بعيد ما

---

(١) أزج الحواجب: دقة فى الحاجبين مع طول. ينظر مختار الصحاح (باب الزاى) ص ٢٩٠.

(٢) أقنى: (القنا) أحديداب فى الأنف يقال رجل أقنى الأنف، ينظر مختار الصحاح(باب القاف)، ص ٥٨٠.

(٣) الشمم: هو ارتفاع فى قصبة الأنف مع استواء أعلاه. ينظر شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ٦٣/١ هامش.

(٤) كث اللحية: من كثث من باب سلم أى كثف ولحية (كثه) و(كثاء) بالمد والتشديد فيهما ورجل (كث) اللحية فينظر مختار الصحاح (باب الكاف) ص ٥٨٩.

(٥) سهل الخدين:(سهل) الخُلق والسهولة ضد الحزونة، ينظر مختار الصحاح (باب السين) ص ٣٤٠.

(٦) ضليع: واسع الفم فهو ممدوح عند العرب ودليل على قوة الفصاحة. ينظر أوصاف النبى صلى الله عليه وسلم ص ٢٨٠.

(٧) مفلج: تباعد ما بين الثنايا والرباعيات ينظر شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ص٦٣/١.

(٨) دقيق المسربة: الدقيق ضد الغليظ ينظر مختار الصحاح باب الدال ص ٢٢٧.

(٩) جيد دمية: (الجيد) (العنق) (الدمية) الصنم وهى الصورة من العاج ونحوه وقيل: الثياب التى فيها التصاوير ، ينظر شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ٦٤/١ هامش.

(١٠) بادن متماسك: البادن هو السمين المفحم (المتماسك) لحمه غير مسترخ ينظر شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ٦٤/١ هامش.

(١١) سواء البطن والصدر: أى أن بطنه وصدره مستويان فلا يوجد (كرش) ينظر أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٢٩.

بين المنكبين[1]، ضخم الكراريس[2]، أنور المتجرد[3]، موصول ما بين اللبة والسّرة بشعر سحرى الخط، عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين واعالى الصدر، طويل الزندين[4]، رحب الراحة[5]، شنين الكفين[6] والقدمين، سائل الأطراف[7] (أو قال شائلها الأطراف) قمصان الأخمصين[8]، مسيح القدمين[9]، ينبو عنهما الماء إذا زال زال قلعا[10]، يخطو تكعباً[11]، ويمشى هوناً، زريع المشية[12]، إذا

---

(١) ضخم الكراريس: مفردها (كردوس). كل عظيمتين إلتقتا فى مفصل نحو الركبتين أو المنكبين، وقيل رأس العظمة، ينظر الحضرة للعارف بالله الشيخ عبد المقصود ، ص ١٤ هامش.

(٢) أنور المتجرد: من الجريد الذى يجرد عنه الخوص ينظر الشمائل ص ٦٤ هامش.

(٣) اشعر الذراعين والمنكبين: أشعر كثير شعر الجسد (والمنكبين) مجمع العضد والكتف، ينظر الحضرة ص ١٤ هامش.

(٤) طويل الزندين: (والزند) هو (الساعد) (الذراع) ينظر الحضرة ص ١٤ هامش.

(٥) رحب الراحة: (الرحب) السعة يقال فيه فلان رحب الصدر وبالفتح (الرّحب) الواسع. ينظر مختار الصحاح (باب الراء) ص ٥٨ وهنا بمعنى واسع الكف.

(٦) شنن الكفين: (شنن) كفه شنناً خشنت وغلظت ينظر المعجم الوجيز (باب الشين) ص ٣٣٥.

(٧) سائل الأطراف: أى مرتفع وشائل نفس المعنى، والمقصود ارتفاع الأصابع ينظر أوصاف النبى صلى الله عليه وسلم ص ٣٠.

(٨) خمصان الأخمصين: (الأخمص) هو ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض. ينظر الشمائل ص ٦٤ هامش.

(٩) مسيح القدمين: أى لا يستوى الماء عليهما، أى ملساوان ينظر الحضرة ص ١٤.

(١٠) زال قلعاً وقلعاً الشما من باب قطع. ينظر مختار الصحاح (باب القاف) ص ٥٧٤.

(١١) يخطو تكفيأ: بمعنى إذا مش تكفأ تكفئاً كأنما يتحط من صبب لم ير قبله ولا بعده منله ينظر الخصائص الكبرى للسيوطى، ٧٣/١ بيروت، لبنان.

(١٢) صبب(وصباً) الماء ويقال (انصب) البحث على الموضوع وقع عليه- ينظر مختار الصحاح (باب الصاد) ص ٣٥٨.

مشى كأنما ينمط عن حبيب، وإذا التفت إلتفت جميعا[1]، خفض الطرف[2]، نظرة إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظرة الملاحظة[3]،يسوق أصحابه ويبدر من لقى بالسلام[4].

البلاغة فى أوصاف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، ونهج نهجه إلى يوم الدين، حبيب رب العاملين الصادق الوعد الأمين إمام كل الأئمة، ناصح الأمة، وكاشف الغمة، والهادى إلى صراطك المستقيم، رحمة الله للعالمين، أحمد الله سبحانه- حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، أن هدانى إلى أحسن الحديث عن أحب الخلق أجمعين إلى الله، إلى كل العوالم، الدال على الله بآياته ومعجزاته بقرآنه الكريم، والسنة المطهرة من رب العالمين. وقد تناولت جزءاً من الأوصاف الذكية جميعها والتى لا تعد ولا تحصى، ولا يعلم بها كلها غير رب العالمين، والتى بها تسبح الأرواح وتتعم العقول وتهتز طرباً

---

(١) التفت جميعاً: أى التفت بجسمه كله لا يجانب منه ينظر الحضرة ص ١٥.

(٢) خفض الطرف يقال خفض فلان جناحه للناس ألان جانبه وتواضع لهم وفى القرآن الكريم (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) ينظر المعجم الوجيز (باب الخاء) ص ٢٠٥.

(٣) جل نظرة الملاحظة أى معظم ينظر مختار الصحاح (باب الجيم) ص ١٢٣.

(٤) يسوق أصحابه(سوق) مثل اسد وأسد مختار الصحاح (باب السين) ص ٣٤٣، وينظر حديث رقم (٣٥٤٢) (٣٥٤٣) (٣٥٤٤)(٣٥٤٥)(٣٥٤٦)(٣٥٤٧) (٣٥٤٨) (٣٥٤٩) (٣٥٥٠) (٣٥٥١) (٣٥٥٢) (٣٥٥٣)(٣٥٥٥) (٣٥٥٦) (٣٥٥٧)، ينظر فتح البارى فى أوصاف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ٦٥٦، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، وينظر عمدة القدس، باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ص١٦٥،١٦٤،١٦٣،١٦٢ وما بعدها ينظر الموطأ ص ٦٠٩ وما بعدها.

لسماعها القلوب للسوح معها فى محراب كمالها وجمالها وجلالها وإجلالها ليعرف كل مسلم، وكل مشتاق محب شغوف بعضاً من الأوصاف جليلة القدر لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- الكامل الأمين خلقاً وخُلقاً، جد الرياحين، والذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ولا يعلم قدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الله جل وعلا وتوحد وتفرد فى ملكه وملكوته، ولكن حسبنا أننا اجتهدنا فى ذلك ابتغاء مرضات الله سبحانه- حباً، وولاءً، واعترافاً بفضله العظيم، شوقاً وهياماً لرُبا حبيب رب العالمين يقظة ومناما وجميع المؤمنين والمؤمنات المسلمين والمسلمات، فإن أصبت فمن الله وحده لا شريك له، وإن كان غير ذلك فحسبى الاجتهاد، راجية من الله العلى القدير العفو والسماح ببركة، رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم.

يقول ابن ابى هالة- رضى الله عنه- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم- فخماً مفخماً.

يقول: شوقى: ولد الهدى فالكائنات ضياء

وفم الزمان تبسم وثناء[1]

ففى الحديث حسن الابتداء لأنه أوّل ما يقرع السمع، فإن كان عذباً حسن السبك ذو معنى جميل بديع أقبل السامع وأصغى إلى الحديث فوعى جميعه[2]، والاستهلال والابتداء يقال استهلت السماء وذلك فى أوّل مطرها، وهو أن يبتدئ الشاعر أو الكاتب بما يدل على الغرض فإن تحسين الاستهلالات والمطالع من جمل وبديع هذه الصناعة، إذ هى الطليعة الدالة على ما بعدها[3]، وفائدة حسن الابتداء فيه:

---

(١) ديوان شوقى ١/٥٩٧- دار النهضة ١٩٨٠م.

(٢) ينظر بغية الايضاح ص ٢٤١.

(٣) ينظر بغية الايضاح ص ١٤٠.

- دلالة قوية تكمن فى الألفاظ المستعملة موحية بمعنى أنها تلفت نظر السامع والمتلقى لما يلقى إليه من كلام، فكلما كانت الألفاظ أكثر إيحاءً بالمعانى المقصودة، والصور والأفكار المطلوبة كانت أدخل فى البلاغة وأقرب إلى الفصاحة[1].

- وفى قوله (فخماً مفخماً) كشف وتوضيح عن معنى الموصوف وإيضاحه وزيادة بيانه، لدرجة قد نصل إلى تحديد الموصوف تحديداً تاماً[2].

- وهنا بدأ بقوله (فخماً مفخماً) لأنها صفة يأتى من بعدها أوصاف كثيرة متممة لها، وذلك لتفرد العرب بالذوق فى الكلام لأنهم أهل بيان وبراعة وفصاحة وللتشويق وذلك لعلوّ قدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن العين التى كتب الله لها رؤية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. تجد فيه من المهابة والخشوع والجلال، والوقار، والجمال، والكمال، والفخامة ما تحار فيه العقول وتسبح فيه الأرواح وتهيم فيه القلوب.

- كما أن فى قوله (فخماً مفخماً) إيجاز قصر، وهو من الإيجاز الحسن البديع وهو أن يؤتى باللفظ اليسير، والمعنى كثير، بلا أخلال بالمعنى المراد مع اتصاف الكلام بالجمال والحسن والبلاغة، مع ما تحمله الصور والأفكار من معانى جاءت عفو الخاطر فى غير تكلف مع اعتدال وإبداع.

- وفى قوله رضى الله عنه (فخماً مفخماً) تكرار جيئ به للتوكيد، وهو سنة بيانية من سنن العرب، جاءع عليها القرآن الكريم، وقيل التكرار والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر[3].

---

(١) ينظر فن البلاغة ص ١٧٨.

(٢) ينظر فن البلاغة ص ٢١٢، ٢١٣.

(٣) الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية، د/ عز الدين على السيد ص ٨١.

- فى الوصف الشريف قوة فى الألفاظ وتناسق فى المعانى ورصفاً فى المبانى وجمالاً فى العبارة، ودقة فى الاختيار للكلمات المعبرة وقد جئ بالتوكيد لتقرير الكلام وتمكينه فى ذهن السامع والمتلقى للتعظيم.

- كما أن هذا الوصف فى معرض الحقيقة، وإن كانت الحقيقة أعظم بكثير من كل الأوصاف.

- كما أن الوصف الجليل جواباً لسؤال مقدر تقديره هل كان صلى الله عليه وسلم - فخماً مفخماً؟ فيكون الجواب فخماً مفخماً وذلك لخصوصيته صلى الله عليه وسلم- فالموصوف مخصوص أى المسند إليه لأن قدرة لا يدرك بالوصف، وإن كان الوصف مقرباً للحقيقة وذلك لعجز الأفهام عن الوصول لحقيقة الأوصاف الجليلة لخير الأنام.

- فى قوله (فخماً مفخماً) كناية حسنة عن الرفعة وعلو الشأن.

قد أتى بالمعنى مجملاً ثم فصل ذلك لقوله: (يتلألأ وجهه تلؤلؤ القمر ليلة البدر) وفى هذا الوصف الجميل يوضح لنا هند ابن أبى هاله- رضى الله عنه-بأن وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- مضئياً ذا طلعة بهية لأنه نور من نور الله عز وجل لقوله سبحانه وتعالى(الله نور السموات والأرض) [1]، وقال تعالى: (لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)[2]، وروى عن يحيى بن بكير عن الليث بن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ان عبد الله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف بتبوك قال: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم- وهو يبرق وجهه من السرور وكان رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة النور آية ٣٥.

(٢) سورة المائدة آية ١٥.

وسلم- إذا سُر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه"[1].

وفى هذا الأسلوب الرصين تشبيه. حسن جميل حيث شبه وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- بالقمر فى ليلة البدر أى ليلة أكتماله وتمامه، وإن كان القمر قد أخذ القمر نوره وضياؤه- من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- ولكن على نهج العرب فى ذلك من تشبيه الوجه الحسن الجميل بالقمر تارة وبالبدر أخرى وبالشمس تارة ومره اخرى ووجه الشبه هو التلؤلؤ والنور والبهاء والاستدارة بجامع مطلق الضياء والنقاء والصفاء والإنارة، ثم حذفت أداة التشبيه وذكر المشبه هو الوجه الشريف والمشبه به وهو القمر وذلك من أبلغ أنواع التشبيه هو المحذوف الوجه وأداة التشبيه، ونجد المشبه مزين لأنه يزين الكون كله بضيائه وبهائه وجماله وحسنه وروعته، فهنا شبه شكل بشكل له من الجمال والحق فى نفسه ما يبهج ويبعث على الفرح والابتهاج عند سماعه وذلك ترغيباً فى المشبة وتعظيماً له، وهذا غرض من عظيم من أغراض البيان وقد حفل القرآن الكريم بذلك كثيراً.

وقد يكون التشبيه السابق من التشبيه المقلوب لأن الأصل فى التشبيه أن يشبه الشئ بما هو أبين منه وأوضح، وقد يكون غرض المتكلم المبالغة فيجعل المشبه مشبهاً به والمشبه به مشبة مدعياً أنه أتم وأوضح فى وجه السنة حيث صار أصلاً يقاس عليه ويشبه به ويسمى هذا النوع بالتشبيه المقلوب[2].

---

(١) ينظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٦٥٣١٦ حديث رقم (٣٥٥٦) ، ورواه مسلم ١٥/ حديث رقم (٢٣٣٧) بلفظ (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً) وحديث رقم (٢٣٤٠) (كان أبيض مليح الوجه) وحديث رقم (٢٧٦٩) بلفظ (يبرق وجهه من السرور) (كان صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمر).

(٢) ينظر لباب البيان ص ١٦٩.

وذلك لأمور عدّة أولاً لأن الدنيا كلها أكرمت من أجل أحب خلق الله تعالى صلى الله عليه وسلم ثانياً أن الشمس والقمر لم يأتيا من أجل هداية الناس للجنة وإنما جيئ بهما للرؤية فقط. ثالثاً: أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم النور الذى أتى بالنور المبين هدى ورحمة للعالمين شفيعاً يوم الدين بخلاف الشمس والقمر فلم تخلق الدنيا من أجلهما وخلقت من أجل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- لهداية الناس أجمعين سبحان الله العظيم. وهو أصل الإيمان الذى هو أقوى وأعظم من كل الأنوار فصلى الله عليه وسلم نور ضياء بهاء كمال رب الأرض والسماء قال تعالى: ﴿واشرقت الأرض بنور ربها﴾ [1]، وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نور من نور الله عز وجل فكان يجب تشبيه القمر والشمس بنور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. وذلك تطرية للسامع والمتلقى فهو صاحب الرسالة السامية التى أخرجت الناس من الظمات إلى النور فصلى الله عليه وسلم قرآناً يمشى على الأرض وفائدة التشبيه هنا التجسيد المعنوى، والتصوير والتوضيح حتى كأننا نرى ذلك مرآى العين، ويكفى فى هذا الغرض أن يكون وجه الشبه فى المشبه به معروفاً أو مشهوراً حتى يتحقق تزين المشبه وتحسينه[2]. وإن كان هنا المشبه يزين الدنيا كلها صلى الله عليه وسلم.

وقد أتى بلفظ (يتلألأ) بالمضارع دون الماضى (تلألأ) لأن الأفعال المضارعة فى السبق كغيرها ماضية الوقوع، ولكنها صورت صورة الحاضر المشاهد جذباً لانتباه المخاطب إلى ما يذكر[3] من استحضار المستقبل لتعين هذا المشهد بالمشاهدة لتقريره ولتمكينه فى الذهن وقد حفى

---

(١) سورة الزمر آية ٦٩.

(٢) شروح التلخيص ٣/ ٤٠٣ ط الحلبى.

(٣) الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية ص ٣٥٧ (بتصرف).

الوجه (بالتلؤلؤ) لأنه أوّل ما يقابل الإنسان وبه الجبهة التى سجدت للرحمن قبل كل جبهة وللدلالة على قداسة هذا المكان، لأنه به العين، والأنف، والفم والسمع ففيه اربع حواس من الخمس، ولذلك كان مخصصاً بالأهمية وقد قدم (التلؤلؤ) على الوجه حيث قال (يتلألآ وجهه) وذلك لإنارته وضيائه وصفائه، وللتشويق لمعرفة بقية الأوصاف الشريفة، ولأن الوجه تقدم فىالوصف على غيره من الأجزاء الشريفة لزيادة شرفه فى البشر العادى أما سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فهو أصل لكل شرف فى كل عضو من أعضاء الجسد الطاهر النقى الشريف وكذا للترتيب الصحيح يجب تقدمه كتقديم المبتدأ على الخبر.

وقد خص القمر بالذكر لأمور عدّة:

- لكمال الإنارة والاستدارة والصفاء والنقاء، والمنير ليلاً يظهر أكثر من المنير نهاراً كما قال النابغة لحسان بن ثابت:

لنا الجفان الغر يبرقن بالدجى

وأسيافنا يجرين من نجدة دما[1]

- وللكمال المطلق الخلق والخُلقى الذى لا يقتر ولا يتغير ولا يتبدل ولا يقل ولا ينقص وإنما من زيادة إلى زيادة فى الدنيا والآخرة.

يقول البوصيرى رحمه الله:

سريت من حرم ليلاً إلى حرم

كما سرى البدر فى داج من الظلم[2].

- كما أن حكمة (ليلة) توحى بأن تمام وإكتمال البدر ليلة واحدة كل شهر فقط فله يوم ووقت معلوم يتم فيه التمام بخلاف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو تام كامل من مولدة صلى الله عليه وسلم.

---

(١) البلاغة أ.د أبو موسى ص ١١، ١٩٨٩م.

(٢) البردة ص ١٧.

- كل ضياء وجمال وبهاء يشبه بالقمر والشمس وذلك لوضوح وسطوع الدلالة فإن أردنا أن تشبه الشمس والقمر بماذا نشبههما؟ فلا يكون أتم وأقوى وأضوأ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- فى قوله (تلألأ- تلؤلؤ) ملحق بالجناس وهو الجمع بين اللفظين بالاشتقاق.
- وفى رواية (وإذا ضحك كاد يتلألأ الجُدر) أتى بلفظ كاد من باب المبالغة الحسنة المقبولة التى جاءت بدلالة صحيحة على الفعل وهو ميدان رحب فسيح يستابق فيه الشعراء المجيدون فى مدحهم ووصفهم.. الخ[1] مثل قول الشاعر:

يكاد يخرج سرعة من ظلة .. لو كان يرغب فى فراق صديق

- وفى قوله (إذا ضحك يتلألأ الجُدر) استعار التلؤلؤ للجدر بجامع السرور والفرح فى كل حذف المشبه الإنسان وذكر للجدر ورمز له بشئ من لوازمه وهو الضحك لأنه للإنسان لا للجدر على سبيل الاستعارة المكنية وسر بلاغتها التجسيد والتجسم المعنوى وإظهار المعنى فى صورة الحسى لتقوية المعنى وبيانه أحسن بيان.
- قال تعالى: (يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار"[2].

يقول ابن أبى هالة- رضى الله عنه وارضاه (أطول من المربوع وأقصر من المشذب) فى قوله أطول، وأقصر طباق وهو الجمع بين المتضادين أى المعنيين المتقابلين فى الجملة ويكون ذلك أمّا بلفظين من نوع واحد اسمية أو مختلفين.

فى قوله أطول؛ وأقصر أفعال تفضيل وقد قيل أن صيغة أفعل من معانى صيغ الزوائد قد تأتى للتعدية مثل اقمت زيداً وأقعدته والأصل قام زيد وقعد؛

---

(١) نظرات فى علم البديع ص ١١٨.

(٢) سورة النور آية ٣٥.

فلما دخلت عليه الهمزة صار زيد مُقاماً مُقعداً مقرءاً فإذا كان الفعل لازماً صار بها متعدياً لواحد، وإذا كان متعدياً لواحد صار متعدياً لاثنين، وإذا كان متعدياً لاثنين صار متعدياً لثلاثة إلا (أى وعلم، كرأى وعلم زيد بكراً قائماً نقول: أرأيت أو أعلمت زيداً بكراً قائماً.. وما يخصنا هنا هو مصادقة الشئ على صفة (كأحمدت زيداً وأكرمته ،ابجلته) أى صادقته محرراً أو كريماً أو بخيلاً»[1].

فى قوله (أطول من المربوع وأقصر من المشذب) أحتراس وتكميل لبيان أن الحكم صحيح، والوصف دقيق ومناسباً لكماله صلى الله عليه وسلم.

كما أن فى الوصف الجليل القدر التقسيم الحسن البديع وهو استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذى أخذ منه بحيث لا يغادر منه شئ[2].

كما أن فى هذا الأسلوب مناسبة وذلك لأن المربوع هو الوسط والمشذب هو الطويل البائن فى نحافة فهنا مناسبة تامة من بديع الأسلوب وجميل الكلام فللنظم البديع عذوبة فى اللفظ، وعلو فى النسق وفصاحة [3].

فى قوله أطول من المربوع أتى بمن هنا للتوكيد فى الكلام مثل الباء[4]، وذلك لزيادة الكلام قوة وجزالة وبيان وإيضاح وذلك كما ذكر – سيبويه – العالم المعروف (يأتى بالحروف لتأكيد المعنى) [5].

وكذا فى قوله (أقصر من المشذب) توكيد معنوى يزيد المعنى قوة وجزالة وإبداع وبيان.

---

(١) شذا العرف فى فن الصرف ص ٣٦، ٤٠ للأستاذ الشيخ أحمد المحملاوى.

(٢) نظرات فى علم البديع ص ١٥.

(٣) الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية ص ٣٠٩.

(٤) أثر النحاة فى البحث البلاغى ص ٧٧.

(٥) أثر النحاة فى البحث البلاغى ص ٧٨.

- في قوله السابق أسلوب جاء به للتوضيح وهو من أحوال المسند فيكون بذلك الوصف تخصيصاً للرسول صلى الله عليه وسلم ويأتى به للتعميم أيضاً ولأن الموصوف يختلف عن كل موصوف فلابد وأن يكون للوصف مزيـــة زيادة عن غيره من الأوصاف[1].

فى قوله (واقصر من المشذب) الواو هنا للعطف لوجود الجهة الجامعة بين المعطوف والمعطوف عليه، وهذه الجمعة الجامعة هى الضدية فى قوله (أطول ثم أقصر). وقد ورد عطف الجملة الثانية على الجملة الأولى لإفـــادة المغايرة كما فى قوله تعالى: ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾[2] فهنا وصل بالواو لسر فى نفس المتكلم ومغزى يُقصد إليه كالمغايرة.

قوله رضى الله عنه (عظيم الهامة) أى الرأس، وقد سبقت بالتعظيم أى رأس عظيمة لأن ما تحوى من علوم ومعارف وأســرار لا يشــبهها رأس بشرى مطلقاً فيما تحويه فهى هامة أعظم ما خلق الله من هامات على وجه الأرض لأنها هامة أحب الخلق لله، والتى لا تقارن بها هامة أخرى، فكم من مكتبات كل العوالم ملأت من فيض سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فكل من تعلم فى جميع العوالم عرف وكتب وفقه وما كان ذلك إلا فيض قليل جداً من بحور كثيرة مما أفاض الله به على رسوله ومصــطفاه صــلى الله عليه وسلم.

وفى الوصف الشريف المجاز المرسل الحق فقد ذكر الــرأس وخصــها بالعظم والمراد الجسد الطاهر الشريف كله فقد ذكــر الجــزء وأراد الكــل والعلاقة هنا الكلية، وبلاغة المجاز المرسل تكمن فــى أن يكــون المعنــى المجازى كلا يتضمن المعنى الحقيقى كما أن للرأس والوجه والرقية مزيــد

---

(١) الإشارات والتنبيهات ص ٣٨.

(٢) سورة النحل آية ٣٤.

اختصاص بالمعنى المقصود، كما أن هذا الجزء أشرف الأجزاء فى البشر العادى ولكن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- جسده كله نور من نور رب العباد.

وقد جيئ بالوصف الجليل للتفخيم والتعظيم وذلك لاستيعاب هامة سيدنا رسول الله صلى الله وسلم- القوة المستحكمة وذلك بالقرآن الكريم، والذى حوته الهامة الشريفة، واستوعبه العقل وتغلغل فى الكيان، فحوت الهامة حكمة النبوة، وفهم المرسلين. وحفظ المعارف، وتبصير الوحى، وتأديب الله عز وجل بالحكمة الرصينة والذكاء والإلهمام[1]. فبحر العلوم نقطة من فيضة صلى الله عليه وسلم، ونرى اللغة وكأنها كاشفته باسرارها فأعجز كل الخلائق بالقرآن الكريم المعجزة الخالدة العاقبة على مر الزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى: (فأتوا بسورة من مثله وأدعوا شهدائكم من دون الله أن كنتم صادقين) [2].

وفى قول هند بن أبى هاله- رضى الله عنه (رجل الشعر) يوضح رضى الله عنه- بأن شعر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- ليس شديد الجعودة وقد كان صلى الله عليه وسلم- بالصفة التى يولد عليها كل مولود، وقد كان شعره صلى الله عليه وسلم- حسناً جميلاً، وقد ذكرت الآية فى شعره الشريف- صلى الله عليه وسلم- أخرج سعيد بن منصور وابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقى وأبو نعيم عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فطلبها حتى وجدها، وقال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقهم إلى ناصيته فجعلتها من هذه القلنسوة فلم أشهد قتاله وهى

---

(١) البلاغة النبوية د/ إخلاص فخرى، ص ٨٠، ٨١ (بتصرف).

(٢) سورة البقرة آية ٢٣.

معنى إلا رزقت النصر[1].

ذكر رضى الله عنه فى صفه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (رجل الشعر) بدون الألف واللام أى بدون التعريف لأن التنكير يقيد التفخيم والتعظيم من أوّل الأمر ابتداءً، وذلك لأن قدْر سيدنا رسول الله عظيماً، وحالة عظيماً، وجميع أوصافه عظيمة صلى الله عليه وسلم.

وقد قال (رجل) ولم يقل (جعد) وذلك لاستيفاء اللفظ المعنى فحُسن المبنى- والدلالة فى الكلام هنا دلالة لفظية حسيّة وهى أوفى وأجمل وأحسن من الدلالة اللفظية الغير حسيّة، لأن المستحيل كالمشاهد. وأقرب للفهم وأرقى منزلة من مجرد الأفهام وذلك لأن الألفاظ وعاء للمعانى يقول فى ذلك ابن جنى (الألفاظ خدم للمعانى، والمخدوم لا شك- يكون- أشرف من الخادم إلا أن العناية باللفظ عنده لازمه، فبدون الألفاظ لا يمكن أبراز المعنى وتوضيحه وإصلاح الألفاظ، وتهذيبها ومراعتها أمر يحتمه التعبير لأن اللفظ عنوان المعنى، وكالوعاء له، وإصلاح الوعاء وتحسينه قصد به الاحتياط لما أودع به والحفاظ عليه.. الخ)[2].

وأضاف (رجل) إلى (الشعر) للتخصيص الذى يقيد الأهمية.

كما أن فى هذا الوصف البديع الإيجاز الحسن الغير مخل بالمعنى وهو من إيجاز القصر، وهو أبلغ أنواع الإيجاز..

فى الأسلوب السابق تقديم حيث قدم (رجل) على (الشعر) للاهتمام بالمقدم وتخصيصه وذلك للبيان والتوضيح فبدأ بالأهم وإن كان كله مهم، وهذا الأسلوب جميل قال عنه الإمام عبد القاهر الجرجانى: (هو باب كثير الفوائد، جم المجلس، واسع التصرف يعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضى بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعة، ويلطف لديك

---

(١) ينظر الخصائص الكبرى- السيوطى- ص ٦٨.

(٢) أثر النحاة فى البحث البلاغى- د عبد القادر حسين- ص ٢٧٩ (بتصرف).

موقعة ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قدم فيه شئ وحُوِّل اللفظ عن مكانة إلى مكان)[1].

وفى قوله (إن انفرقت عقيقته فرقها وإلا فلا) فى قوله (إن) استعمالها على وجهين: أولهما: أن تكون حرف توكيد، ثانيهما: أن تكون حرف جواب بمعنى نعم[2]. وقد استعملت هنا بمعنى التوكيد فزادت المعنى قوة وجمالاً وجزالة، وأدت الفرض المطلوب وجاءت فى موضعها مستقرة فى مكانها متمكنة فى زمام اللفظ، فربطت أوّل الكلام بآخرة ..

وفى قوله (انفرقت) التاء عائدة على العقيقة وأتى بالفعل ماضى حال حدوث الفعل فى الماضى صلى الله عليه وسلم- وذكر (عقيصته).

ولم يقل (أل) بالتعريف للتعظيم والتفخيم والمبالغة فى الفعل.

وبين (انفرقت) و(فرقت) جناس نقاص فيه زيادة المعنى قوة وبهاءً.

وفى قوله (إلا) أداة استثناء وقد جئ بها هنا كالعلة لإقرار الحكم فجيئ بإلا لتأكيد القصر فى الجملة الذى يؤدى إلى زيادة تمكين الحكم فى ذهن السامع، وقد أتى بها هنا للتنبيه على تحقيق ما بعدها وهى تستعمل فى الأمور المهمة[3].

وفى قوله (فلا) لنفى الحال إذ لم يحدث فلا.

وفى قوله (إلا فلا) من أسلوب القصر وهنا جاء على طريق العطف ويكون العطف بـ لا، أو بل، أو لكن، وهنا أتى بلا وجيئ قبلها بـ ف فى قوله (فلا) ويفيد الحرف الترتيب والتعقيب وثم تفيد الترتيب والتراخى وأتى بـ (لا) لتحقق أسلوب النفى والاستثناء فى العبارة، وهذا الأسلوب هو أقوى طرق القصر، للتصريح فيه بالمثبت والمنفى معاً بخلاف غيره، فالنفى

---

(١) دلائل الأعجاز ص ٧٩.

(٢) معنى اللبيب ١/٣٧.

(٣) بلاغة تطبيقية دراسة لمسائل بلاغية من خلال النصوص ص ٣٥، ٣٦.

فيه ضمنى والمقصور عليه فى العطف بـ (لا) هو المقابل لما بعد (لا) وهنا القصر من قصر التعيين.

يقول الإمام عبد القاهر الجرجانى وكذلك توصيف (لا) فى قولنا مررت برجل لا طويل ولا قصير، بأنها مزيده ولكن على هذا الحدّ فيقال هى مزيده غير معتد بها من حيث الإعراب، ومعتد بها من حيث أوجبت نظر الطول والقصر، ولولاها لكانا ثابتين لها[1].

وفى هذا الوصف الجليل ايضاح بعد الإبهام حيث ذكر أنه صلى الله عليه وسلم (رجل الشعر) ثم أوضح بأن هذا الشعر أن انفرقت عقيقته فرقت وإلا فلا، حيث أوضح المعنى؛ وهنا أتى بالجملة مفصلة بعد الابهام على سبيل التوضيح.

وفى قوله (فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه) أتى بالفاء لتقوية الكلام وتوكيده لفظياً ومعنوياً.

يرى صاحب الاتقان فى علوم القرآن أن الفاء ترد على أربعة أوجه أولاً: أن تكون عاطفة فتفيد ثلاثة أمور الترتيب معنوياً قال تعالى: (فوكزه موسى فقضى عليه) [2]، ثم السببية من غير عطف نحو (إنا أعطيناك الكوثر) [3].

أن تكون رابطة للجواب حيث لا يصلح أن يكون شرطاً، بأن كان جملة أسمية قوله تعالى: (إن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ) [4]، أو فعلية فعلها جامد نحو قوله تعالى ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً (*) فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي

---

(١) دلائل الإعجاز ٤٠٩.

(٢) سورة القصص آية ١٥.

(٣) سورة الكوثر آية ١.

(٤) سورة المائدة آية ١٨٨.

خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ﴾[1]، أو الثانى نحو قوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [2]، وكذا تربط شبه الجواب بالشرط [3].

وفى هذا التعبير المزاوجة وهى اتحاد أجزاء الكلام يدخل بعضها فى بعض ويشتد ارتباط ثان بأوّل، وأن يحتاج فى الجملة التى فى النفس أن يكون حالنا فيها حال الباقى يصنع بيمنه هنا فى حال ما يصنع بيساره هناك[4]، وفى هذا الوصف الجليل أشتد ارتباط المعنى الثانى بالأوّل فى قول ابن أبى هالة- رضى الله عنه- (فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه) مع ما قبله (إن انفرقت عقيقة فرقها وإلا فلا) لأن المعنى الثانى مرتبطاً مع الأوّل ارتباط الجزاء بالشرط، كما أن فى الوصف التتميم أو التكميل وقال (يجاوز) ولم يقل (تعدى) بحيث يصف وصفاً دقيقاً نسبة طول وقصر الشعر فكان صلى الله عليه وسلم- لا يتجاوز شعره شحمه أذنيه أى أنه لا يطيل شعره وإنما كان قصيراً وهذا من علامات الرجال وعدم التشبيه بالنساء روى فى ذلك عن مالك عن زيد بن أسلم أن عطاء بن يسار أخبره قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم- فى المسجد فدخل رجل ثائر الرأس فإنه شيطان؟ فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم- بيده أن أخرج، كأنه يعنى إصلاح شعر رأسن ولحيته ففعل الرجل ثم رجع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لبس هذا أخيراً حتى أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان [5].

ولأن فى معنى التعدى التجاوز فوضح رضى الله عنه- أنه لا يجاوز شعره شحمه أذنيه.

---

(١) سورة الكهف آية ٣٩: ٤٠.

(٢) سورة آل عمران آية ٣١.

(٣) ينظر الاتقان فى علوم القرآن ٢٠٩، ٢١٠ (بتصرف).

(٤) علم البديع بس ٤٦ هـ (هاشم محمد هاشم) أ.د منى حمد على د/ فايزة عبد الحميد.

(٥) ينظر المؤطا ص ٦٢٦ حديث رقم (٧) (باب السفة فى الشعر) (كتاب الشعر).

وقال (شعره) ولم يقل (شعر) لأن المقام للتعظيم والتكريم والإجلال لأن المتحدث عنه خير خلق الله كلهم صلى الله عليه وسلم- وذلك للعناية بأمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفى هذا الوصف الترتيب الحسن الثابت من رتب الشئ ترتب ورتبه ترتيباً أثبته، وهو أن يجنح الكاتب إلى أوصاف شئ فى موضوع واحد أو بيت واحد وما بعده على الترتيب ويكون ترتيباً فى الحلقة الطبيعية، وفى *النظم لا يدخل الناظم فيها وصفاً زائداً عما يوجبه علمه فى الذهن أو فى* العيان [1]، ولو أتى بلفظة أخرى لم يكن ليؤدى المعنى بهذه الدقة- وقد اضيف الشعر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- فى قوله (شعره) تشريفاً لشعره صلى الله عليه وسلم. بإضافة الشعر للرسول صلى الله عليه وسلم- وقد خصص شحمة أذنيه وهنا يكمن دور التعليم والترشيح للعقل نفسه قال تعالى: (ولكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) [2].

وفى قوله رضى الله عنه(إذا هو وفرة) والشئ الموفور هو الشئ التام (وفره) لغة غيره من باب وعد يتعدى يلتزم [3]، بمعنى أنه قد يتعدى إلى مفعولين أو يكون لازماً.

وقد جيء بإذا هنا وهى تُستعمل للتحقيق والقطع، وأن المتكلم يكون جازماً بوقوع الشرط، ولذلك تستعمل فى الحكم الذى يغلب أن يكون وقوعه محققاً [4]، وهنا دخلت على (هو وفره) وذلك لتحقق وقوع الفعل والجزم به، ولا شك فى تحقق وقوعه يقول الخليل: (وسألت الخليل عن (إذا) ما منعهم أن يجاوز بها فقال: الفعل فى إذا بمنزلة فى (إذ).. فإذا فيما يستقبل

---

(١) ينظر المعجم المتصل فى علوم البلاغة، ص ٣٠١.

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٢.

(٣) مختار الصحاح ص ٧٥٥.

(٤) أثر النحاة فى البحث البلاغى ص ٥٩.

بمنزلة إذ فيم مضى، وبين هذا أن (إذا تجئ) وقتاً معلوماً إلا ترى أنك لو قلت آتيتك إذا احمر البسر كان حسناً، ولو قلت آتيتك إذا إحمر البسر كان قبيحاً فإن أبداً مبهمة [1]، وقد أتت هنا حسنة فى موقعها لأنها أتت لأمر محقق يقيناً أدت المعنى المراد فى أحسن وأبهى وأسمى تعبير، وأنه واقع الحصول وترابط بين الجمل فكانت العبارة رصينة قوية حسنة، وقيل: أتى بلفظ (إذا) لأن السبب راجح الوقوع فى اعتقاد المتكلم [2].

ذكر (هو) ضمير الشأن ولم يأت بالفعل مباشرة، والضمير المذكور فى خير خلق الله كلهم وذلك للأهمية التى تفيد الاختصاص على معنى (إذا وفره) وأتى بالأهمية للاختصاص تعظيماً وتكريماً، حيث ذكر فعل الشرط، وحذف الجواب، تقديمه (وإلا فلا) وهو من باب حذف أكثر من جملة من الاختصار الجميل الحق لأن الاختصار لسببين ١- لمجرد الاختصار واعتماداً على القرينة. ٢- للتعظيم وأنه شئ عظيم لا يحيط به الوصف قصداً للمبالغة لتذهب نفس السامع فيه كل مذهب وكان الاختصار للسببين معاً [3] وذكر (هو) للتحقيق والتأكيد ومراعاة لمقتضى الحال.

وفى قوله (وفره) يأتى الضمير عائداً على الشعر وهو غير عاقل وله استعمالات حيث وضع (الشعر) موضع (العاقل) ليأخذ نفس الحكم.

(أزهر اللون) أفعل تفضيل وذلك لأفضليته صلى الله عليه وسلم- على غيره من جميع البشر، لذا لون بشرته أبهج وأصفى وأنور وأجمل وأنقى وأحسن ألوان البشرة جمعياً، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[4]

---

(١) أثر النحاة فى البحث البلاغى ص ٥٩، والكتاب لسبوية ٤٣٣/١.

(٢) الاشارات والتنبهات فى علم البلاغة ص ٥٦.

(٣) ينظر بغية الايضاح ٢/ ١٠٩.

(٤) سورة الروم آية ٢٢.

قيل أى بياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما، أو تصوير الأعضاء وهيئاتها، وألوانها وجمالها بحيث وقع التمايز بين الأشخاص حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما، والأمور الملاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شئ من ذلك لا محالة وإن كان فى غاية التشابه فالألوان بمعنى الضروب، والأنواع كما يقال: ألوان الحديث وألوان الطعام وهذا التفسير أعم من الأول وقيل: نظم اختلاف الألسنة والألوان فى سلك الآيات الأفاقية من خلق السموات والأرض مع كونه من الأيات الأنفسية الحقيقية بالانتظام فى سلك ما سبق من خلق أنفسهم، وأزواجهم للإيذان باستقلاله، والاحتراز عن توهم كونه من متممات خلقهم[1]

وقد ورد أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلابد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً، لأن الألفاظ أدلة على المعانى، وأمثلة للإبانة عنها فإذا زيد فى الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعانى[2] ولما جاء الفعل على أفعل التفضيل للتفخيم والتكريم والتعظيم لأن الموصوف أعظم من كل عظيم، وليدل على أن لون بشرته تختلف تماماً عن كل بشرة وأجمل من كل لون وأنور من الشمس والقمر والنجوم وأبرع الألوان- فقيل (أزهر) ولم يقل (أبيض) لأن أزهر أبيض مشرق اللون بمعنى البياض وزيادة والزيادة هنا هى الإشراق والنور والضوء الباهر والذى اختفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم. دون جميع البشر لأن البشر العادى يقال له أبيض، وأسود.. الخ.ولم يوصف بأزهر غير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- لأنه أكمل وأجمل خلق الله كلهم.

وقدم (أزهر) للعناية بشأن المقدم من الكلام مع الأهمية يستلزم مزية اهتمام وعناية خاصة، وحين يوصف سيدنا رسول الله صلى الله عليه

---

(١) روح المعانى ٢١/ ٣١.

(٢) المثل السائر فى أدب الشاعر الكاتب ابن الأثير المقالة الثانية فى الصناعة المعنوية ص ٢٤١.

وسلم- (بأزهر اللون) تذهب النفس مع اللون كل مذهب فى تفكر وتدبر وكأننا تراه أمامنا- صلى الله عليه وسلم- بوجهه الذى هو أكمل من البدر، فالمعنىالمتخيل المشاهد أقوى وأتم فى الوصف مع تجسيم وتوضيح وبيان.

وبإضافة (اللون) إلى (أزهر) تم المعنى ووضح وزاد رصانه فالألفاظ عناوين المعانى كما قال ابن الأثير (الألفاظ عنوان المعانى، وكالوعاء لها، وإصلاح الوعاء وتحسينه قصد به الاحتياط فالألفاظ المزخرفة المنعمة تحتمل فى طياتها معنى شريفاً فخماً) [1]

وفى قوله (أزهر اللون) لون من البديع يسمى (الاستتباع) وهو المدح بشئ على وجه يستتبع المدح بشئ آخر[2] ثم ذكر بعد ذلك (واسع الجبين) والجبين فى الوجه فاستتبع (أزهر اللون) بـ (واسع الجين).

فى قوله (أزهر اللون) إيجاز غير مخل بالمعنى حيث اللفظ القليل أى اليسير والمعنى كثير وهو من إيجاز القصر لأن فيه تصريح بالمطلوب من غير تكرار للمعنى. وفى قوله (أزهر اللون) كناية عن الشفافية، والضياء والبهاء والنقاء ثم اتبع ذلك بقوله رضى الله عنه (واسع الجين) اتساع وهو من وسع واتسع ضد ضاق أى امتد وطال، وعرفه ابن رشيق بقوله هو أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل فيأتى كل واحد بمعنى لقوة اللفظ والمعنى ومنه قول امرئ القيس:

قامتا تفوح المسك منهما .. نسيم الصفا جاءت بريا القرنفل.

وقال السبكى: (هو كل كلام تتسع تأويلاته فتتفاوت العقول فيها لكثرة احتمالاته، لنكتة ما كفواتح السور، وقد اشار الحموى فى الخزانة إليه

---

(١) المثل السائر المقالة الثانية ص ٢٧٩.

(٢) بغية الإيضاح ٤/ ٦١.

بقوله: (هذا النوع أى الاتساع يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه ويحسب ما تحتمل ألفاظه من المعانى[1]

عبر بلفظ (واسع) ولم يقل (عريض) لأن السعة معروفة بالشمول والإحاطة وتحوى كل الأشياء بخلاف (العرض) ولأن جبهته الشريفة أول جبهة سجدت لعظيم الجناب رب الأرباب فكانت السَّعة من شدَّة الأنوار والضياء والبهاء.

وعبر بقوله (واسع) والوسع هو الوضوح أى واضح الجبين عكس الغموض وفيه من البيان ما لا يخفى حيث شبه الجبين فى السعة بالمكان الواسع بجامع الراحة فى كل والسعة والرغد حذف المشبه وذكر المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية وفائدة الاستعارة التجسيم والتوضيح والبيان، وقوة الفكر والوجدان، وحسن التصوير، وروعة التأثير.

فى قوله رضى الله عليه (واسع الجبين) استيعاب للمعنى كاملاً، حيث استقصى المعنى كله بدقة وإن كان هذا التصوير لا يصف الحقيقة الكلية للكمال المطلق لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- خير خلق الله كلهم.

كما أن فى هذا الوصف ائتلاف اللفظ مع المعنى وهو (من أراغ معنى شريفاً فليلتمس له لفظاً كريماً فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف[2]

يقول فى ذلك عز الموصلى:

تؤلف اللفظ والمعنى فصاحته ... تبارك الله منشئ الدُّر فى الكلم[3]

فى قوله (واسع الجبين) إثبات الشئ للشئ وسماه بذلك المصرى فينفيه عن غير ذلك الشئ وهو : (أن يقصد المتكلم أن يفرد إنساناً بصفة مدح لا

---

(١) المعجم المفصل ص ٢٤.

(٢) المعجم المفصل ص ١١.

(٣) المعجم المفصل ص ١٢.

يشركه فيها غيره بنفى تلك الصفة فى أول كلامه عن جميع الناس وإثباتها له خاصة[1]

وعبر بقوله (واسع الجبين) لأن سعة الجبين من أقامة فروض الله سبحانه وكذا النوافل وذلك بإقامة الصلاة لأنها عماد الدين قال تعالى:﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [2]، وقوله سبحانه﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾[4]، وهذا التخصيص فيه إجلال وتعظيم وتكريم فأعلى جبهة على وجه الكرة الأرضية منذ بدء الخلق إلى يوم الدين يكمن فيها التواضع الشديد، والمقام الأسمى، وذلك بخفض الجناح والتواضع للمؤمنين أنظروا معى إلى هذا الشموخ، وهذه العظمة، وهذه العزة، وهذا القدر العظيم، والخلق القويم، الذى لا يضاهى بأحد إلى يوم الدين لذا أقسم الله عز وجل بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فى كثير من المواضع قال تعالى: ﴿ يس (*) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (*) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (*) عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [5]، ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (*) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (*) وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (*) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [6].

وفى قوله (واسع الجبين) كناية عن العزة والرفعة والتكريم والإجلال والخلق العظيم، والقدر العظيم فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) المعجم المفصل ص ٢٨.

(٢) سورة النحل آية ٩٠.

(٣) سورة البقرة آية ٣.

(٤) سورة النساء آية ١٠٣.

(٥) سورة يس من آية ١: ٥.

(٦) سورة القلم من آية ١: ٤.

عن بن عباس رضى الله عنهما- قال: لم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم- مع الشمس إلا غلب ضوؤه ضوءها ولم يقم مع سراج إلا غلب ضوؤه ضوء السراج"[1].

يقول ابن أبى هالة رضى الله عنه- (أزج الحواجب فى غير قرن) أى مقوس الحواجب مع دقة فى الحاجبين وطولهما وهو من علامات الجمال فى غير قرن. لأن اقتران الحاجبيين غير محمود إلا أن يكون بغير التصاق.

(أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن) قال (أزج) ولم يقل (مقوس) لأن أزج فيها المعنى أدق وأوضح وأبلغ ففيها دلالة على المقصود مع إيجاز قصر حيث المعنى الكثير فى اللفظ القليل، فهنا أراد أن يوضح بأن الحواجب طويلة مقوسة فى غير قرن سوابغ، فهنا يوجد استقامة فى المعنى دون إخلال مع إبداع وهو من سمات الكاتب والناشر، والشاعر المبتكر المقتدر.

كما أن فى هذا الوصف اتساق البناء يقال وسق الليل واتسق أى إنضَّم واتسق القمر أى استوى واتساقه امتلاؤه واجتماعة ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة فهذا الوصف ملحق بالسجع، وسماه ابن حجة حسن التسق، كما أن فى الوصف العظيم أن يقصد المتكلم أن يفرد إتساناً بصفة مدح لا يشركه فيها غيره ينفى تلك الصفة فى أول كلامه عن جميع الناس وإثباتها له خاصة، وكل ما ذكر من وصف لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- خاص به لا يتعداه إلى غيره لأنه أكمل الناس خلْقا وخُلقاً.

فى قوله (أزج الحواجب سوابغ فى غير قرن) قال (فى) ولم يقل (على) لأن فى أقوى فى التعبير من على لأن على تفيد معنى السطحية، أمّا فى تفيد معنى الاستقرار والتمكين لذا كان التعبير بها أقوى وأمكن وأبدع.

فى قوله (فى) تفيد الظرفية.

---

(١) ينظر اللطائف البلاغية ص ٥٥.

(بينهما عرق يدّره الغضب) يمتلئ ذلك العرق دم فى حالة الغضب فذكر يدر دون يظهر، لأن معنى يدّر أقوى فى البيان والظهور من يظهر.

وفى قوله (أزج الحواجب سوابغ فىغير قرن) ذكر العام ثم بعد ذلك قال: (بينهما عرق يدّره الغضب، ذكر الخاص للتنبيه على فضله وذلك تنزيلاً للتغاير فى الوصف، منزلة التغاير فى الذات وهذا لون من البديع الجميل الحسن وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الوُسطَى﴾[1].

وفى هذا الوصف خصوصية بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- لأن فى عالم البشر لم يُعهد من ظهر له عرق يتلألأ يبدّره الغضب وذلك للتعظيم والتفخيم وهو من إصابة المقدار، أى جاء بالصواب وأصاب السهم القرطاس إذ لم يخطئ[2]. وذلك (بينهما) ليدل على وجود مكان خاص بالعرق مضئ ظاهر حسن.

وفى قوله ابن أبى هالة- رضى الله عنه- (اقنى العرنين) بكسر العين وسكون الراء أى طويل الأنف مع أحدداب أى استقامة وهى من صفات الجمال والكمال لذا قال الشاعر:

ايام أبدت واضحاً مقلجا ... أغر براقاً وطرفاً أو عجا

ومقلة وحاجباً مزججا ... وفاخماً ومرسناً مسرجاً[3]

وفى قوله (أقنى العرنين) ولم يقل (منصوب الأنف) وذلك لأن فى الأسلوب التجسيم الحسن والدقة والبساطة.

وفيما سبق من أوصاف شريفة لإمام الأنبياء والمرسلين حبيب رب العالمين السجع البديع وأفضله ما تساوت فقره وهو ثلاثة أقسام، المطّرف،

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣٨، وينظر الايضاح فى علوم البلاغة ١/ ١١٣.

(٢) الإيضاح فى علوم البلاغة ١/ ١٥٣.

(٣) تاريخ نشأة البلاغة وعلم المعانى ص ٥٨.

المرصع، المتوازى، وقيل أن أحسن السجع ما تساوت قرائنه كقوله تعالى: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (*) وطَلْحٍ مَّنضُودٍ (*) وظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[1] ثم ما طالت قرينته الثانية كقوله: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (*) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ومَا غَوَى﴾[2]، أو الثالثة كقوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (*) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[3].وقد اجتمع فى قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (*) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (*) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[4].

يقول هند بن أبى هالة رضى الله عنه وارضاه- (له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله عن شم) والشمم هو ارتفاع قصبة الأنف، مع استواء أعلاه- واشراف أرنبة الأنف قليلاً[5]. وفى هذا الوصف الجليل قمة الجمال والروعة فهو بحق صلى الله عليه وسلم مطلع الفجر، وضياء البدر، للشمس ضياء وللقمر بهاء.

وهذا الوصف وصل بين ما سبق من كلام وهذا الأسلوب للبيان والتفصيل والتوضيح، وخصه بقوله (له) على وجه الخصوص لا يتعداه إلى غيره.

ولفظ (له) اتساع وذلك على عادة العرب الخُلص فلفظ له جار ومجرُور خبر مقدم نور مبتدأ مؤخر، وفيه تقديم وتأخير حيث قدم الخبر على المبتدأ للأهمية التى تفيد الاختصاص ووجه التقديم الاهتمام بشأن المقدم لأن شأنه عظيم وقدرّه عظيم، وفى هذا الوصف تشريف للفظ المذكور لأنه فى أشرف خلق الله أجمعين.

---

(١) سورة الواقعة آية ٢٨، ٢٩، ٣٠.

(٢) سورة النجم آية ١، ٢.

(٣) سورة الحاقة آية ٣٠، ٣١.

(٤) سورة العصر آية ١: ٣.

(٥) أوصاف النبى صلى الله عليه وسلم- الترمذى- ص ٢٩.

وفى الوصف السابق قصر الصفة على الموصوف لا تتعداه إلى غيره صلى الله عليه وسلم- وهو من أبلغ أنواع القصر مع تأدية المعنى فى لفظ حسن جميل، وهو من القصر الحقيقى والمقام هنا مقام الوصف الخاص بالمدح والفخر والاعتزاز. قال (نور) هذه اللفظة موحية لها دلالة على الواقع ففى حقيقة الأمر (النور) الذى يعلو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- حقيقة فصلى الله علي سيدنا محمد نور من نور الله جل وعلا فالدلالة أتت موضحة للقول وحين خص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (بالنور) لأن أحداً لن يصل إلى ما فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- من مقام عظيم ونور بديع ففى اللفظ إيحاء رائع دلّ على شدة حب الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ذو القدر العظيم، وكذا النور حين يسطع ويظهر يدل على صفاء الداخل (القلب) والخارج الجوارح، وذلك مما أعطاه الله سبحانه دون غيره كما ورد فى الأحاديث النبوية أن الله سبحانه قد نزع منذ الصغر من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الشئ العالق بالمضغة وكلمة (النور) توحى بالرضا العميم فى أنه صلى الله عليه وسلم- قد عانى ما لا يعانيه أحد على وجه الأرض كلها وتحمل راضياً ودعا للإسلام والمسلمين، ولم يفعل مثلما فعل الأنبياء عليهم السلام من قبله من دعائهم على أقوامهم أحياناً- لذى يرى النور بوجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فهنا استعمل المحسوس للمعقول فقد استعمل النور للإيمان يجامع الضياء فى كل وهو حقيقة لا مبالغة فيه، كما أن استعمال الحسن للعقل من الأمور الجليلة، وذلك لتذهب النفس فى الوصف الجليل كله مذهب فيصل الإنسان للحقيقة الواضحة والإيمان عن إقتناع فصلى الله على نور خلق من نور هداية ورحمة للعالمين. وفى الوصف تشويق فيه إبداع وإجلال يجعل السامع والمتلقى متشوقاً لمعرفة مزيد من الأوصاف يقول د/ فخر الدين. (إذا كان تشبيه الحسى بالحسى يقرر المضمون، ويؤكد اللازم على ما علم بالأمثلة السابقة) فإن إخراج المعانى الفعلية فى صورة

الحسى أشد تمكيناً لها فى النفس وتقريراً فى البيان، لأنها بذلك الوجه تشخص وتجسم حتى تقع تحت الحاسة وقوعاً خيالياً، يظل يدور بها فى مدار المعرفة حتى تأنس وتسكن، وهذا الضرب من البيان من أوسع أضرب التشبيه استعمالاً، لأنه اتمها فائدة، وألصقها بحاجة الإنسان، إلى نقل محصوله من المعانى ليتصورها المخاطبون على شكلها عنده، وهنا نضرب الأمثلة للفصاحة المحمدية فى استعمال هذا الضرب الناصع من التشبيه [1].

(من) ذكرت للتبعيض أى الذى لم يتأمله.

وهنا حث على التأمل لأن الذى يرى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة إن شاء الله، وكذا من يرى من يراه صلى الله عليه وسلم فنور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوى مما يتصور أى إنسان وذلك لأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نوره من نور الذات العليا وذلك لقول جبريل عليه السلام لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فى رحله الإسراء والمعراج حين وصل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام- إلى السماء التى سيرى فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- رب العزة فقال له جبريل عليه السلام تقدم يا رسول الله أنا لو تقدمت احترقت، وأنت أن تقدمت اخترقت فتأملوا معى العين التى اصطنعها الله سبحانه لرؤيته فهى نور من نور الله كيف تقوى أى عين غير عين رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر إلى الذات العليا، فقدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف إلا بالتأمل والتفكر، والتدبر.

وذكر (لم) وهى أداة نفى عن البعض دون البعض وهذه دعوى للتأمل حين رؤية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- وذلك لتعليم أمور الدين لأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- رضاه من رضا الله جل وعلا

---

(١) الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية ص ١٥٠.

وهذا الأسلوب عن طريق القصر وأقواها وهنا استعمل للتوكيد المعنى وتقريره فى الذهن.

فى قوله (يتأمله) مضارعاً وذلك لاستحضار الصورة الماضية لأن الوصف يستدعى (يعلوه) وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلو ولا يعلو عليه، وإنما ذكر يعلو لأن نور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من السماء من العال عز وجل فسبحان الله العظيم فكان مناسباً ذكر (يعلو).

ثم قال: (كث اللحية) كلمة (كث) تستعمل للعاقل فقط وذلك لعظمة الموصوف وعلو قدره ورفعة شأنه وقدم (كث) على (اللحية) للأهمية التى تفيد الاختصاص؛ وهنا استعمل المحسوس للمحسوس من الألفاظ، وذلك أقوى وأبلغ فى التأثير لأن فى التعبير تجسيد وبيان.

وعبر بقوله- رضى الله عنه وأرضاه- (كث) كناية عن الوضوح والظهور والجمال.

(سهل الخدين) كناية عن عظم القدّر والتواضع المحمدى الشديد صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كما أن فى الكلام الوصل الحسن لأن اللحية فى الوجه الشريف والخدين وهو أوّل ما يقابل الإنسان حين النظر، وقد اكتمل كل جزء من الجسد الطاهر الشريف.

وفى كلمة (سهل) توحى بالبشاشة والبشر فى معاملة الخلق وكذا اللطف قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [1]. لذا كان التعبير بـ (سهل) من أجمل التعبيرات الموصوف بها خير خلق الله كلهم تعظيماً، وتكريماً، وإجلالاً، وإكباراً ثم ذكر (الخدين) بالمثنى وذلك لأن هذه الصفة فى تمامها وكمالها ولم تكن لأحد على وجه الأرض غير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولئلا يتوهم أن فى خد دون آخر لذا أتى بالمثنى.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩.

وقد استعمل أسلوب المجاز المرسل لذكره الخدين والمراد الوجه كله فذكر الجزء وأراد الكل لأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد التواضع ويظهر ذلك على الوجه كله لا الخدين فقط، وذلك كدعوى الشئ بالبينة والدليل مثل قوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ (١). والمراد الإنسان كله.

فى قوله (كث اللحية) (سهل الخدين) دلالات قوية على المعانى وحركة دائبة فى ظل التناسب والانسجام والالتصاق يتولد الايقاع عندئذ، تكسب الأشياء جوهرها وجمالها فإن لإيقاع هو الصفة التى تلتقى عندها المتناقضات ويتحد عندها الشكل والمضمون(٢). ونحن هنا لا نجد متناقضات؛ ولكن يوجد انسجام واتحاد فىالمعانى، والألفاظ والدلالة والتراكيب يضفى على المعنى بهاءً وجمالاً ورونقاً، وإن كانت الألفاظ تكتسب رفعتها بنسبتها إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- كما أن فى هذا الأسلوب التلاؤم البديع فى المعانى، وهو من حسن الكلام فى السمع وسهولته فى اللفظ وتقبل المعنى له فى النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة(٣)، كما أن فى هذا الوصف العظيم التمكين فى المعنى ما لم يكن لغيره(٤). كما يوجد بهذا الأسلوب جودّة السبك للمعانى وهى من الدلالات على الألفاظ التى تقوى المعنى، وتصل به إلى الكمال المطلوب فى الأسلوب، كما أن فى الأسلوب تطرية للسامع وتجديداً للنشاط فذكر الموصوفات المتعددة لموصوف مفرد واحد تفرد بالكمال والبهاء والجلال وأختص بجميل الخلق والخُلق – قال رضى الله عنه- (ضليع الفم) بمعنى واسع وقد عبر بضليع الفم ولم يقل (كبير) أو (ضخم) لأن الكلمة

---

(١) سورة النساء آية ٩٢.

(٢) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغى ص ٢٠ د/ ابتسام.

(٣) المعجم المفصل فى علوم البلاغة ص ٤١٩.

(٤) المعجم المفصل فى علوم البلاغة ص ٤٢٦.

توحى بأن الفم الشريف ليس كفم باقى البشر كما قال الله عز وجل فى كتابه الكريم ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[1]. فوضح القرآن الكريم أن لسان إمام الأنبياء والمرسلين هداية للعالمين وهنا وردت كلمة- ضليع الفم- وذكر الفم وأراد آلة الكلام فذكر الجزء وأراد الكل وهو من المجاز المرسل، قوال تعالى ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً ﴾[2].

ويرى الشريف الرضى (إن المراد باللسان جملة القرآن وطريقته لا العضو المخصوص الذى يقع به الكلام) [3].

كما أن فى الأسلوب الجيل السابق كناية عن فصاحة وبلاغة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفى الكلام المبالغة الحسنة التى تقوى المعنى وتزكيه، مع دقة فى التصوير، مع التفاعل الوجدانى، وإيقاظ الذهن للتخيل والتفاعل مع الوصف ليذهب فيه الكلام كل مذهبه فيعطى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للكلام بهاءً ونوراً وضياءً وجمالاً وثناءً وإبداعاً للوصول إلى المعنى التقريبى لا الكلى لأن معرفة قدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- لا يعلم ذلك إلا الله ولا يدرك ذلك كله العقل البشرى العادى لأن لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- الكمال المطلق، لأن لسان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- أول من نطق بالضاد كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف. فاللسان الذى تحدث بالقرآن الكريم وأول من نزلت عليه المعجزة الخالدة الباقية على مر الزمان أشرف الألسنة وأعظم الألسنة قال تعالى: (وهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ)[4].

---

(١) سورة النحل آية ١٠٣.

(٢) مريم الآية ٩٧.

(٣) تلخيص البيان ص ١٩٦.

(٤) سورة الأحقاف آية ١٢.

وهنا ذكر العام وهو الفم ولم يذكر الخاص وهو اللسان لدلالة الفم على الكلام دلالة معنوية لا تستلزم وجود اللسان فى الفم من باب اللزوم قال تعالى: ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾[1].

وفى هذه دلالة قوية على أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينطق بالقرآن كان ينطق بالقرآن الكريم وقت نزول الوحى قبل أن يلقى إليه سيدنا جبريل عليه السلام وذلك دلالة على أن القرآن الكريم المعجزة الخالدة الباقية على مر الزمان بالهام من الله سبحانه مباشرة قال تعالى ﴿ ولا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [2].

لم يوصف بضليع الفم أحد غير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- من الأنبياء، فى ذلك لتلقيه صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل ولحب الله سبحانه لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- ولأن معجزته صلى الله عليه وسلم- الخالدة الباقية القرآن الكريم الذى أعجز اصاطين الفصاحة والبلاغة والبيان بالإتيان بأقصر سورة من القرآن الكريم ولم يستطيعوا ذلك - فسبحان الله العظيم-

وقدم (ضليع) على (الفم) للاهتمام بشأن المقدم الذى يفيد التقوى والاختصاص لأن المراد (ضليع) لبيان صفة اللسان الشريف أفصح الألسنة لقوله تعالى: ﴿ ومَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى ﴾

وأضاف الفم إلى ضليع، ولم يقل ضليع الكلام لأن الفم أعم من ذكر للكلام وذلك لأنه يشمل الكلام والصمت وعن تعلم أن للكلام دلالة على المعانى، كما أن للصمت دلالة على المعانى تفيد الاتساع فى الكلام، وهو معنى أعم واشمل فى المراد (وإذا استدعت الحاجة إلى الصمت والسكوت انقطع الكلام وحل الصمت والسكوت بحكمة واقتدار ولا غرو فى ذلك فإنها

---

(١) سورة القيامة آية ١٦.

(٢)سورة طه آية ١١٤.

عظمة الخالق وإبداعة) [1]. وصدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) [2].

ومن هنا كانت ظاهرة الصمت لها عدّة دلالات قال تعالى: ﴿ وإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3].

ولأن الإنصات يدل على الإصغاء الشديد لتدبر وتفهم آيات الله تعالى وفى الوقت نفسه يدل على الاحترام الشديد عند الاستماع لكلام الله تعالى ولذلك حرص الكافرون والعياذ بالله على عدم الانصات للقرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا القُرْآنِ والْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[4].

ولما كان الصمت يؤدى إلى الإيمان قال بعض الجن مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ ولَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (*) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[5].

ومما سبق تكمن براعة التصوير لهذه الظاهرة العظيمة القدر والتى لا تقل أهمية فى تعاليمها عن ظاهرة الكلام، لأن لكل منهم دلالة قوية على المراد من تعاليم دينية ودنيوية لمصلحة العباد وذلك كما قال البلاغيون لكل مقام مقال، ولكل حال مقتضاه .

قال الشاعر:

رحم الله امرء أنصف من .. لغة إذا قال خيراً أو صمت[6].

---

(١) الرؤية الفنية لظاهرة الصمت عند البشر، ص ٣.

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٢٢/ ٣٣٧، وصحيح الترمذى بشرح الإمام ابن العربى المالكى ٣٠٩/٩، والرؤية الفنية لظاهرة الصمت عند البشر ص ٤.

(٣) سورة الأعراف آية ٢٠٤.

(٤) سورة فصلت آية ٢٦.

(٥) سورة الأحقاف ٢٩: ٣٠.

(٦) شرح ديوان أبا العتاهية ص ٣٧ ط أولى دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥.

يقول ابن أبى هالة رضى الله عنه (مفلج الأسنان) بصيغة المفعول من التفليج بالفاء والجيم أى منفرجها وهو خلاف مترامى الأسنان قال الجوهرى، ويروى أفلج الأسنان وسيأتى أنه كان أفلج التثنين ولعله أخبر كل بما رآه ولم يتعرض لما سواه، أو الأول محمول على التغليب، أو مطلق أريد به الخاص والله أعلم، وفى رواية أشنب والشنب بفتح الشين المفخمة والنون بعبرة موحدة رقة الأسنان وماؤها ورونقها وفى رواية مسلم الثنايا بالموحدة فى أخرى براق الثنايا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- شرب من دلو قصب فى بئر ففاح منها مثل رائحة المسك وابو نعيم أنه بزق فى بئر بدار أنس فلم يكن بالمدينة بئر اعذب منها والبهقى أنه كان يوم عشوراء يتفل فى أفواه رضعائه ورضعاء بنته فاطمه ويقول لا يرضعون إلى الليل فكان ريقه يجيزهم والطبرانى أن نسوته مضغن قديده مضغها فنن ولم يوجد لأفواههن خلوف وأنه مسح بيده وبهاريقه ظهر عتبه وبطنه فلم يشم أطيب منه رائحة وابن عساكر أن الحسن اشتد ظمؤه فأعطاه لسانه فمصه حتى روى وبصق يوم خيبر بعينى على وبها رمد فبرئ[1] بعد قوله (ضليع الفم) لأن الفم بداخله الأسنان ولا يتحرك إلا إذا تحركت الأسنان واللسان بالكلام فيقوم الفم بعجله بتحريك الشفاه للكلام فذكر العام ثم الخاص بعده تعظيماً للكلام نفسه لأنه كلام خبر وأطهر المرسلين المبعوث رحمة للعالمين بلسان عربى مبين.

(مفلج الأسنان) هو تباعد ما بين الثنايا والرباعيات وهو من علامات الجمال، مع التناسب بين الفم والوجه الكريم المنير جميعه، فتظهر الثنايا المضيئة المشرقة بالنور فيكون الفم من أجمل وأضوأ وأحسن ما خلق الله (مفلج الأسنان) ولم يقل (فسيح) وذلك لأن مفلج من علامات الجمال ولأن

---

(١) ينظر جمع الوسائل فى شرح الشمائل تأليف الشيخ العلامة على بن محمد بن سلطان محمد القارى ٣٨/١ دار المعرفة بيروت، لبنان.

جميع الفم منسق حسن- كما أن فى الوصف السابق البديع كناية عن القوى والشده والجمال والضياء.

وقدم (مفلج) على (الأسنان) للعناية بشأن المقدم ولإفادة الاختصاص الذى يفيد التوكيد فى المعنى بأهمية ذكر مفلج، لأن الفلج لا يكون فى كل إنسان كما أنه كلمة (مفلج) تخصيص من الله فيه تشريف وتعظيم. وذكر يعقوب حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عبد العزيز بن أبى ثابت الزهرى، حدثنا اسماعيل بن ابراهيم بن عقبة بن عمه موسى بن عقبه عن كريب، عنى أبن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفلج الثنتيتين) وكان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم رُئى كالنور بين ثناياه) وقد ورد الحديث بالمعنى دون الجمع حيث لا تعارض فيه لأنه قصد أن كل ثنيتين بينهما فلج، وهو من باب التوسع فى الكلام الذى يضيف إلى المعنى قوة وجمالاً وبهاءً وروعة وإن كان كل ما ذكر ومهما ذكر لن نصل به إلى معرفة القدر العظيم الذى عليه أول وخاتم المرسلين حبيب رب العالمين. كما أن الفلج لم يكن عادى وإنما يخرج منه نور يبهر العقول ويأخذ بالألباب له خصوصيه لم ولن تكون لغير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. إعظاماً وإجلالاً ومهابة فصلى الله عليه وسلم أكمل الخلق أجمعين.

(ضليع الفم) ذكر ذلك على سبيل العموم ففسر ذلك بقوله: (مفلج الأسنان) فأصبح مخصوصاً معيناً وهو من الإيضاح بعد الإبهام من أنواع الإطناب وذلك ليُرى المعنى فى صورتين مختلفتين، أو ليتمكن فى النفس فضل تمكن، فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت النفس إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح فيوجه المعنى إلى ما يراد فيتمكن المعنى فى النفس إلى العلم بالمجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقى ألم. ثم إذا حصل لها العلم به حصلت له لذة أخرى واللذة عقب الألم أقوى من غيرها، ومثل يؤتى بها لتفخيم الأمر

وتعظيمه[1]. وهنا أتى من أجل تفخيم المعنى وتعظيمه لأنه أمر عظيم فى صفة إمام الأنبياء والمرسلين.

وفى الأسلوب السابق الجميل اطناب التكميل وهو أن يأتى بالمعنى الذى بدأ به جميع المعانى المصححة المتممة لصحته المكملة لجودته من غير أن يخل ببعضها؛ ولا أن يغادر شيئاً منها كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[2]. ثم قال عز من قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3].

ثم ذكر بعد ذلك من الأوصاف جليلة القدر الخاصة بأحسن وأكمل واجمل الخلق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (دقيق المسربة) وقيل دقيق المسربة للمبالغة أو على التجريد[4] وأن كانت هيئته صلى الله عليه وسلم- مثل هيئة كل البشر إلا أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلف فى الكيفية والجوهر لكل جزء من الأجزاء الشريفة، والمسربة هى بداية الصدر الشريف المضيئ الذى يحمل به أطهر وأتقى وأصفى وأرحم وأجمل وأضوأ قلب فى الدنيا منذ بدء الخلق إلى يوم الدين وهو ساحة مشاعر وأحاسيس تفيض لتشمل الكون كله بكل المخلوقات فكيف يكون ذلك القلب الذى لم ولن يخلق مثله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قلب يفيض بمشاعر لا توجد لأحد من البشر ولا توجد فى أحد من البشر فصلى الله عليه وسلم وبارك على الرؤوف الرحيم، والحمد لله السميع العليم الذى ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾[5]. (المسربة) بداية الصدر وقال

---

(١) المعجم المفضل ص ١٤٦ (بتصرف).

(٢) سورة لقمان آية ٣٤ وينظر المعجم المفضل ص ١٧٠.

(٣) سورة لقمان آية ٣٤.

(٤) جمع الوسائل فى شرح الشمائل ٣٩/١.

(٥) سورة الشورى آية ١١.

(دقيق المسربة) ولم يقل (رفيع) لأن فى الدقة بلاغة فهى بمعنى الكثرة وعكسها، ودقيق المسربة جسدت المعنى فى أبدع صورة فأننا نراه رأى العين أى شعر دقيق منظم كحبات اللؤلؤ المضيئة بل أشد ضوئاً من كل لآلئ العالم كله؛ فى صدر من نور غير مبعثرة مستقيمة تصل إلى السرّة، فانظروا معى إلى جمال الأوصاف سبحان الله الخلاق العظيم فقد اتحد اللفظ والمعنى ليكونا آية من آيات الأعجاز الكونى فى الجمال. وقال (دقيق المسربة) أى ظاهراً منيراً واضحاً لامعاً ناعماً، وخص الدقة بالتعبير لشمولها الوصف ولأنها تدل على كمال الصفة وإتقان الصنع للخلاق العظيم.

وقدم (دقيق) على (المسربة) وذلك للإختصاص البديع وهو من الإعجاز الخلقى والذى يتلازم مع الإعجاز التنزيلى للقرآن الكريم- كما أن فى الأسلوب الوصل الحسن البديع وهو من كمال الاتصال لأن فى الانتقال من قوله (مفلج الأسنان) إلى قوله: (دقيق المسربة) انتقال هادئ مرتب طبيعى لا مبالغة فيه ولا قصر مع اتصال دائم بلا انقطاع وذلك لربط كل جزء من الأجزاء الطاهرة الشريفة ربطاً محكماً.

كما أن فى الأسلوب الاعجاز الجميل قر مكانه فى حُسن وهو من حذف كلمة وهى لفظ (هو) وهو من التعبير عن المعانى الكثيرة بألفاظ قليلة مع حذف شئ من الجملة بدون إخلال بالمعنى المراد.

وذكر (المسربه) بالتعريف للإشارة إلى معهود والمراد بها نفس الحقيقة وذلك للتعظيم والتفخيم، وإن كان قدّر الموصوف عظيماً وأعظم من كل الدنيا ومن فيها وما فيها. . وفى الوصف تلاؤم بين أجزاء الكلام يقول ابن أبى هالة رضى الله عنه، فى وصف أكمل الخلق أجمعين أى رقبته صورة مصورة من عاج ونحوه الجيد بكسر الجيم بمعنى العنق وغاير بينهما كراهة التكرار اللفظى وإرادة التفنن المعنوى والمقصود بيان أن طول عنقه فى غاية الاعتدال، وكيفية هيئته من نهاية الجمال إذا الغالب

تشبه الاشكال والهيئات بالصورة ويزاد المبالغة فى الحسن والبهاء لأنها يتأنق فى صفتها ويبالغ فى تحسينها وقيل (فى صفاء الفضة) خبر بعد خبر لكان عنقه وهو الأولى وفيه إيماء إلى بياض عنقه الذى يبرز للشمس المستلزم أن سائر اعضائه أولى واشارة إلى أن بياضه كان فى غاية الصفاء[1]، (كأن عنقه جيد دميه فى صفاء الفضة) بعد قوله (دقيق المسربة) لما ذكر دقيق المسربة وهذا الجزء فى الصدر وهو مقدمة الشئ وواجهته لزم أن يذكر العنق الذى يربط بين الوجه والصدر وهو لزوم ما لا يلزم وهو رابطة قوية بين أعضاء الجسد، ولأن هذا الوصف دقيق لذا لزم منه ذكره إجمالاً وتفصيلاً ليتثنى لنا التجسيد المعنوى والحسى.

وقد استعمل (كأن) أداة التشبيه ولم يستعمل (الكاف) لأن كأن أقوى من الدلالة على التشبيه من الكاف. ومن ثم قالت بلقيس عندما قيل لها ﴿أهكذا عرشك﴾ [2] ؟ قالت: كأنه هو والتشبيه بكأن عند الجمهور وعلماء البلاغة حرف تشبيه وهى مركبة من كاف التشبيه وإن المؤكدّة وأصل قولنا: كأن زيداً أسداً إن زيداً كالأسد، ثم قدمت الكاف إهتماماً بالتشبيه ففتحت (إن) لأن المكسورة لا يدخل عليها حرف الجر ولكأن معان عدّة ١- التنبيه المؤكد. ٢- الشك بمنزلة ظننت ، ٣- التحقيق دون التشبيه. ٤- التقريب، ٥- وقد وردت كأن فى القرآن الكريم تسع وعشرون مرة سواء كانت متصلة بضمير أم لا أو مشدّدة، وفائدة التشبيه بكأن إذا مثلت الشئ بالشئ فإنها تقصد بها إثبات الخيال فى النفس بصورة المشبه به، أو بمعناه وذلك أوكد من طرفى التشبيه للترغيب أو التنفير عنه[3]. فكما أن

---

(١) ينظر جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/٣٨.

(٢) سورة النمل آية ٤٢، وينظر الكشاف ٣/١٥٠.

(٣) ينظر فيما سبق الخصائص ١/ ٣١٧، وصف المباقى ص ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٥، مواهب الفتاح ٣/٣٨٥ شروح التلخيص، الجنى الدانى ص ٥٧٢، ٥٧٣، ومواهب الفتاح ٣/٣٨٥، ٣٨٦.

التشبيه القرآنى فى القمة كذا التشبيه فى الحديث فالسنة النبوية مكملة للقرآن الكريم فقد جاءت على أكمل وجه وأعلى أسلوب فهى تغذى الجانبين الحسى والعقلى.

والتشبيه فى قوله (كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة) من تشبيه المحسوس بالمحسوس، وهو أن يكون الطرفان حسيين يدركان هما أو مادتهما بإحدى الحواس الخمس الظاهرة وهى البصر، السمع، الشم، الذوق، اللمس، وهنا يدرك المتشبه بحاسته البصر وقد أدى المعنى بدقة وسهولة ويسر فتمكن فى النفس فضل تمكن وهو من التشبيه المرسل الذى ذكرت فيه أداة التشبيه لفظاً، وذلك لإرساله عن التوكيد، وهو على سبيل الحقيقة لا المجاز.

وخص العنق بجيد الدمية لأنها غاية فى الشفافية والبياض والصفاء كصفاء المرجان والياقوت. ومما سبق يتضح لنا أن الشبيه فى القرآن الكريم وفى الحديث الشريف يغذى فى الإنسان الجانبين الحسى والعقلى لأن طبيعة النفس الإنسانية قائمة على قوتين، قوة تفكير، وقوة وجدان، وحاجة كل واحد منهما غير حاجة الأخرى فإما أحدهما فتنقب عن الحق لمعرفته، وعن الخير للعمل به، وأمَّا الأخرى فتسجل إحساسها بما فى الأشياء من لذة وألم، والبيان التام هو الذى يوفى بهاتين الحاجتين وأنظر إلى نفسك بهذين الجناحين فيؤتها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية[1]. وقد قرر هذا المعنى الدكتور/ رجب البيومى يقول: ولعل بلاغة التصوير هى البلاغة الى تجمع بين الفائدة الفعلية والمتعة الوجدانية، ففى بلاغة التصوير يتفاعل الإقناع المنطقى والإقناع الشعورى القلبى، ولهذا كانت بلاغة التصوير من سبيل القرآن الكريم إلى البيان الذى يتفجر منه الهدى والرحمة- والبشرى للمسلمين ولهذا امتزج القرآن إلى مزج التأثير الوجدانى بحجة ودلالته

---

(١) ينظر النبأ العظيم ص ١١٣، ١١٤.

الهادية لقوى الفكر فى الإنسان لتهيمن بلاغته على قوى الفكر والشعور فى الإنسان، فجاء التصوير البيانى فى القرآن الكريم آية من الآيات فى الروعة والأعجاز[1]. وكلام الإمام عبد القاهر الجرجانى أن كأن أقوى أدوات التشبيه وأكدها فى الدلالة على إلحاق المشبه بالمشبه به ولذلك تستعمل حيث يقوى التشبيه حتى يكاد الرائى يشك فى أن المشبه هو المشبه بـــه ولـــذا حكـــى القرآن الكريم لنا قول بلقيس فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (*) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾[2].

وقد استعمل (فى) وهى ظرف مكان وقد وردت لعدة استعمالات كلهـــا حسن بديع جميل، أنها تأتى بمعنى الاستعلاء أى الارتفاع أى ارتفاع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفضة أى أنه أعلى قدراً وعنقه ألمـــع وأضوأ من الفضة، وقد تستعمل بمعنى (من) أى أن العنق الشـــريف مـــن الفضة الخالصة والتى تُشبه بها فضة الدنيا وذلك بخلاف فضة الآخرة التى نعرفها بالتقريب لما نعرفه- وقد تستعمل للتوكيد على حقيقة الأمر[3].

وفائدة التشبيه هنا يفيض على المعنى حسناً وبهاءً ويزيده قوة وجمالاً وحساً ويرفع من قدر الكلام فتهفوا له النفس ويتحرك إليه القلب[4].

وإن كان الكلام فى حقيقة الأمر يرتفع قدْره ويسمو ويرتقـــى حـــين يكون عن إمام المرسلين حبيب رب العالمين، ففى السيّرة العطرة والهيئـــة النضرة تشريفاً للكلام وارتفاعاً للحروف باقترانها برســـول الله صـــلى الله عليه وسلم: يقول فى ذلك الإمام عبد القاهر الجرجانى: وأعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء فى أعقاب المعانى أو برزت هى باختصـــار

---

(١) دلائل الاعجاز ص ١٩٩، ط رستو رضا٣٢٦.

(٢) سورة النمل ٤١، ٤٢، وينظر علم البيان ص ٥٣، ٥٨ (بتصرف).

(٣) ينظر الاتقان فى علوم القرآن فى استعمالات (فى) ص ٢١١، ٢١٢ (بتصرف).

(٤) لباب البيان ص ٦٣.

فى معرضة وتفلت عن صورهاه الأصلية إلى صورته كساها أبهة وكسيها منقبة، ورفع من أقدارها، وضاعف من قواها فى تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها بحق كما قيل: هو لون أخاذ من ألوان البلاغة وفن رفيع من فنونها، وكنز نفيس من كنوزها كما ذكر صاحب الصناعتين: يزيد المعنى وضوحاً، ويكسبه تأكيداً، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن به أحد منهم عنه، وقد جاء عند القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان[1].

وهنا وردت الحقيقة فى هذا الأسلوب مؤكدة للمعنى بدون أداة توكيد فزادت المعنى جزالة وقوة مبينه وموضحة للمعنى ومجسدة له.

كما يوجد فى الأسلوب السابق كناية عن صفة زادت المعنى فخامة وهى كناية عن الصفاء، والضياء، والبريق، واللمعان، والرفعة وهى من أبلغ أنواع الكناية.

ويوجد فى الأسلوب الحسن ائتلاف اللفظ مع المعنى يقول بشر بن المعتمر فى صحيفته قال: ومن أراد معنى شريفاً فليلتمس له لفظاً كريماً فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف[2].

كما أن هذا الوصف الشريف فيه من البراعة والفصاحة والبلاغة حيث أجيد تعبير، وسبك أسلوبه سبكاً مميزاً عن العادة وقد تطلق لفظ البراعة على الكتاب العزيز، والأحاديث الشريف، وخطب الإمام على كرم الله وجهه، على معنى قول العرب[3].

كما يوجد فى هذا الوصف العظيم تخصيص بالوصف فيه التعظيم لشأن القصة لعنق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- لأن عنقه

---

(١) لباب البيان ص ٦٣: ٧٨ (بتصرف)، وينظر الصناعين ص٢٤٩.

(٢) ينظر المعجم المفصل ص ١١.

(٣) ينظر المعجم المفصل ص٢٦١.

الشريف اعظم من كل فضه، وذهب، وياقوت، ومرجان. وأعظم من الأحجار الكريمة التى فى كل الدنيا فصلى الله عليه وسلم نور من نور جاء بالنور، والتشبيه هنا مفصل الوجه فقد صرح فيه بوجه الشبة على طريقته الخاصة بأن يكون مجروراً يعنى أو منصوباً على التمييز فجاء هنا مجروراً بفى وذكر هنا على سبيل الحقيقة.

كما أن فى هذا الوصف بياناً لحال المشبه ومقدار المشبه وذلك فى الزيادة والقوة وتقرير حال المشبه وذلك بتقرير ذلك وتمكينه فى ذهن السامع فترى مشهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأننا نراه مرأى العين فتتمكن الصورة فى ذهن السامع والمتلقى بصورة حسية مشاهدة لأن النفس إلى الحس أميل فظهر وجه الشبه أتم وأقوى فى المعنى، وأبدع فى الحس والخيال، وأوثق فى ترابط القلب مع الفكر يقول ابن أبى هالة (معتدل الخلق) بفتح الخاء المعجمة أى كانت أعضاؤه متناسبة غير متنافرة وكأنه إجمال بعد تفصيل بالنسبة إلى ما سبق وإجمال قبل التفصيل بالنسبة إلى ما لحق وأنكار هذا الكلام من بعض الفضلاء العظام مكابرة فى هذا المقام وقول ابن حجر معتدل الخلق فى جميع أوصاف ذاته لأن الله حماه خلقاً وشريعة وأمة من غائلتى الافراط والتفريط يوهم أن الرواية بضم الخاء وليس كذلك اللهم إلا أن يراد بالخلق المخلوقات فيكون من قبيل عالم القوم هذا وقد قال ميرك هذه الفقرة صححت فى أصل سماعنا بالنصب والرفع معاً فالنصب على الخبرية لكان السابق أو المحذوف كالأخبار السابقة والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف هو هو والجملة مستقلة، والنصب أظهر[1].

وقد ذكر (معتدل الخلق) بعد قوله (كأن عنقه جيد دميته فى صفاء الفضة) فقد عبر بقوله (معتدل) والاعتدال هو بين الطول والقصر أو بين

---

(١) جمع الوسائل فى شرح الشمائل ٣٩/١.

البدانة والنحافة (بمعنى وسط) كما قال صلى الله عليه وسلم: (نحن أمة وسط) فالوسطية فى كل شئ تعبر عن الاعتدال ولما قال ابن أبى هالة رضى الله عنه- (معتدل) عبر عن الحال أحسن تعبير فإن كان أحد فى الدنيا (معتدل) فلا يكون إلا رسول الله صلى‌الله عليه وسلم لما خصه الله سبحانه من أوصاف لا توجد فى غيره على الأطلاق مما نعلم ومما لا نعلم من أوصاف جليلة لأن علمه عند الله سبحانه.

وعبر (بمعتدل) بمعنى أقامه وسواه ألا تروا معى حبى بسوى الله فسبحان الله العظيم.

ويوصف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ (معتدل) والعدالة هى إحدى الفضائل الأربع التى قال بها الفلاسفة من قديم وهى الحكمة والشجاعة، والعفة، والعدالة كما أن العدل هو الإنصاف[1].

وقد ذكر المعنى الكثير فى اللفظ القليل ليشمل كل أنواع العدل فى كل الأمور والتى هى من شيم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لما قال : (عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة) وقال بعد ذلك (معتدل الخلق) فى الوصف الجليل تأكيداً معنوياً أفاد التأسيس لما سبق، لما تحدث عن أوصافه الشريفة كل على حدّة ثم بعد ذلك أجمل ذلك كله فى جملة واحدة كانت بمثابة جمع لكل هذه الأوصاف وهو من إيجاز القصر، أوفى الغرض المنوط منه فأفاد ١- التقوى. ٢- التقرير وقد أفاد (معتدل). ٣- البيان والتوضيح. ٤- لزيادة التأكيد وهذه الأوصاف لا تكتمل على الإطلاق لأحد على وجه الأرض منذ بدء الخلق إلى يوم الدين غير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- لذا قال سبحانه وتعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

---

(١) المعجم الوجيز ص ٤٠٩ مادة (عدل).

(٢) سورة فاطر آية ١.

وقال تعالى: ﴿ أَلا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾(٢).

لذا قال سيدنا هند بن أبى هالة- رضى الله عنه (معتدل الخلق) والخلق هو خلق الله العالم بمعنى الصنعة والإبداع وهو على غير مثال سابق(٣).

فنجد أن الله سبحانه يوضح أنه يزيد فى الخلق ما يشاء فإن الزيادة المقصودة فى الآية فى الجوهر والكيفية، كما تكون فى كل نعم الله التى نعلمها والتى لا نعلمها لحكمة يعلمها الله سبحانه فى جميع الخلق ولكن الله سبحانه يعلم بشؤون العباد فلم يكن كاملاً أحد غير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الله أحسن الخالقين المبدع فى صنعه على غير مثال سابق، فما أبدع أن ينظر الإنسان إلى نفسه ويفكر فى خلق الله ليصل إلى درجة الإيمان كما قال الله تعالى: ﴿ وفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾(٤).

فأنظروا معى إلى أذكى الأنفس وأحسنها والتى ذكاها الله سبحانه وتعالى وهى نفس سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- كيف تكون فى الكمال والبهاء والجلال والتقوى لنصل إلى أنه أكمل خلق الله أجمعين، وأصدق خلق الله أجمعين، وأرحم خلق الله أجمعين، حبيب رب العالمين، ولقد أكرم الله بنى آدم أجمعين لأجل سيدنا رسول الله الصادق الوعد الأمين- صلى الله عليه وسلم- وقد أضاف الخلق إلى الاعتدال وذلك عن الإبداع الإلهى قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ ورِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ومَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٤.

(٢) سورة لقمان آية ١١.

(٣) المعجم الوجيز ص ٤٠٩ مادة (عدل).

(٤) سورة الذاريات آية ٢١.

أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (١).

وذكر (معتدل الخلق) ولم يقل (المعتدل) بالتنكير فى (معتدل) والتعريف فى (الخلق) وذلك لإفادة التكبير التعظيم والتفخيم والإجلال والتقدير، وعرف (الخلق) لإرادة نفس الحقيقة(٢).

وفى الوصف السابق ما لا يخفى من الوصف الحسن البديع، وفيه كناية عن تمام الهيئة الخلقية والخُلقية كناية عن صفة وهى من أبلغ أنواع الكناية.

ثم قال- رضى الله عنه- (بادن متماسك) فبدأ بوصف جزء آخر من الجسد الشريف؛ وهو الصدر فبدأ بما المفروض أن ينتهى به الكلام وهو بادن متماسك وذلك للإعلام بتمام وكمال الهيئة ثم وصف كل جزء يستقبل من الجسد الشريف، وجمع كل ذلك فى قوله: (بادن متماسك) وقدم ذلك للأهمية ثم فسر بالوصف الدقيق، ولهذه الظاهرة فاعلية كبيرة فى تنسيق الكلام، وترتيب هذه الكلمات وفق ما يقتضيه السياق من النَّاحية الصوتية والشكلية أو من الناحية الإيحائية والدلالية(٣).

قال (بادن متماسك) قبل المتماسك هو المكتز اللحم غير سهل ولا مسترخ كأن سمنه استمسك بعضه بعضاً فعلى هذا يحتمل أن يكون المراد بالبادية السمين واتبعه بقوله متماسك لنقى الاسترخاء المذموم عند العرب المكروه فى المنظر أى فهو معتدل الخلق بين السمن والنحافة وهذا هو الظاهر والخلاف فى أنه سمن أو ما سمن لفظى ويؤيده أن البادن فسره

---

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٩.

(٢) معانى التراكيب ١٩٦/٢.

(٣) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغى ص ٢٢٦.

القاضى عياض بذى لحم والحاصل أنه تخصيص بعد تعميم أو تذييل وتتميم[1].

وما سبق دليل على القوة الجسدية للجسد الشريف وكأن كل عضو شخص قائم بذاته فيه حاسة إدراك ووعى وحس وقوة، وقدم (بادن) لأهمية الوصف ووجه الأهمية أنها أهمية من نوع خاص غير المتعارف عليه عند البشر العادى أى أهمية مخصوصة لخير خلق الله كلهم الصادق الأمين ثم ذكر بعد قوله (بادن متماسك) (سواء البطن والصدر) أى مستوى وقبل صفة بادن خبر مبتدأ محذوف، وقيل سواء بالرفع منصوباً والبطن والصدر بالرفع فيهما فيحتمل أن يكون الألف واللام عرضاً عن المضاف إليه أى سواء بطنه وصدره، ونظيره فإن الجنة هى المأوى فيصير كقوله تعالى: ﴿ سواء محياهم ومماتهم﴾[2] ويحتمل أن يكون بتقدير منه نحو السمن متوان بدرهم أى منه فيصير كقوله تعالى: ﴿ سواء العاكف فيه والباد﴾[3] فاندفع ما قال العصام أن البطن والصدر مرفوعان على الفاعلية دون الإبتداء[4]، لكن يلزم كون التركيب قبيحاً لخلوه عن ضمير الموصوف كما علم فى مسائل الحسن الوجه فالتعويل على الإضافة وهو رواية الفائق نعم لو نصب البطن لكان أحسن وبالجملة سواء مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وجاء فى سواء كسر السين والفتح على ما فى القاموس قلت: والرواية بالفتح والمعنى أيهما مستويان لا ينبوا أحدهما عن الآخر وفى نسخة برفع سواء غير منون وخفض البطن والصدر وقيل سواء فى الأصل بمعنى الاستواء يوصف به كما يوصف بالمصادر فهو ها هنا بمعنى مستو

---

(١) جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/٣٩.

(٢) سورة الجاثية آية ٢١

(٣) سورة الحج آية ٢٥.

(٤) جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/٣٩: ٤٠.

أضيف إلى البطن وفيه ضمير عائد إلى المبتدأ والمعنى أنه بطنه وصدره مستويان[1].

وجمع بين (البطن) و (الصدر) تناسق لأنهما من واد واحد مثل قوله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان ﴾[2]. فالشمس والقمر من واد واحد وهما كواكب كذا إذا جمعنا النجم معهم أو على اعتبار أن النجم النبات الذى لا ساق له، والشجر النبات الذى له ساق ويكون من واد واحد. لذا جمع هنا البطن والصدر وفائدة ذلك مراعاة النظير وهو من تشابه الأطراف وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى وفى القرآن الكريم يتعلق بالفواصل التى تحتم بها الآيات وفيها يبلغ التناسب أقصى درجاته[3].

وقدم (البطن على الصدر) لأهمية الاستواء بين البطن والصدر وذلك من علامات الجمال والبنية القوية.

وفيه كناية عن القوة والغلبة والصحة والجمال والكمال والشباب الدائم ثم بعد ذلك قال: (عريض الصدر) كالمؤكد لما قبله وكون الصدر عريضاً مما يمدح فى الرجال[4]. وقد ذكر فى الصفة الأولى فائدة ثم أعقبها العطف بالواو ثم أعقبها فائدة أخرى تم بها المعنى وكمل ، وكما قيل "التكرار من أقوى طرق الإقناع وخير وسائط لتركيز الرأى فى النفس البشرية"[5].

ففى قوله (عريض الصدر) اتساع الصدر وقوة عضلاته دليل القوة والصحة، كما أن العرض دليل الضخامة وزيادة عليهما القوة وشدّة البأس

---

(١) جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/٣٩: ٤٠.

(٢) سورة الرحمن آية٥، ٦.

(٣)المثل السائر٣/١٦٣،نظرات فى علم البديع أ.د هاشم محمد هاشم،أ.ق.د فتحى محمد على

(٤) جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/٤٠.

(٥) مناهج التجديد ص ٢١٠، ومعانى التراكيب ٢/٢١٩

وقوة البدن، وقدم (العرض) على (الصدر) للأهمية التى تفيد الإختصاص كما فى قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين ﴾[1]. أى تخصك بالعبادة وتخصك بالاستعانة، وقد استعمل الواو فى قوله: (سواء البطن والصدر عريض الصدر) وهو من مواضع الوصل وهو من عطف جملة على أخرى بالواو خاصة وقد قصد تشريك الجملة الثانية فى حكم الجملة الأولى التى لها محل من الإعراب وقد اتت الجملتان فى الأسمية، وفى الوصف الجليل لخير المرسلين ائتلاف اللفظ مع اللفظ وهو ما يلفظ من الكلام المتمكن فى النفس[2].

كما يوجد فى هذا الأسلوب اتساق فى البناء وذلك بأن يأتى المتكلم بالكلمات من النثر والأبيات فى الشعر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً مستبهجاً. وكذا يوجد اتساق فى نظم الكلام بضم كل كلمة إلى أخرى لتأدية المعانى المراده[3].

وهذا الوصف لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- على سبيل الاستعلاء لأن قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم- أعلى وأوسع، وارفع، واسمى عن أى وصف يقول البوصيرى:

وشدَّ من سغب أحشاءه وطوى

تحت الحجارة كشحاً مترف الأدم[4].

ثم ذكر ابن أبى هالة رضى الله عنه- (بعيد ما بين المنكبين) البعيد ضد القريب ويقرأ مضافاً، وقيل بدون الإضافة وما موصولة أو موصوفة، وقيل زائدة وأراد بعيد ما بين السعة. وفيه كناية عن سعة الصدر وشرحه

---

(١) سورة الفاتحة آية ٢، ٣.

(٢) المعجم المفصل ص ٩.

(٣) المعجم المفصل ص ٢٥، ٢٦ (بتصرف).

(٤) بردة المديح ص ٦.

الدال على الجود والوقار، وذلك مستلزم لعرض الصدر[1]. كما أن دلالة (ما) فى الكلام أقوى وأشدّ تأثيراً من دلالة إنما.

وهنا عبر بـ ما (بين) وذلك لأن الصدر يشمل أجمل ما فى الأنسان وهو المضغة التى وسعت الأرض والسماء وما بينهما القلب الشريف الجميل الكبير الذى وسع العالم كله من أجل إعلاء كلمة الله ابتغاء مرضات الله، وهذا القلب البديع الشأن لا يوجد مثله منذ بدء الخلق وإلى يوم الدين، (والبين) هو الوصل وتأتى من البُعد.

وذكر (ما) للتعظيم والتفخيم أى منكين عظمين وتفيد التخصيص والتقرير والتقوى، وجاء الوصف بالمضارع وذلك لاستحضار الصورة الماضية الباقية فى الروض وهذا المعنى أبلغ وأوضح وأبين وأجمل.

وقد أتى اللفظ على حقيقة الأمر للتبين والتوضيح والتخصيص.

وجاء على سبيل المجاز فذكر المنكبين وأراد الهيئة الشريفة جميعها فذكر الجزء وأراد الكل وهو من ذكر الجزء وارادة الكل، ولأن هذا الجزء مهم لأنه فيه القلب الذى إذا صلح صلح الجسد كله فى الإنسان العادى فما بالنا بمن جعله الله صالحاً فى عالم الأرواح قبل الخلق ﴿ تبارك الله أحسن الخالقين﴾[2]. ثم ذكر بعد ذلك (ضخم الكراديس) حيث أضافها إلى الوصف السابق للترتيب الحسن الجميل، وفيه كناية عن القوة والشجاعة، وذكر البعُد الذى فيه السعة، والسعة تكون فى المساحة عرضاً وطولاً، والسعة دليل الامتلاء والضخامة والرحابة والهيئة العظيمة القدر الجليلة، ووصف الكراديس بالضخامة أى ضخم الأعضاء دليل على قوة البنية فقد جمع بين الفتوة والقوة والإمتلاء والشجاعة وقوة اليأس وهو الأوصاف التى اتصفت بها العرب الخُلص قبل الإسلام وهذه الأوصاف وأكثر منها

---

(١) جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/ ١٦.

(٢) سورة الأعراف آية ٥٤.

بكثير جداً ما علمنا وما لم نعلم لم تكن لأحد على وجه الأرض غير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام) [1]، وقدم (ضخم الكراديس) للإهتمام بشأن المقدم وذلك للتخصيص الذى يفيد التقوى، وذلك لأنه ليست كل رؤوس العظام ضخمة، وإنما توصف بالضخامة التى لها قوة وهيئة خاصة تختلف عن كل الهيئات.

(بعيد ما بين المنكبين والكراديس) طباق بديع وهو الجمع بين المتضاين فى الجملة، (وثنى المنكبين) وجمع الكراديس وهو من أسلوب التفريق والجمع، وهو للتفخيم والتعظيم.

وقد ورد الوصف الجليل على طريق الكناية عن القوة والغلبة والشجاعة وكذا فيه كناية أخرى للتعظيم والتكريم والإجلال والعزة والشجاعة، وفى الوصف العظيم طباق التدبيج من دبج المطر الأرض أى زينها وهو أن يذكر فى معنى كالمدح أو غيره لوناً أو ألوان بقصد الكناية أو التورية[2] لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الأوصاف الحسنة الجليلة التى عرفناها والتى يعرفها الله جل وعلا وحدَّه، وفى هذا الأسلوب تشابه الأطراف وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى[3]، كما أن فى الوصف استيفاء للمعنى وهو من صحة التقسيم قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ واخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (*) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وقُعُوداً وعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾[4]. كما يوجد فى الوصف الجليل التتميم البديع الذى فيه بيان وإيضاح دقيق.

---

(١) صحيح البخارى ٤/١٧٠، وكنز العمال عن أبى هريرة ١/٢٨٧٨٠.

(٢) نظرات فى علم البديع ص ٤٧.

(٣) نظرات فى البديع ص ٦٢.

(٤) سورة البقرة آية ١٦٤.

وفى قول ابن أبى هالة رضى الله عنه وأرضاه (أنور المتجرد) بفتح الراء من باب التفعل وفى نسخة من باب التفعيل وهو ما جرد عنه الثوب من البدن يقال فلان حسن الجردَّة والمجرد والمتجردة والتجريد التعرية عن الثوب والمتجرد المعرى كقولهم حسن العريَّة والمعرى وهما بمعنى والمعنى أن العضو الذى ستره الثوب كان أنور إذا صار مكشوفاً وقيل المراد بالأنوار النير كما قيل فى قوله تعالى: وهو أهون عليه والنير الأبيض المشرق فإن اسم التفضيل لا يضاف إلى المفرد المعرفة وقال الحنفى أنور المتجرد بكسر الراء على أنه اسم فاعل من التجرد من باب التفعل اى العضو الذى كان عارياً عن الثوب ويفتحها أيضاً على أنه اسم مكان منه أى العضو الذى هو موضح التجرد عن الثوب وما لها واحد وقال العظام روى المتجرد مفتوح الراء ومكسوره، وفى الوصف السابق من بداية الحديث إلى آخره كل وصف يُعد نوراً من نور فصلى الله عليه وسلم النور من نور الذى جاء بالنور، وقد استعمل أفعل التفعيل. لأهمية الموصوف والوصف لأنه فى سيدنا أحب الخلق إلى الله أجمعين نصف الشهادة ونصف التحيات من نزلت عليه المعجزة الخالدة الباقية وأوّل من لبى حين دعا الله فى عالم الأرواح. وقوله أنور اسم لما كان عليه من النور وقد أتى بمعنى افعل اسم تفضيل وهو المصوغ من المصدر للدلالة على أن شيئين أشتركا فى صيغة وزاد أحدهما على الآخر فى تلك الصفة وقياسه أن يأتى على أفعل كزيد أكرم من عمرو وهو أعظم منه مثل "بلال خير الناس وابن الأخير" ويأتى هذا الوصف على سبيل المدح الذى كان مشتهراً عند العرب فى الجاهلية ثم الإسلام إلا أن هذا الوصف على حقيقته وهو أنه صلى الله عليه وسلم- نور من نور، وما ظهر منه نور فهو بحق قرآناً يمشى على الأرض، وفائدة اسم التفضيل الدلالة على حقيقة الأمر قال

تعالى: ﴿لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ [1]. وهذا الوصف للإشارة إلى معهود لتعظيم المضاف قال تعالى: ﴿وإنه لما قام عبد الله يدعوه ﴾[2].

وفى الوصف الجليل إيجاز قصر وهو ذكر المعانى الكثيرة مع اللفظ القليل. وفيه أيضاً استعارة حسنة جميلة أفادت التجسيد المعنوى وهى استعارة مكنية، وفى هذا الأسلوب الترقى البديع من رقى إلى الشئ رقياً ورقواً صعد به الأمر حتى بلغ غايته.

كما جمع فى هذه الأوصاف ما يسمى (بالتعقيب) [3] وهو جمع جميع الأوصاف البديعة جميعها.

ثم ذكر بعد ذلك ابن أبى هالة رضى الله عنه- (موصول ما بين الليه والسرة بشعر يجرى كالخط) فى هذا الأسلوب ربط بين قوله (أنور المتجرد) وبين قوله (موصول ما بين الليه والسرة) وذلك لأن النور المذكور من البداية للنهاية لا يتغير، ووصل- رضى الله عنه- بين "أنوار المتجرد" وبين "موصول ما بين اللية والسرة" وذلك للأهمية لارتباط كل وصف بالآخر من الأوصاف الشريفة لأشرف الخلق أجمعين. وخصّ "اللبّة والسرّة" لأهميتهما لأن اللبّة موضوع القلادة من العنق وهو نهاية الرقبة الشريفة إلى السرّة الشريفة فهى موصولة بشعر يجرى كالخط وقد قدّم اللبّة لأنها فى المقدمة فواجبة التقديم بحكم التسلسل الطبيعى للأجزاء وذلك مثل المبتدأ حكمه التقديم، ثم الشعر الخفيف الذى يصل إلى السرّة وكأنه جبل من نور كل شعرة فيها تلألؤ، وذكر ما (بين) للتوكيد للمعنى المذكور، وقد ذكر فى الوصف الجليل (البين) مرتين بنفس اللفظ ومرة أخرى بالمعنى فى قوله موصول لأن البين بمعنى الوصل فذكر هنا الوصل بلفظة وأخرى بالمعنى فى قوله (يبن) وهو من الطباق الخفى الذى لا يعرف بسهولة، وقد جيئ

---

(١) سورة المائدة آية ١٥.

(٢) سورة الجن آية ١٩.

(٣) المعجم المفصل ص ٤٦١.

بالواو فى قوله (اللبة والسرّة) فهى تأتى للعطف لأن الواو عاطفة ويحتاج العطف بها إلى لطف فى الفهم لأنها تأتى للربط بين المتعاطفين وتشريك ما بعدها فى حكم ما قبلها فأفادت الواو اتصال النور من البداية للنهاية فى الجسد الشريف. ويوجد هنا العطف بين المفردين والجهة الجامعة التقارب بين المعانى المذكورة أى الوصف[1]، وقد ذهب أهل العربية إلى أن حكم المضارع المنفى حكم الماضى فى جواز الأتيان بالواو وتركها[2].

وفى قول ابن أبى هالة مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث ذكر الجزء وأراد الكل.

وفى الوصف الشريف كناية عن النور والضياء والبهاء فى الجسد الشريف كله.

وفى قوله (يشعر) مجاز مرسل علاقته المجاورة فقد ذكر الشعر وأراد الجسد الطاهر الشريف جميعه ولما كان الشعر مجاوراً للجسد فكأن مثله فى الإنارة والإضاءة والبهاء. وتكمن البلاغة فى المجاز والكناية فى مهارة فى تخير الألفاظ والعلاقة بين المعنى الأصلى والمعنى المجازى[3].

وقوله (الشعر) الباء حرف جر له معان أشهرها الإلصاق وهو رأى سيبويه، وقيل إنه لا يفارقها قيل هو: تعلق أحد المعنين بالآخر، ثم قد يكون حقيقة نحو﴿ وامسحوا برؤوسكم ﴾[4]، أى ألصقوا المسح برؤوسكم ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾[5]، وقد يكون مجازاً نحو ﴿وإذا مروا

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز فى معرفة شرح الواو عند الإمام عبد القاهر الجرجانى، ص ١٦٣، ومعانى التراكيب، ٢/١٤٦، وما بعدها.

(٢) ينظر الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة ص ١٢٠.

(٣) ينظر جواهر البلاغة ص ٢٤٢.

(٤) سورة المائدة آية ٦.

(٥) سورة المائدة آية ٦.

بهم﴾ [1]. أى بمكان تقربون منه، ومن معانى الباء التعدية كالهمزة نحو ﴿ذهب الله بنورهم﴾[2] ﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم﴾[3] أى أذهبه كما قال: ﴿ ليذهب عنكم الرجس﴾[4] ، وقد تأتى للاستعانة وهى من معانى الباء وهى الداخلة على آلة الفعل كباء البسملة فى (بسم الله الرحمن الرحيم)، وتأتى للسببية وهى من معانى الباء نحو ﴿فكلاً أخذنا بذنبه﴾[5]، وتأتى للمصاحبة نحو، ﴿ اهبط بسلام﴾[6]، ﴿فسبح باسم ربك الأعلى﴾[7].

وكذا تأتى للظرفية كفى زماناً ومكاناً نحو ﴿نجيناهم بسحر﴾[8]، وتأتى للاستعلاء كعلى نحو ﴿ منى أن تأمنه بقنطار﴾[9].

وتأتى لمعنى المجاورة كعن نحو ﴿فأسأل به صبرا﴾[10]، ثم قيل تختص بالسؤال، وقيل لا ، نحو: ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾[11]، أى وعن أيمانهم ﴿يوم تشقق السماء بالغمام﴾[12] أى عنه.

وتأتى للتبعيض كمن نحو: ﴿عين يشرب بها عباد الله﴾[13] أى منها.

---

(١) سورة المطففين آية ٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٧.

(٣) سورة البقرة آية ٢٠.

(٤) سورة الأحزاب آية ٣٣.

(٥) سورة العنكبوت آية ٤٠.

(٦) سورة هود آية ٤٨.

(٧) سورة الحجر آية ٩٨.

(٨) سورة القمر آية ٣٤.

(٩) سورة آل عمران آية ٧٥.

(١٠) سورة يوسف آية ٦٤.

(١١) سورة التحريم آية ٨.

(١٢) سورة الفرقان آية ٢٥.

(١٣) سورة الإنسان آية ٦.

وتأتى للغاية كما إلى نحو: ﴿وقد أحسن بى﴾[1] أى إلىّ.

وتأتى للمقابلة وهى الداخلة على الأعواض نحو: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾[2].

وتأتى للتوكيد وهى الزائد فتزار فى الفعل وجوباً نحو: ﴿اسمع بهم وأبصر﴾[3]، وجوازاً غالباً نحو: ﴿كفى بالله شهيداً﴾[4].

وقد أتى بالباء فى قوله (بشعر) للإلصاق وهى حرف جر وقد أتت على سبيل الحقيقة وذلك لإلصاق الفعل بالفاعل إلصاقاً حقيقياً.

وقد تأتى على سبيل المجاز للتوكيد للتنبيه على حقيقة النور الذى يختلف عن كل الأنوار.

وفى قوله (بشعر) تأتى الباء للمصاحبة أى ما بين اللبة والسرّة مصاحبة لشعر مضئ شديد الإنارة وذلك لوجوده فى أضوأ وأنور وأطهر جسد على وجه الأرض وإلى يوم الدين.

وقد تأتى الباء (بشعر) للمجاورة أى مجاورة الشعر للجسد الطاهر الشريف لذا أضئ الشعر لمجاورته للجسد الشريف.

وقد تأتى (بشعر) للتبعيض أى أن الصدر والبطن فيهما شعر خفيف شديد الانتظام فى خط مستقيم لامع له برق شديد.

وعبر بقوله (يجرى) وذلك لأمور عدّة أولاً أن فى الجرى معنى السرعة، وهذه السرعة لا تكون إلا من إنسان، حذف الإنسان ورمز له بشئ من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية التى تفيد تجسيد المعنى وتوضيحه وبيانه وتقويته. ثانياً: عبر بالحزن وهو تشبيه وجدانى دليل النعومة والاسترسال وأنه كالحرير فى الملمس وعبر بذلك لشدّة النعومة

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٠.

(٢) سورة النحل آية ٣٢.

(٣) مريم آية ٣٨.

(٤) النساء آية ٧٩.

وقال رضى الله عنه وارضاه- (كالخط) فيه تشبيه حسن بديع حيث شبه الشعر بالخط بجامع الاستقامة فى كل لأن الشعرة مستقيمة، والخط كذلك فذكر المشبه وهو الشعر، والمشبه به وهو الخط، وأداة التشبية وهى الكاف، وحذف وجه الشبه فهو من التشبيه المرسل، وهذا التشبيه الرائع من تشبيه المعقول بالمحسوس، ووجه الشبه فيه عقلى، فقد زاد التشبيه الوصف قوة ووضوحاً وبهاءً وجمالاً وذلك بتقريب المعنى من الأفهام، ويتضح من هذا التشبيه براعة ابن أبى هالة فى وصف النور القوى الذى يشع من جميع الجسد الشريف.

قال: (عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك) والمعنى لم يكن على ثدييه وبطنه شعر غير مسربته ويؤيده ما ورد فى حديث ابن سعد له شعر من لبته إلى سرته يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره[1]. وفى هذا الوصف تخصيص من عطف الخاص على العام الذى يقوى المعنى ويوضحه وذلك مبالغة فى وصف شدّة النور والبهاء، والضياء، وزيادة فى المعنى للأهمية والعناية بشأن الموصوف، وفى هذا الأسلوب تناسباً فى المعنى لأن كل ما وصف من جهة واحدة وواد واحد وهو الصدر الذى حوى القلب.

وفى قوله (عارى الثديين والبطن) مجاز مرسل علاقته الجزئية حيث ذكر الجزء وأراد الكل.

وعبر بقوله: (عارى) لأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- حسن العربة ما ظهر نور وما خفى نور وفى حديث أمنا عائشة رضى الله عنها وارضها ما يوضح جزء بسيط من النور الأكبر الذى- رأت عليه الإبرة عليها السلام .

---

(١) جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/٤٠.

وذكر الثديين معاً لأن الإنسان قد يكون فيه جانب جميل وآخر غير ذلك فى البشر العادى وذلك بخلاف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- حسن جميل بديع وليدفع توهم السامع ويوضح بأن الثديين كذلك لا ثدى واحد فى النور والبهاء والجمال.

وعطف البطن على الثديين وهو من الوصل الحسن بالواو والجهة الجامعة بينهما من قبيل عطف المفردات. وذلك كما روى سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه- أنه مر برجل فى يده ثوب فقال له: اتبيع هذا الثوب؟ فقال: لا يرحمك الله فقال له: لا تقل هكذا، وقل لا ويرحمك الله. وفى هذا الوصف الجميل تعليق بين الجملتين وترابط الجملة الثانية بالجملة الأولى، كما أن فى الجملة تأكيد للكلام السابق فى قول ابن أبى هالة (سواء الصدر والبطن) وهذا التأكيد أفاد معنى جديداً وفيه تقرير للجملة الوصفية وتخصيص وتوضيح.

وفى قوله: (مما سوى ذلك) أنت (مما) جيئ بها للتأكيد وهى زائدة إمّا لكونها كافة أو غير كافة كما وردت هنا مثل (مما خطيئاتهم..) قيل جميع ما فى القرآن من الشرط بعد (ما) مؤكد بالنون لمشابهته فعل الشرط، بدخول ما للتأكيد لفعل القسم من جهة أن (ما) كاللام فى القسم لما فيها من التأكيد، وذكر أبو البقاء زيادة (ما) مؤذنه بإرادة شدّة التأكيد[1].

وقال (سوى) لم ترد فى القرآن بمعنى غير، وقيل وردت، وجعل منه فى البرهان: ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾[2]، وقيل أنها استثنائية والمستثنى محذوف، أى مكاناً سوى هذا المكان حكاه الكرمانى فى عجائبه قال: وفيه بُعد لأنها لا تستعمل غير مضافة[3].

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن ٢/٢٤٤.

(٢) سورة المائدة آية ١٢.

(٣) الاتقان فى علوم القرآن ٢/١٩٩.

واستعمل (ذلك) وهو اسم إشارة على البسيطة، وفى هذا الوصف إثبات الشئ للشئ وهو مصطلح بلاغى سماه المصرى بذلك وهو أن يقصد المتكلم أن يفرد إنساناً بصفة المدح لا يشاركه فيهما غيره، وينفى ذلك عن جميع الناس وإثباتها له خاصة[1].

وفى قوله: (أشعر الزراعين والمنكبين) فقد استعمل أشعر وهو اسم تفضل على زنة فعل مبالغة فى كمال الوصف العظيم وقد سبق الحديث عن ذلك عند قول ابن أبى هالة (أنور المتجرد) .

والأشعر ضد الأجرد وهو أفعل صفة لا أفعل تفضيل، وفى القاموس الأشعر كثير الشعر وطويله، وفى أكثر الشروح أى كثيرة والمقام يحتملهما والله أعلم[2].

وقد خص الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر بقوله: (أشعر) لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى وأتى بأشعر للتفخيم والتعظيم وعلّو الشأن والمقام، وقد عطف المنكبين وأعالى الصدر وذلك لعطف الصفات الحسنة بعضها على بعض .

وفى الوصف وصل حسن جميل لموجود المناسبة بين الجمل، وليس هناك ما يتمتع من العطف.

وفى هذا الوصف التخصيص البديع لإفادة التقرير والتقوى للكلام وقد استعمل الربط بالواو فى الجملة الاسمية.

ثم قال هند ابن أبى هالة- رضى الله عنه- (طويل الزندين بعد قوله أعالى الصدر) لأن أعالى الصدر يناسب موصل طرف الذراع فى الكف وهما الزندان الكوع والكرسوع فناسب ذلك ذكر أعالى الصدر الزندين وهما كناية عن القوى والشجاعة والعلية خلقاً.

---

(١) المعجم المفصل ص ٢٩.

(٢) جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/٤١.

وعبر بقوله (طويل الزندين) لأن القوى والشجاعة والإقدام تستلزم طول الذراعين، لأنهما لهما دلالة لفظية ومعنوية عن القوى فى الحرب وفى السلم، وفى الجملة الفصل الذى بين الجملتين لما ذكر- رضى الله عنه- (أعالى الصدر) أعقبه بقوله (طويل الزندين) لأنهما من واو واحد.

وفى الوصف الكناية البديعة التى تدل على الشجاعة والقوى.

وفى الوصف الجليل علاقة الملزومية من علاقات المجاز المرسل وهو كون الشئ يجب عند وجوده وجود شئ آخر مثل "ملأت الشمس المكان" أى الضوء. وفيه إيجاز بديع ومهارة فى تخير العلاقة بين الأوصاف والجمال فى المعانى والمبالغة التى تضفى على المعنى جمالاً وبهاءً.

وقدم قوله (أطول) على (الزندين) وذلك للإهتمام الذى يفيد الاختصاص وذلك لصفة ذراعى سيدنا رسول الله والتى لها مزية عن غيرها بصفة الكمال الخاصة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فلا قبله ولا بعده يوصف بذلك غيره، وأتى هنا بأطول فعل تفضيل للتفخيم والتعظيم.

ولهذه الصفة إيقاع له دلالات لأن المتلقى والسامع يتخيل ذلك فتتفاعل نفسه معه ويتحرك القلب وتجيش العواطف وتهيم الروح فتظهر الأوصاف حلية كلية حقيقة من رب البرية لإبراز الحقيقة التى تدل على الذات العليا بأبهى خلق وأجمل وأكمل ما فى البشرية.

وذكر (الزندين) حتى لا يوهم خلاف المقصود.

كما يوجد فى الوصف السابق تصوير بالوصف لأنه نابع من بصيرة نافذة وحسن إدراك والتدفق عاطفى فيعلو شأن الوصف فى التصوير عندما يكون الموصوف أمراً غيباً لا سبيل إلى نقله إلا عن هذا الطريق الذى يتخيله السامع واقعاً ملموساً يراه بعينه وينظره بيده[1]. ولأن الموصوف

---

(١) ينظر التصوير الفنى فى الحديث النبوى ص ٤٩١، د/ محمد لطفى الصباغ ط ١٩٨٨م.

عظيم القدر، وأن الوصف لا يستطيع الوصول إلى قـدْره العظـيم وجلالـه وكماله وبهائه ونقائه وصفائه وضيائه صلى الله عليه وسلم.

وفى قوله (رحب الراحة) بعد قوله: (طويل الزندين) الجملة الثانية تأكيداً للأولى فلا يجوز إدخال العاطف عليه، لأن التأكيـد يتعلـق بالمؤكـد فيستغنى عن لفظ يدل على التعلق[1].

وفى قوله : (رحب الراحة) بعد قوله: (طويـل الزنـدين) بينهمـا مناسبة ظاهرة، وفى قوله (رحب الراحة) كناية عن الجود والكرم والعطاء، وقوله (شنن الكفين) بمعنى الخشونة والغلظ وهنا كناية عن قـوة البنيـة، وبين (الكفين) و(القدمين) مناسبة فى المعنى وهى حضور صورة القـدمين عند ذكر الكفين فى الذهن، وعبر (برحب) لأن فيه معنى السعة وهى ضـد البخل ومنها الشفاء والبركة والخير والنضر والفتح، كما فى الوصف تعظيم وتفخيم لشأن كل ما ذكر من أوصاف سابقة.

وفى (رحب الراحة) مجاز مرسل علاقته الكلية حيث ذكـر الجـزء وأراد الكل. وفى الوصف السابق علاقة اللزومية وكذا الملزومية.

وذكر (رحب) بدون التعريف وذلك للتعظيم والتفخيم.

وفى قوله (رحب الراحة) إيجاز قصر وذلك لاتساع المعنى وتقليـل اللفظ.

قدّم الكفين على القدمين وذلك بحسب الترتيب الطبيعى فى الجسـد الطاهر الشريف، وعطف القدمين على الكفين ووصل بينهما لوجود الجبهة الجامعة وهى المناسبة بين الكفين والقدمين، ولأن المخبـر عنـه وعـن أوصافه الجليلة واحداً ليس ككل الناس وإنّما أجّل وأعظم من من كل الناس.

---

(١) مقدمة شرح نهج البلاغة ص ١٥.

وفى قوله: (شنن الكفين والقدمين) مراعاة النظير وهو الإئتلاف والتناسب والتوافق والمؤاخاة وهو: أن يجمع فى الكلام بين أمرين أو أمور متناسبة لا بالتضاد مثل قوله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾[1].

وفى قوله (شنن الكفين) الجمع بينهما مقبول مستقيم فيه الخبر العظيم لكل البشر.

وفى الوصف الجليل السابق التتميم الحسن البديع، وبين الكفين والقدمين تضاد فى المعنى بين اسمين وهو من بديع الكلام فيكتسى الكلام به طلاوة وبهاءً ورونقاً وجمالاً ووصوفاً وبياناً[2].

كما يوجد فى الوصف التوشيح وهو أن يؤتى فى عجز الكلام- غالباً- لمتين مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الأول[3].

وفى الوصف الشريف تشويق لا صفاء السامع والقارئ من بديع الأسلوب.

ثم ذكر (سائل الأطراف) تفصيل بعد إجمال للتنبيه على فضل كل جزء من أجزاء الجسد الشريف وأنه له من الأهمية والخصوصية مما يجعله يختلف عن الجزء الآخر وفى كل أهمية وخصوصية ويختلف عن باقى البشر وذلك بأفضلية الله تعالى لرسوله الكريم.

قال سائل ولم يقل مرتفع مأخوذ من جرى وتدفق فهو سائل وسيال وفيه كناية حسنة بديعة عن جمال وليونة الأطراف لوجود المناسبة. وهى ارتباط السيولة بالأصابع لنعومة الأصابع وليونتها وجمالها.

---

(١) سورة الرحمن آية ٥، وينظر نظراً، فى علم البديع ص ٣٦.

(٢) البديع فى ضوء أساليب القرآن الكريم ص ٢٠ ونظرا فى علم البديع ص ٢٢ ط أولى.

(٣) خزانة الأدب ص ٢١١، والتحرير والتخبير ٣١٦/٢، ومعانى التراكيب د/ عبد الفتاح لاشين، ص ٢١٨.

وفى الوصف السابق إيجاز بالحذف فى قوله: (سائل الأطراف) أى (سائل أطراف اليد) وهنا بحذف كلمة وأدى الإيجاز المعنى المنوط بأحسن لفظ.

كما فى الوصف الحسن الارتباط البديع وهو التمزيج وحسن الترتيب أو حسن النسق[1].

وقد وردت البراعة فى هذا الأسلوب التى فيها صدق ومهارة فى الطريقة وجودة التعبير وربط الأسلوب وقد يعلق بلفظ البراعة على الكتاب العزيز، والأحاديث الشريفة وخطب سيدنا الإمام على كرم الله وجهه[2].

وفى قوله: (سائل الأطراف) استعارة مكنية وفائدتها تجسيد المعنى وتقريره فى ذهن السامع والمتلقى.

وقد ذكرت (سائل الأطراف) بالسين و (شائل الأطراف) بالشين ولا تعارض بين الوصفية لأنهما يصلحان للوصف الشريف لأن سائل بمعنى الارتفاع والجريان فيه التفخيم والتعظيم والتكريم والبهاء.

وفى الأسلوب كناية فيها التعظيم والإجلال والاعتدال والقوى.

وفى الأسلوب المجاز المرسل البديع، كما فى الأسلوب إيجاز حسن بديع زاد المعنى قوة وجزالة، وفى قوله السابق: توشيع حسن وتكميل بديع.

وفى قوله (خمصان) أى سائل (الأخمصين) الأطراف فبينهما جناس واضح فيه بيان بديع.

ثم ذكر بعد ذلك (مسيح القدمين) بعد قوله (خمصان الأخمصين) لمناسبة الكلام السابق لما بعده، وقدم (مسيح) على (القدمين) لأن صفة الليونة أهم لخصوصيتها لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودليل ذلك

---

(١) المعجم المفصل ص ٥٣٤.

(٢) المعجم المفضل ص ٢٦١.

ما من قدم على وجه الأرض إلا وهى خشنة حتى لو كان صاحبها لا يعمل شئ، فسبحان الله- أمّا قدمى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- لينه ناعمة وقدرة الله العزيز أن قدم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اللينة الناعمة طبعت فى الحجر ولم تطبع فى الرمال. فسبحان الله العظيم الذى أنزل القرآن على نبيه وحبيبه العظيم.

قال (مسيح) ولم يقل (ناعم) أو (إلين) لأن لفظ مسيح لها زيادة فى المعنى مع استواء القدمين الشريفين، وثباتهما لكمال القوة والرسوخ[1]. وقد ذكر فى الوصف الجليل الخاص بعد العام الذى يفيد التوسع فى اللغة والتوضيح والبيان مع إضافة الكلام اللاحق على السابق لتواصل المعانى وربطهما ببعض. كما يوجد فى الوصف المجاز المرسل حيث ذكر الجزء وأراد الكل فذكر القدمين وأراد الرجلين جميعاً، والمجاز البديع الذى ورد فى مكانة قادراً بديعاً مستقراً جميلاً، حيث ذكر الكلمات الموجزة فى معان كثيرة بديعة رائعة حسنة.

وقدم (مسيح) على (القدمين) للتوضيح والبيان وأنهما قدمان سليمتان ليس بهما مرض أو تشقق وبهما قوة وشدّة لا توجد لغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين، كما أن قدمى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيعان المشى مسافات طويلة وذلك بخلاف كل الاقدام لتحمل عبئ الرسالة وأعباء نشرها فكل جزء مهيئ للرسالة الشريفة لأن كل جزء مع الآخر يكمل كل ليس ككل البشر، وإنما كل مختلف عن البشر.

وقدم الصفة فى قوله (مسيح) على الموصوف على طريق التقديم، ثم جاء بالتفصيل الحسن الذى فيه تتميم للكلام زاد المعنى وضوحاً وقوة وبياناً. وذكر (ينبو) ولم يقل (يجرى) لأن حكمة (ينبو) أقوى وأتم فى المعنى من قوله (يجرى) لأن فيه بأن القدمين قد بلغا من الليونة، والشدّة،

---

(١) روح المعانى ١٧٢/٢.

والقوة مع الحسن ما لم يبلغه قدمان على الأطلاق، وقد اقتصر هذا الوصف الجليل على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأضاف (ينبو) عنهما الماء وذلك لتفصيل القول فيما يختص بصفة القدمين وذلك للإيضاح بعد الإبهام والتفسير بعد الإجمال.

وفى قوله (مسيح القدمين) ايقاع جميل حسن فى تنسيق الكلمات وترتيبها وفق ما تقتضيه حركة السياق للكلام من الناحية الصوتية والشكلية أو من الناحية الإيحائية والدلالية[1].

وذكر (مسيح) بالتنكير لأن التنكير للتعظيم والتكريم والإجلال.

وذكر (القدمين) بالتعريف لقصد التقوى للحكم الذى له دلالة إيحائية رائعة، وما سبق يقيد الانطلاق إلى آفاق واسعة تترك لدى السامع والمتلقى إحساساً عميقاً بالكلية ويضفى نوعاً من الغموض والتهويل، ويخلق جواً ملحمياً يعمقه الجانب الآخر للفكرة[2].

وفى الوصف البديع التوسيع، والتكميل لأن هذا الوصف مكملاً للمعنى السابق وذلك لاختلاف الوصف الأول عن الثانى ولأن الثانى أفاد معنى جديداً عن الأول.

وفى الوصف الأول (مسيح القدمين ينبو) استعارة مكنية التى تفيد التجسيد والتجسيم حيث جعل الماء كأنه إنسان يتصاعد ويتجافى حذف الإنسان وذكر ينبو على سبيل الاستعارة المكنية.

ذكر (ينبو) بالمضارع دون الماضى وذلك للتجدد والحدوث والذى يفيد أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فى روضة دائم باقى حىً ولأن رأى ابن جنى وهنا التمسك بالأمانة العلمية[3].

---

(١) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغى ص ٢٢٦.

(٢) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغى ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٣) أثر النحاة فى البحث البلاغى ص ٢٩٢.

ذكر (عنى) ولم يقل (فى) لأن فى تفيد الدخول أمّا عن تفيد المجاوزة.

ثم ذكر هند بن أبى هالة رضى الله عنه- (إذا زال عنهما المال زال قلعاً) أى ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم- وارتفع عن مكانه أو زال قدمه بتقدير مضاف، فإن القدم مؤنث على ما فى القاموس رداً على الجوهرى وأغرب من جعل الضمير إلى الماء، نظر إلى القرب اللفظى وغفل عن الفساد المعنوى (زال قلعاً) بفتح القاف وسكون اللام أى رفع رجله عن الأرض رفعاً باثناً بقوة لا كمن يمشى اختيالاً ويقارب خطاه تبختر قال فى النهاية روى قلعاً بالفتح والضم إما مصدر أو اسم وهو بمعنى الفتح أيضاً وقال الهروى قرأت هذا الحرف فى غريب الحديث لابن الأنبارى قلعاً بفتح القاف وكسر اللام، وكذلك قرأته بخط الأزهرى ويجوز أن يكون قلعاً على تقدير كونه مصدر أو اسماً بمعناه مفعولاً مطلقاً أى زال زوال قلع، ومعناه قريب مما ورد فى وصف مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم. كأنما ينحط من حبيب إذ الانحطاط من الصبب والقلع من الأرض قريب بعضه من بعض والمعنى أنه كان يستعمل التثبيت ولا يتبين منه حينئذ استعجال ولا استمهال وهذا معنى قوله تعالى ﴿واقصد فى مشيك﴾[1]. أى توسط فإن خير الأمور أوساطها قال العصام قلعاً ككتف حال وغيره منصوب مصدر أى ذهاب قلع أو تقلع قلعاً[2].

وفى الوصف الجليل تكرار بديع لأن زال الأولى أفادت معنى مغايراً لزال الثانية، فالأولى بمعنى جرى جرياً سريعاً، والثانية بمعنى زال تماماً، وقد جئ بالتوكيد للتعظيم والتشريف والإجلال وذلك لأن هذه الأوصاف زادت

---

(١) سورة لقمان آية ١٩.

(٢) جمع الوسائل فى شرح الشمائل ٤٣/١.

شرفاً وتعظيماً وإجلالاً وقدراً لأن باقتران هذه الألفاظ بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون لهذه الألفاظ الشرف العظيم.

وفى قوله (إذا) يستعمل على وجهين:

١- أن تكون للمفاجأة فتختص بالجملة الأسمية ولا تحتاج لجواب ولا تقع فى الابتداء ومعناها الحال فى الاستقبال نحو ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مسته﴾[١].

٢- أن تكون لغير المفاجأة والغالب أن تكون ظرفاً للمستقبل متضمنه معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجمل الفعلية، وتحتاج لجواب وتقع فى الابتداء عكس الفجائية والفعل بعدها إمّا ظاهراً نحو ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[٢]. أو مقدراً نحو: ﴿إذا السماء انشقت﴾[٣]، وجوابها ، وجوابها إمّا فعل نحو: ﴿فإذا جاء أمر الله قضى بالحق﴾[٤]، أو جملة اسمية مقرونة بالفاء نحو: ﴿فإذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير﴾[٥]، أو فعلية طلبية نحو: ﴿فسبح بحمد ربك﴾[٦] أو إسمية مقرونة بإذا الفجائية نحو: ﴿إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾[٧]، وقد يكون مقدراً لدلالة ما قبله عليه أو لدلالة المقام[٨].

(قلعاً) تتميماً للفائدة، وبدونها لا يكون الكلام تام الفائدة.

وفى قوله (قلعاً) تذييل حسن وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها لتأكيد منطوق.

---

(١) سورة يونس آية ٢١.

(٢) سورة النصر آية ١.

(٣) سورة الانشقاق آية ١.

(٤) سورة غافر آية ٧٨.

(٥) سورة المدثر آية ٨، ٩.

(٦) سورة الحجر آية ٩٨.

(٧) سورة الروم آية ٢٥.

(٨) علوم القرآن ص ١٤٨ وما بعدها.

وفى الوصف السابق كتابة عن صفة زادت المعنى قوى وتعظيماً.

وفى الوصف السابق قصر حسن من قصر الصفة على الموصوف وهو من أبلغ أنواع القصر، كما يوجد فى الأسلوب بيان مقدار المشية فى الزيادة والنقص والسرعة والبطئ، والشدّة والقوة وذلك لبيان امكان الوصف وإن كان غريباً بديعاً ولكن ممكن الحصول لأنه خاص بأحب خلق الله أجمعين صلى الله عليه وسلم الواثق- المتأد المتأنى يقول البوصيرى:

فخرت كل مختار غير مُشترك ... وجزت كل مقام غير مزدحم

وجل مقدار ما وليت من رُتب ... وعزّ إدراك ما أوليت من نعم

يرى أبا الطبيب أنه لا غرابة أن تفوق الأنام مع أنك واحد منهم لأن لك نظير وهو المسك فإنه بعض دم الغزال وقد فاق سائر الدماء[1].

وفى الوصف ما يعود على المشبه به من بيان الاهتمام بالمشبه به وذلك لإظهار المطلوب[2]. ثم ذكر (يخطو) وهو المسافة بين القدمين[3].

ذكر (يخطو) بالمضارع دون الماضى وذلك استحضاراً للصورة الماضية، كما أن الفعل المضارع يفيد التجدد والحدوث.

وفى قوله (تكفياً) النكرة للتعظيم والتكريم والإجلال.

وفى قوله (تكفياً) كناية عن الاعتدال فى المشية والثبات والثقة، وسرعة انطواء الأرض تحت قدميه الشريفتين والبسط الجميل.

كما يوجد فى الكلام التبليغ من بلغ الشئ بلوغاً وبلاغاً بمعنى وصل وانتهى، وابلغه وبلغه تبليغاً وسمى بالإيفال.

كما يوجد فى الكلام الترقى الجميل ومعناه "إن ينكر معنى ثم يردف بأبلغ منه كقولك عالم تحرير وشجاع باسل، وهذا قد يدخل فى بعض

---

(١) لباب البيان ص ١٨٣.

(٢) لباب البيان ص ١٨٢: ١٨٧.

(٣) ينظر مختار الصحاح ص ٢٠٠.

أقسام الإطناب[1].

وفى الوصف الجليل التسجيع من سجع شجعاً أى استوى واستقام، واشبه بعضه بعضاً، والسجع الكلام المقفى[2].

كما يوجد فى الكلام التفسير بعد الاجمال والتفصيل الذى أدى إلى معنى عالى القدر وهو الإيضاح، كما يوجد فى الوصف تنسيق الصفات فقد أتت الأوصاف المذكورة مرتبة ترتيباً حسناً منسقة تنسيقاً عجيباً يأخذ الألباب، وتحار فيه العقول بين جمال كل جزء على حدّة وبضم كل جزء مع الآخر، تبارك الله أحسن الخالقين.

ثم ذكر (يمشى هوناً) فكان الارتباط الوثيق بين (يخطو تكفيأ) وبين (يمشى هوناً) وذلك لارتباط الأسلوب الثانى بالأوّل فنرى فى الوصف الدقة التى بلغت الكمال فى الوصف، والوصف الجميل، والمعنى البديع. كما فى الوصف الجليل الوصل بين (يمشى هوناً) وبين (يخطو تكفيا) وهو من عطف البيان كون الجملة الأولى فيها إخفاء وفى الثانية كشف عن الأولى فأزيل الإبهام مع اقتضاء المقام وإزالة الخفاء، وفى الوصف الترادف الذى قوى المعنى وذلك لأن الوصوف مهما كتب فى أوصافه لن يصل واصل إلى قدْره الحالى، وإلى فخامته مع تواضعه صلى الله عليه وسلم- كما يوجد فى الوصف التخصيصى لقوله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾[3]، أنظروا معى إلى عظمة الوصف وجرس الكلمات والتعبير الجميل، والصفات المقتبسة من القرآن الكريم، وقد ورد الاقتباس من القرآن الكريم، ومن تخصيص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام بهذا الوصف (يمشون على الأرض هونا) وذلك لأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال له رب العزّة أقول لك

---

(١) المعجم المفصل ص ٣٠٨.

(٢) المعجم المفصل ص ٣٠٠.

(٣) سورة الفرقان آية ٦٣.

يا ملك أم عبد عبد الله فاختار أن ينادى عليه رب العزّة والجلالة عبد الله اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم، تسليماً بقدر عظمة ذاتك فى كل وقت وحين فالذى وصف عباد الرحمن هو عز وجل، رب الأرباب عظيم الجناب، من له ملك السموات والأرض من له الحكم والأمر والنهى، وهذا الكلام مستأنف لبيان أوصاف خاصة بعباد الرحمن وأقوالهم الدينوية والآخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته سبحانه والسجود له عز وجل وإضافتهم إلى الرحمن دون غيره من اسمائه تعالى وضمائره عز وجل لتخصيصهم برحمته أو لتفضيلهم على من عداهم، لكونهم من مرحومين منعماً عليهم كما يفهم من فحوى الاضافة إلى مشتق وفى ذلك أيضاً تعريض بمن قالوا: وما الرحمن؟ والأكثرون هنا جمع عبد، وقال ابن بحر أجمع عابد كصاحب وصحاب ورجل ورجال ويوافقه قراءة اليمانى (وعباد) بضم العين وتشديد الباء فإنه جمع عابد بالإجماع، وهو على هذا فى العبادة وهى أن يرضى ما يفعله الرب وقال الراغب العبودية إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل وفرق بعضهم بينهما بأن العبادة فعل المأمورات وترك المنهيات، وجاء الثواب والنجاة من العقاب بذلك والعبودية فعل المأمورات وترك المنهيات لا لما ذكر بل لمجرد إحسان الله تعالى عليه قيل وفوق ذلك العبودية، وفى الآية القرآنية الكريمة قوله سبحانه ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ والهون مصدر بمعنى اللين والرفق، ونصبه على أنه نعت لمصدر محذوف أى مشياً هوناً أو على أنه حال من ضمير (يمشون) والمراد يمشون هينين فى تؤدة وسكينه ووقار وحسن سمت لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشراً وبطراً، وروى نحو هذا إبن عباس ومجاهد وعكرمة والفضل بن عياض وغيرهم، وعن الإمام أبى عبد الله- رضى الله تعالى عنه- أنا الهون مشى الرجل بسجيته التى جبل عليها لا يتكلف ولا يتبختر ، وأخرج الآمدى فى شرح ديوان الأعشى بسنده عن

سيدنا عمر رضى الله عنه أنه رأى غلاماً يتبختر فى مشيته فقال له: إن البخترة مشية تكره إلا فى سبيل الله تعالى[1].

وفى قوله (ويمشى هوناً) عطفاً على (يخطو تكفياً) فى الجملتين اتفاق فى المضارعة وهو من بديع الوصل وذلك لتعلق الجملة الثانية بالأولى، وذلك للتناسب بين الجمل والترتيب البديع والتنسيق العجيب من الأوصاف والحركة المتواصلة وعبر بالمضارع استحضاراً للصورة الماضية، وذلك لتقرير المعنى فى الذهن وهى الجهة الجامعة فى الجمل التى فيها وصل، وكذا المضارع لاستحضار المستقبل أيضاً ليقع تحت المشاهدة بالتخييل لتقريره[2].

وفى قوله (زريع المشية) بعد (يمشى هوناً) بين يمشى والمشية جناس ناقص، وهو من الجناس اللفظى الذى يقوى المعنى ويحسنه.

وفى قوله: (زريع المشية) كناية حسنة عن صفة، تدل على السرعة والثقة والثبات والاعتدال فى المشية، وعطف زريع على يمشى هوناً لكمال الاتصال بن الكلام اللاحق والسابق.

وذكر (زريع) ولم يقل (زريعاً) حتى يكون الكلام واضحاً مبيناً.

وخص المشية بقوله: (يخطو تكفياً) و (يمشكى زريعاً) (وزريع المشية) وذلك لأن الخطوة، والمشية، الثابتة الواثقة، المعتدلة، الصحيحة، القويمة، الهادفة الحقة التى فيها سعى إلى خيرى الدنيا والآخرة، لنشر الدعوة شرقاً وغرباً فى كل أنحاء العالم، لأن الدعوة الإسلامية عامة بخلاف دعوة كل نبى فهى خاصة لقومه لذا يجب أن يكون لها أوصاف وصفات غير عادية تتميز بالقوة التى تتسم بالإعجاز لتحمل الأعباء، فهذه الأوصاف إعجاز من إعجاز الله تعالى.

---

(١) ينظر روح المعانى ١٩/٤٤.

(٢) الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية، ص ٣٥٧ وما بعدها.

ذكر (المشية) ولم يقل (المشى) فى الأول بالإفراد وفى الثانى بالجمع وذلك لبيان أن المشية فيها ثبات وقوة والمشى كذلك حتى وإن كان لساعات كثيرة فالمشية والمشى لايتبختر ذلك فى ثقة واعتدال وقوة.

وفى الأسلوب السابق الترتيب البديع العجيب والتسلسل الحسن والجزالة والوضوح.

وذكر (هوناً) ثم (زريع) لأمور عدّة:

١- أن الهون هو الحلم، وذلك لأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم بأن الأرض تُسبح ويسمع تسبيحها، فيرفق بالأرض التى يشرفها بالمشى عليها وتفرح الأرض فرحاً شديداً بأقدام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- الشريفتين ﴿وإن من شئ إلا يسبح بحمده﴾[١].

٢- سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هيناً ليناً فى مشيته، واثقاً محبوباً من كل العوالم، وكل يريد رؤيته فيسلم على كل من يراه.

وفى قوله يمشى هوناً أى هوناً أو حال هنياً فى تؤده وسكينة وحسن سمت ووقار وحلم لا يضرب بقدميه ولا يخفق بنعليه، فى عفاف وتواضع، أمّا (زريع المشية) خبر بعد خبر بكسر الميم للنوع ومعناه المشى المعتاد لمصاحبة على ما فى وقيل أو سريع المشى واسع الخطا ومعناه أن مشيته مع سرعته كأن الأرض تطوى إليه دون عجلة (زريع) أى واسع الخطو بين الذراعين إشارة إلى سعة خطوة فى المشى وهو المشية المحمودة للرجال[٢].

(إذا مشى كأنما ينحط من صبب) الظرف يحتمل أن يتعلق بما قبله أو بعده، وعلى التقدير بين فهو كالمعين لقوله زريع المشية[٣]. وقد استعمل

---

(١) سورة الأسراء آية ٤٤.

(٢) جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/٤٣ (بتصرف).

(٣) جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/٤٣.

فى الوصف الشريف (إذا) إشارة تعرض للمسند تعليق على سبب فإن كان السبب راجح الوقوع فى اعتقاد المتكلم أتى بلفظ (إذا) وذلك كما هو مستعمل فى الوصف الشريف السابق مثل (إذا اتيتنى أكرمتك) ويستعمل مع (إذا) لفظ الماضى غالباً.

وفى قوله (يمشى) استحضاراً للصورة الماضية، ويفيد التجدد والحدوث، وفى قوله (المشية) صفة مشبهه وهى لفظة مصوغة من مصدر اللازم للدلالة على الثبوت، ويغلب بناؤها من لازم باب فرح، ومن باب شرف ومن غير الغالب نحو سيد، ومقيد من ساد يسود، ومات يموت، وشيخ من شاخ يشيخ وأوزانها اثنتا عشرة وزناً[1].

وفى قوله (يمشى- مشية- مشى) كرر ذلك بطرق مختلفة للتعظيم والتفخيم والتكريم وذلك لأن المشى هو السعى والسعى هو طريق الوصول إلى الخير إلى الله سبحانه، ولازدهار الدعوة ووصولها إلى العالم كله لابد من السعى لذلك وهو ما فعله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولأن فى المشى النفع العظيم للفرد والمجتمع والأمة فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثنا على المشى والكد والتعب وبذل الجهد لنعيش حياة إسلامية كريمة فى ظل خير خلق الله أجمعين حبيب رب العالمين الصادق الوعد الأمين قال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾[2].

وذكر (مشى) ماضى (يمشى) مضارع (مشيته) صفة مشبهة بالأزمنة الثلاثة لأن الأزمنة الثلاثة صالحة فى كل وقت وحين لنشر الدعوة الإسلامية وإلى يوم الدين ولأن القرآن الكريم المعجزة الخالدة لحبيب رب العالمين

---

(١) ينظر فى ذلك شذا العرف فى فن الصرف ص ٧٥: ٧٧.

(٢) سورة آل عمران آية ٣١.

باقية محفوظة إلى يوم الدين قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[1].

ذكر (ينحط) فعل مضارع يفيد التجدد والحدوث، والاستمرارية وكذا استحضاراً للصورة الماضية، والتعبير عن الحال، ثم الاستقبال بأنه صلى الله عليه وسلم- فى كل وقت مشيته لا تتغير لأنه الطريق المستقيم لتبليغ رسالة رب العالمين.

قال (ينحط) ولم يقل (ينزل) لأن فيها معنى السهولة واللين مع التواضع الشديد والقدر العظيم.

(من صبب) فى قوله (من) تفيد ابتداء الغاية مكاناً وزماناً نحو: ﴿من المسجد الحرام﴾[2]. والتبعيض بأن يسد بعض مدّها نحو: ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾[3].

والتنبيه وكثيراً ما يقع بعدها نحو ما ورد فى الحديث الذى بين أيدينا.

فى قوله (إذا يمشى كأنما ينحط من صبب) شبه مشية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فى اعتدالها، وسهولتها، والهدف منها بسيولة الماء من مكان عال إلى مكان أقل منه شيئاً فشيئاً ينساب إنسياباً متتابعاً سريعاً بلا عناء أو تعب والجامع هو السهولة واليسر والإنسياب فذكر المشبه وذكر المشبه به وذكر الأداة وحذف وجه الشبه.

فى الأوصاف السابقة التكرار الحسن البديع، والتعظيم والتفخيم، والتذكير بنعم الله تعالى، وذكر الخاص بعد العام لدخوله فى جنسه تكريماً وتنويهاً على عظم قدْره والاعتناء بشأنه وتخصيصه بنعم لا توجد فى البشر إلا لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لتمام العناية بالأمر كله، والتذييل الحسن البديع.

---

(١) سورة الحجر آية ٩.

(٢) سورة الأسراء آية ١.

(٣) سورة آل عمران آية ٩٢.

ثم ذكر هند ابن أبى هالة ادق أوصاف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- جليلة القدر (وإذا التفت التفت جميعاً) فبدأ هذا الوصف بقوله (إذا) وقد تأتى لعدَّة أمور: أولاً للظرفية متضمنه معنى المستقبل وفيها معنى الشرطية وهى خاصة بدخولها على الجمل الفعلية لاحتياجها لجواب ووقوعها فى الابتداء وهى عكس الفجائية، والفعل بعدها إمَّا ظاهراً نحو:﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[1]، أو مقدراً نحو ﴿إذا السماء انشقت﴾[2]، وجوابها إمَّا فعلاً نحو ﴿فإذا جاء أمر الله قضى بالحق﴾[3]، أو جملة اسمية مقرونة بالفاء نحو: ﴿ فإذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير﴾[4]، وقوله تعالى:﴿ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب﴾[5]، أو فعلية طلبية نحو: ﴿فسبح بحمد ربك﴾[6]، أو أسمية مقرونة بإذا الفجائية نحو: ﴿وإذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾[7]، وقد يكون مقدراً لدلالة ما قبله عليه أو لدلالة المقام عليه. وجيئ بعد (إذا) الفعل الماضى، والجواب (إلتفت جميعاً) فجاء فعل الشرط، وجواب الشرط، وأداة الشرط لمعان سامية حسنة منها التفخيم والتعظيم والاعتدال العام الكامل لأكمل الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم وصحبه وسلم.

ذكر (إلتفت) ولم يقل (نظر خلفه) وذلك لأن الإلتفات هو لفت الشئ لفتاً لواه إلى غير وجهه، وصرفه ذات اليمين وذات الشمال، والتفت إلى الشئ

---

(١) سورة النصر آية ١.

(٢) سورة الانشقاق آية ١.

(٣) سورة غافر آية ٧٨.

(٤) سورة المدثر آية ٨، ٩.

(٥) سورة المؤمنون آية ١٠١.

(٦) سورة الحجر آية ٩٨.

(٧) سورة الروم آية ٢٥.

صرف وجهه إليه، يقال إلتفت بوجهه يمينه أو يساره مال به، والتفت عنه أعرض[1].

ولم يقل (توجه) لأن فى الالتفات التحول بالجسد جميعه فعنه ولم يقل (توجه) لأن فى الالتفات أقوى وأتم فى المعنى؛ ثم كرر (إلتفت) مرة أخرى للتوكيد والتفخيم، وذكر (إلتفت) بالماضى لتحقق الوقوع ولأنه أقوى فى المراد، وفيه جناس تام لفظى بين (التفت والتفت جميعاً) وفى الأسلوب التتميم مع نسق موسيقى عجيب فى السمع، وخص الالتفات بجميع الجسد وذلك لأنه أبدع وأتم لإصغاء السامع وللاهتمام بالمتكلم وفيه من التشويق لسماع باقى الأوصاف الجليلة، وفى ذلك معنى جميل وهو قوة البنية، واعتدال الجسد الشريف، وتناسق عجيب، وفيه معنى الإقبال على من يناديه وللتواضع الجم.

التواضع المحمدى الشديد مع علوّ وعظم وجلال وكمال الموصوف حبيب رب الأرباب عظيم الجناب قال تعالى:﴿وإنك لعلىخلق عظيم﴾[2]. ثم ذكر صفة أخرى من بعض صفاته الجليلة بقوله: (خفض الطرف) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف هو أو خبر بعد خبر، والمراد بالخفض ضد الرفع، والطرف مصدر واسم جنس، يعنى إذا لم ينظر إلى شئ يخفض بصره لأن هذا شأن المتأمل المشتغل بالباطن شأن التواضع بالطبع ويؤكده ويفسره قوله (نظره) أى مطالعته إلى الأرض أطول أى أزيد وأمد (من نظره إلى السماء) ويجوز أن يكون هذا وصفاً برأسه مخبراً عن نهاية تواضعه وخضوعه وغاية حيائة من ربه، وكثرة خوفه وخشوعة، والمراد أن نظره إلى الأرض حال السكون وعدم التوجه إلى أحد أطول من نظره إلى السماء[3].

---

(١) المعجم الوجيز مادة (لفت) ص ٥٦٠.

(٢) سورة القلم آية ٤.

(٣) جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/٤٣، ٤٤.

قال تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن تبعك من المؤمنين﴾[1]. ولم يذكر الواو العاطفة فى قوله (خفض الطرف) وذلك لكمال الاتصال لأن الجملة (إذا التفت) مرتبطة (بخفض الطرف) حالة كونه ملتفتاً بالجسد الظاهر جميعاً وهو من توكيد الجملة توكيداً معنوياً، كون الجملة الأولى مختلفة عن الثانية، ولكن يلزم من ثبوت إحداهما ثبوت المعنى الآخر مثل قوله تعالى: ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾[2].

وخص العين بالخفض لأن الحزن، والألم، والفرح، والسعادة وكل تعبيرات النفس تظهر بالعين، ولما كان قلب أحب الخلق أجمعين الرؤوف الرحيم أظهر من كل قلوب العالمين ظهر ذلك من تواضعه الجم، مع العظمة والجلال، كل ذلك من مشاعر وأحاسيس وانفعالات تظهر من خلال العين لذا خص العين بالخفض قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[3]، وقال عز من قائل ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[4].

فقد جعل صلى الله عليه وسلم- خفض الطرف من كمال الإيمان، وأضاف الطرف إلى خفض لخصوصية ذلك بالمصطفى أكمل خلق الله أجمعين وقدم الخفض على الطرف للأهمية، كما أن التواضع عامل أساسى فى نشر الدَّعوة.

وفى قوله (خفض الطرف) إيجاز قصر بذكر الكلمات القليلة مع معانٍ كثيرة دون الإخلال بالمعنى.

وفى الوصف الكناية عن غاية التواضع وعظم الموصوف.

ثم ذكر بعد (خفض الطرف) (نظرة إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء) ففى الكلام كمال الاتصال، وفيه اتحاد فى الجمل، وتناسق فى

---

(١) سورة الشعراء آية ٢١٥.

(٢) سورة البقرة آية ١، ٢.

(٣) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

(٤) سورة آل عمران آية ١٥٩.

العبارات، وذلك بوجود القرينة الدالة على المسند إليه، ولكون المسند لا يصلح إلا له صلى الله عليه وسلم- حقيقة أو إدعاء مثل قوله تعالى: ﴿تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل﴾(١).

وفى الكلام الاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر لقوله تعالى: ﴿صم، بكم، عمى﴾ أى هم صم هم بكم هم عمى.

وفى الوصف اتباع الاستعمال الوارد عن العرب مثل (الحمد لله) أهل الحمد.

وذكر (النظر) ولم يقل (البصر) وفى ذلك دلالة إيحائية لأن النظر يشمل البصر والبصيرة بخلاف البصر، وفى ذكر (النظر) شمول وعموم لأنه الموصل للطريق السليم بإذن رب العالمين. ثم ذكر (إلى) وتذكر لعدَّة معانى. منها إنتهاء الغاية زماناً مثل ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾(٢) ، أو مكاناً ﴿ إلى المسجد الأقصى﴾(٣)، أو غيرهما نحو قوله تعالى ﴿والأمر إليك﴾(٤) أى منته إليك، والمعية نحو ﴿من أنصارى إلى الله﴾(٥)، وهذا رأى ابن مالك وغيره تبعاً للكوفين وذلك إذا ضمنت شيئاً إلى الآخر فى الحكم به أو عليه أو فى التعلق مثل قال تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾(٦).

قال الرضى التحقيق بها بعد انتهاء أى مضافة إلى المرافق وإلى أموالكم، وقال غيره ما ورد ذلك مؤول على تضمين العامل وإبقاء (إلى) على أصلها والمعنى فى الآية الأولى من تصنيف نصرته إلى نصرة الله، أو من ينصرنى حال كونى ذاهباً إلى الله، ومنها الظرفية كفى نحو: ﴿ليجمعنكم

---

(١) سورة الحج آية ٦١.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٧.

(٣) سورة الآسراء آية ١.

(٤) سورة النمل آية ٣٣.

(٥) سورة آل عمران آية ٥٢.

(٦) سورة النساء آية ٢.

إلى يوم القيامة﴾[1] أى فيه، وقوله ﴿هل لك أن تزكى﴾[2]، أى فى أن، ومنها مرادفة اللام ﴿والأمر إليك﴾[3] أى لك.

ومنها التبين كقول ابن مالك: وهى المبينة لفاعلين مجرورها بعدما يقيد حباً أو لفظاً.

من فعل تعجب، أو اسم تفضيل نحو: ﴿رب السجن أحب إلىّ﴾[4]، ومنها التوكيد وهى الزائدة نحو: ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم﴾[5]. وفى قوله (نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة) والملاحظة مفاعلة من اللحظ وهو النظر باللحاظ وبفتح اللام فيهما لحظة ولحظ إليه أى نظر إليه بمؤخر العين واللحاظ بالفتح شق العين مما يلى الصدغ.

وأما ما يلى الأنف فالموق والماق واللحظ بالكسر مصدر لاحظته إذا راعيته والمرادجل نظره فى غير أوان الخطاب الملاحظة فلا يناقض قوله (إذا التفت ألتفت جميعاً) وتحمل الملاحظة على حال العبادة.

وذكر (جل نظره إلى الأرض) لأن الأرض محل الإهباط[6].

ولأن النظر إلى الأرض يؤنس العقول ويرشدها إلى معرفة كيفية التخليق، وليعرف البشر بأنه جل وعلا- الواحد الأحد الذى لم يلد ولو يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأنه الخالق للولد الثمر والمنزل للكتاب وكذا المطر، والمنشأ للأرض على غير مثال سابق، والمعبود فى الأرض والسماء،

---

(١) سورة النساء آية ٨٧.

(٢) سورة النازعات آية ١٨.

(٣) سورة النمل آية ٣٣.

(٤) سورة يوسف آية ٣٣.

(٥) سورة إبراهيم آية ٢٧، وينظر الاتقان فى علوم القرآن ٢/١٦١، ١٦٢ (بتصرف).

(٦) روح المعانى ١/ ٢٣١.

المتفرد بالألوهية من خص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- بأجمل الأوصاف وأكملها، أتمها وأنفعها وأعمها.

يقول الشاعر:

تأمل فى رياض الأرض وانظر .. إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات .. على أهدابها ذهب سبيك

على قطب الزبرجد شاهدت .. بأن الله ليس له شريك[1]

وأن ما فى الأرض جميعاً خلق للكل .. وأن النعم لا تعد ولا تحصى والمنعم واحد فقط ﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾[2].

وذلك فى مقام الامتنان[3].

كما أن جميع المخلوقات- علويها وسفليها سعيدها وشقيها مخلوق من الحقيقة المحمدية صلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم- كما يشير إليه قول النابلسى قدس الله سره دافعاً ما يرد على الظاهر.

طه النبى تكونت من نوره .. كل الخليقة ثم لو ترك القطا[4]

كما يوجد فى الأرض تنبيهاً على فضيلة الملك ولولاه ما استتب الأمر للعالم كله، ولهذا يقال الدين والملك توءمان ففى ارتفاع أحدهما ارتفاع الأخر، لأن الدين أساس الملك، والملك حارس، ومالا أسس له مهدوم، وما لا حارس له فضائع[5].

كما أن التفكر عنصر هام فى الإيمان، واعتراف بالعبودية، لأن التفكر لا يكون إلا بالقلب والروح، والنظر فيما خلق الله ويكون التفكر فى عجائب

---

(١) روح المعانى ١٩٢/١.

(٢) سورة الشورى آية ١١.

(٣) روح المعانى ١/ ٢١٥.

(٤) روح المعانى ٢٣٠/١.

(٥) روح المعانى ١٧٤/٢.

المصنوعات، ودقائق الأسرار ولطائف الحكم، ففيه استدلال على الصانع ووحدته في الذات والصفات والأفعال، والأقوال، وأنه سبحانه الملك القهار العالم- القادر- عز وجل وعلا وتفرد بالألوهية المتقن المنعم إلى غير ذلك من صفات الكمال.

يقول لبيد:

ألا كل شئ ما خلا الله باطل .. وكل نعيم لا محالة زائل[1]

وفي قوله (نظره إلى الأرض أطول) أفعل تفضيل لما فيه من التأمل البديع والعبرة والعظة، والحكمة، والاتزان، والثبات الحق واليقين، الاعتدال المطلق في الخلق والخُلق- فصلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم- وذكر (من) وقد استعملت بمعنى ابتداء الغاية مكاناً وزماناً.

كرر رضى الله عنه وأرضاه (نظره) ثلاث مرات لعدَّة أمور:

١- التنبيه على أهمية نعمة البصر وتفضيلها على كثير من النعم، لذا يجب شكر المنعم- سبحانه- على كل ما أنعم به.

٢- ولأنها نعمة عظيمة بالنسبة لباقي النعم ولذلك يطلق على الجاسوس عين لأن العين لها أهمية كبرى في رؤيا الأشياء، ولا ولاستلزام اطلاق الجزء على الكل لابد وأن يكون أشرف من باقي الأعضاء كالرقبة مثلاً تطلق على الكل، ولذا لا يطلق لفظ اليد على الكل (أي الإنسان) وقيل: أمَّا أطلاق العين على الربيئة، فليس من حيث أنه إنسان بل من حيث أنه رقيب وهذا المعنى مما لا يتحقق بدون العين فلفهم[2].

٣- كرر ما سبق لما فيه من الجناس اللفظي التام المماثل الذي يقوى المعنى ويوضحه، ولما فيه من تنميق للعبارة وتشويق للمعنى.

---

(١) روح المعاني ١٧٦/٤، ١٧٧ (بتصرف)

(٢) ينظر المطول ص ٢٥٧.

وكذا لفت النظر وتطرية للسامع وذلك لأن الجناس يأتى عفو الخاطر عن طبع وفطرة سليمة.

٤- التكرار يفيد المعنى ويحسنه ويقويه، وينبه السامع والمتلقى خاصة وإذا كان الحديث طويلاً خوفاً من نسيانه، وتذكيراً لفضل هذه النعمة العظيمة يقول الخافجى: (يحسن استعماله فى الأمور المهمة التى قد تعظم العناية بها أو يخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها) (١).

يقول فى ذلك الدكتور على الجندى التكرار قسمين وهذا الكلام من القسم الثانى وهو التكرار الذى يخلع على الكلام رونقاً وبهاءً وجمالاً كما يضيف ألواناً من الأنغام المحببة إلى النفس، ويشنق منه صوراً جيدة فيها من المعانى والأخيلة والعواطف ما يحرك القلب والفكر(٢).

٥- فى كل مرة يذكر (نظره) تأتى لمعنى جديداً، ووجه جديد من وجوه الكلام الحسن البديع، وذلك لأهمية الموصوف وأنه ليس ككل موصوف لذا الوصف له خصوصية التمييز لتكميل الكلام وحسن التلاؤم بين أجزائه وتناسق المعانى مع الألفاظ.

٦- كما فى التكرار الترقى الجميل، الذى يفيد التعظيم والتكريم لشأن صاحب النظرة لأنها العين التى رأت الله جل وعلا- فلا يشبهها عين منذ بدء الخلق وإلى يوم الدين.

٧- كما فى التكرار التبليغ للتأسى بما فعل خير خلق الله كلهم، فنسير على نهجه فى الأقوال، والأفعال، فى الصمت، والكلام.

- ثم ذكر ابن ابى هالة رضى الله عنه- (جل نظره الملاحظة).

---

(١) ينظر المعجم المفضل ص ١٦٩ .

(٢) فن الاسجاع ص ٢٢٤، د/ على الجندى (بتصرف).

- ذكر (جل) ولم يذكر (معظم)، أى كثير الملاحظة صلى الله عليه وسلم فكلمة (جل) أدق فى أداء المعنى المراد، مع إيجاز فى العبارة واستيفاء للمراد.

- وقدم (جل) على (نظره) وذلك لأهمية المقدم لإفادته الاختصاص الذى يقوم المعنى ويؤكده فى ذهن السامع والمتلقى، وخص الملاحظة بالذكر لأن بها التفكر، والتدبر، وعمل العقل.

- (جل نظره الملاحظة) بالألف واللام فى (الملاحظة) لأن المعرفة اخص من النكرة، وكلما كانت أخص كانت أتم دلالة على المراد لكونه أقل احتمالاً لغير المراد من النكرة[1].

- (يسوق أصحابه ويبدر من لقى بالسلام)

أى يقدمهم أمامه، ويمشى خلفهم صلى الله عليه وسلم- تواضعاً وإشارة إلى أنه كالراعى يسوقهم وإيماء إلى مراعاة أضعفهم فيتأخر عنهم رعاية للضعفاء، وإعانة للفقراء، وفى بعض النسخ يتقدم أصحابه من التقديم أخرج أحمد عن عبد الله بن عمر قال: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. يطأ عقبه رجل وفيه رد على أرباب الجاه من الجهلاء وأصحاب التكبر والخيلاء وأخرج الدرامى باسناد صحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: خلوا ظهرى للملائكة[2] (ويبدر) من حد نصر بمعنى يسبق ويبادر (من لقى السلام) متعلق بيبدر أى بالتسليم فإنه مصدر سلمت، وفى بعض النسخ يبدر من البدء بمعنى الابتداء، والمعنى أنه يجعل سلامة أوّل ملاقاته قبل لأن ذلك سمة المتواضع، وقال العصام أقول إيثار من لقبه

---

(١) الاشارات والتنبيهات ص ٣٢، الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية، ص ٤٢٤ وما بعدها.

(٢) ينظر جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/٤٤.

على نفسه بأجزل المثوبة، لأن جواب السلام فريضة وهى أفضل من ثواب السنة[1].

وفيما سبق فى ختم الحديث حسن الانتهاء والذى ليس بنهاية لأوصاف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.. جلبلة القدر لأنه يوجد الكثير والكثير والكثير والكثير إلى ما لا نهاية من الأوصاف عظيمة القدر ما علمنا منها وما لم نعلم ويعلم الله سبحانه- فما ذكر ابن أبى هالة شئ وتوجد أشياء كثيرة عن كثير من المحدثين لا تعدوا ولا تحصى تدل على الكمال والجلال والبهاء والنور وذلك من البراعة فى الكلام قديماً وحديثاً قيل: (أعلم أن حقيقة هذا النوع هو أن يختم الشاعر قصيدته بأحسن بيت بحسن السكوت عليه، لأنه غاية ما ينتهى السامع إليه وربما حفظه دون غيره لعذوبته وقربه من ذهن السامع.. الخ) [2].

وهنا ربط ابن أبى هالة- رضى الله عنه وأرضاه- بن قوله (يسوق أصحابه.... الخ وبن اجل نظره الملاحظة) فانتقل من دقة الملاحظة إلى (يسوق أصحابه) فيه دلالة على معيتهم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فى أثناء وجوده مع الصحابة رضوان الله عليهم وبعد انتقاله إلى روحنته الشريفه فهم على الدرب والطريق سائرون، وعلى نهج القرآن ينتهجون أقتداءً به صلى الله عليه وسلم. فى الأقوال والأفعال والتصرفات، فذكر (يسوق) فعل مضارع يفيد التجدد والحدوث استحضاراً للصورة الماضية لأنه صلى الله عليه وسلم، يسوقهم فى الماضى والحاضر والمستقبل.

وذكر (يسوق) ولم يقل (يصحب) لأنه القائد العالم العارف الذى يمشى على صراط رب العالمين فهو قرآن يمشى على الأرض، لأن من نزل عليه

---

(١) ينظر جمع الوسائل فى شرح الشمائل ١/٤٤، ٤٥.

(٢) ينظر المعجم المفصل ص ٢٦٤، ٢٦٥.

التنزيل وخُص بكل النعم من رب العالمين، من حظى بنصف الشهادة، ونصف التشهد، وبالقرآن الكريم، والسنة النبوية لابد وأن يسوق أصحابه قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾(٢).

فالسوق ما يشمل الأفعال التى فيها تعاليم بطريق الترغيب والترهيب(٣) وقيل السوق: الحث على المسير للإسراع إلى الإكرام(٤).

وقيل السوق والحث للإسراع بهم إلى دار الكرامة(٥).

وفى الأسلوب البديع الاجلال والتقدير والتعظيم والتفخيم والتكريم للصحابه بسوق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- لهم. قال تعالى: ﴿وسيق الذين أتقوا ربهم إلى الجنة زمرا﴾(٦).

وقال الشاعر:

وقف الهدى بى حيث أنت فليس لى ... متأخر عنه ولا متقدم(٧)

وعبر بقوله (أصحاب) ولم يقل (الأمة) أو (أصدقاء) لأنهم رضى الله عنهم مصابيح الهدى والحاملين لواء الدعوة لأكمال ما بدأ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- من الدعوة التى فيها خيرى الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾(٨).

---

(١) سورة إبراهيم آية ١.

(٢) سورة المائدة آية ١٥.

(٣) روح المعانى ١٣٧/٦.

(٤) روح المعانى ٣٣/٢٤.

(٥) روح المعانى ٣٣/٢٤.

(٦) سورة الزمر آية ٧٣.

(٧) روح المعانى ٣٣/٢٤.

(٨) سورة المائدة آية ٣.

وذكر (يسوق أصحابه) جملة فعلية سارت على المراد وذلك لاختصاص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك لا غيره فى الماضى والحاضر والمستقبل استحضاراً للصورة الماضية.

ووصل بالواو لكمال الاتصال فى الوصف ولارتباط أول بآخر﴾ وذكر يبدر بالمضارع استحضاراً للصورة الماضية ودالاً على الحدوث والتجدد فيكون السلام متجدداً دائماً، من تعاليم الدين الحنيف بكل مذاهبه ومن التواضع المحمدى، وهنا أبرز الماضى بصيغة المضارع لحكاية الحال الواقع وأمن اللبس، لكون المعطوف عليه ماضياً[1].

ولأن فيه دلالة على أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- يرد السلام فى كل وقت على من يسلم عليه صلى الله عليه وسلم- وقد ورد حديث من قبل بأن الله سبحانه يرد روح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فيرد السلام على من يلقى عليه السلام.

ثم ذكر (لقى) عبر الماضى استحضاراً للمضارع أى فى كل وقت وذكر (لقى) ولم يقل (من يقابل) وذلك لأن اللقيا قد تكون فى أوقات معلومة كأوقات الصلاة أوغير معلومة وهى أوقات تلقى تعاليم الدين الحنيف عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فذكر (لقى) لأنها أعم من غيرها. وقارة فى موضعها مؤدية الغرض المنوط منها بلفظ حسن ومعنى شريف.

ثم ذكر- رضى الله عنه- (بالسلام) الباء حرف جر له عدّة معانى أشهرها الإلصاق، وقيل: تعلق أحد المعنين بالآخر، ثم يكون حقيقة، نحو ﴿وأمسحو برؤوسكم﴾ [2] أى ألصقوا المسح برؤوسكم، مجازاً نحو: ﴿وإذا مروا بهم﴾[3]، أى بمكان تقربون منه. الثانى: التعدية كالهمزة نحو: ﴿ذهب

---

(١) الاشارات والهديات ص ١١٩.

(٢) سورة المائدة آية ٦.

(٣) سورة المطففين آية ٣٠.

الله بنورهم﴾[1]. الثالث: الاستعانة وهى الداخلة على آلة الفعل كباء البسملة. الرابع: السببية وهى التى تدخل على سبب الفعل نحو: ﴿فكلاً أخذنا بذنبه﴾[2]، ويعبر عنها بالتعليل.

الخامس: المصاحبة كمع نحو: ﴿أهبط بسلام﴾[3]. ﴿قد جاءكم الرسول بالحق﴾[4]، ﴿فسبح بحمد ربك﴾[5].

وقال: (بسلام) وذلك لمصاحبته السلام لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل زمان ومكان ولأن غاية الإسلام نشر السلام والأمان والوَد والحب: نقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام. وصدق الله العظيم ﴿وأنك لعلى خلق عظيم﴾[6].

وفى الحديث الشريف (باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام) حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة حدثنا عفان، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عثمان بن حكيم عن اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أبيه قال: قال أبو طلحة كنا قعوداً بالأفنية نتحدث فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فقال: (مالكم ولمجالس الصعدات؟ اجتنبوا مجالس الصعدات، فقلنا إنما قعدنا لغير ما بأس، فعدنا نتذاكر ونتحدث قال: إمالا فأدوا حقها: غض البصر، ورد السلام، وحسن الكلام"[7] صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة البقرة آية ١٧.

(٢) سورة العنكبوت آية ٤٠.

(٣) سورة هود آية ٤٨.

(٤) سورة النساء آية ١٧٠.

(٥) سورة الحجر آية ٩٨ وينظر فى ذلك الاتقان فى علوم القرآن ١٩٤/٢.

(٦) سورة القلم آية ٤.

(٧) ينظر صحيح مسلم (باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام) حديث رقم (٢١٦١) ص ١٤٠.

الخاتمة

أحمد الله – عز وجل- حمدا الشاكرين وأصلى وأسلم على حبيب رب العالمين الذى شمائله باقية إلى يوم الدين تشهد بعظمة العلى القدير بأن الإعجاز فى خير خلق الله أجمعين، وكذا ما جاء به من التنزيل. من دعا ودعا للأمة بالنصر المبين ففاز بالشفاعة يوم الدين، وتصف من التحيات، وبشهادة جميع الأنبياء له منذ بدء الخلق إلى يوم الدين والبشر أجمعين تصديقاً لكلام رب العالمين ﴿ وأنك لعلى خلق عظيم﴾ من بهر علماء الغرب والشرق، من وحدَّ الله وتوحَّد فى الذات والصفات والأقوال والأفعال فكان قبساً من نور الذات أضاء المشرق والمغرب هدى العربى والعجمى، من به عهد العزة والكرامة لكل البشرية صاحب المعجزات الباهرات والمقام العال. من به سر الوصول لخير مأمول فمنه نتعلم الاستغراق التام، والفناء الكلى فى محبة الله للوصول إلى أسمى الغايات وعظيم الجنات، صاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، من أخذت البلاغة منه روحها، وكيانها وإعجازها وبيانها. حتى صارت معجزة القرآن الكريم.

ومما سبق نجد أن فى الأوصاف الجليلة العظيمة لخير خلق الله كلهم:

١- إعجاز يشهد بعظمة الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فالبلاغة فى الحديث المذكور تأخذ بالألباب والعقول وكأنما كل كلمة أخذت شهور ودهور لكى تنقح وتصل لنا فى ثوبها القشيب، فالإعجاز فى الحديث أنه منقحاً جميلاً بكل ما فيه من إبداع وأوصاف جليلة، وفصاحة، وبراعة وذلك من فى ابن أبى هالة الذى استقى الفصاحة والبلاغة من خير خلق الله كلهم.

٢- أن أوصاف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الكمال الخلقى والخُلقى أوصاف لها خصوصية من معان وبيان وبديع، فهى إعجاز من إعجاز رب العالمين، وذلك ليكون الإيمان القوى المبين على دعائم قوية من كتاب وسنة للوصول للجنة.

٣- قال تعالى ﴿ لا تعجل به قبل أن يقضى إليك وحيه﴾[1]. من علَّمه الله لا يكون مثل البشر وإنما يعلو ويرتفع على كل البشر، من نطق بالبلاغة والبراعة والبيان والفصاحة فقد تفرد باللسان العربى المبين الذى أعجز كل الخلق أجمعين بأروع وأسمى وأبهى وأشرف وأرقى وأجمل وأكمل كلام تسمعه البشر فتسكن القلوب والروح والوجدان، وبه يكون التوحيد للرب المعبود فكل ما فى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- من أوصاف معجزة وأن كان مثل البشر فى الهيئة إلا أن أوصافه لها خصوصية لصاحب الرسالة العظمى من خُلقه القرآن الكريم.

٤- فكما أن السنة النبوية تؤخذ عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مهذبة، منقحة، جميلة ليس فيها عروة مفصولة، وكل كلمة موصولة محكمة، منقحة، بما فيها من ترغيب، وترهيب، إحكام، ومعاملات فكذا صاحب التنزيل تم له الكمال الخُلقى المعجز العجيب البديع. فالكمال خلق فى صورة إنسان من نور يسمو ويعلو عن الناس والملائكة والحور فصلى الله عليه وسلم. دليلنا إلى الله.

٥- فى أوصافه البديعة نجد التشبيهات والاستعارات والكنايات والمجازات والإيجاز الحسن الرائع والاطناب الغير مخل وأحوال الإسناد والحقيقة فى أبين كلام وأوضح وصف وأجلّ وأدق بيان. مع فصاحة وبلاغة لم ولن تكون لغير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- صاحب أكبر معجزة لكل الأنام

٦- كما أن الأوصاف جمعت فى طياتها بلاغة الأولين والآخرين، ونسق اللغة، والحكمة الرائعة وكأن اللغة تكاشف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرارها فسبحان الله العلى العظيم الذى حوت هامته

---

(١) سورة طه الآية ١١٤.

حكمة النبوة وفهم المرسلين وحفظ الأولين والآخرين وتبصير الوحى وتأديب الله عز وجل، وبالحكمة الراضية والالهام المبين.

٧- كما يوجد فى الوصف الرصف الجميل والوصل البديع وحسن التقسيم، والترتيب الصحيح، والعظة والعبرة والتحدى فى الخلق مثل التنزيل.

٨- وفى الحديث التجسيم البديع والتجسيد العجيب والنور المبين مع جمال الإسناد، والخبر والدلالة، واستعمال الألفاظ فى الأوصاف القليلة والمعانى الكثيرة والميزات التى تبهر العقول وفى جماله صلى الله عليه وسلم- وبهائه وضيائه ونقائه وصفائه وجلاله، وكماله، وقوته، وبأسه، وتواضعه الشديد، ومكانته السامية العالية التى لايصل إليها واصل ولا يبلغها لاحق.

فهما كتبت القلوب وهامت وتمنيت لن يصل واصل إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولن يفيه حقه فى الوصف أحد من البشر فلا يعلم قدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.غير الله عز وجل

وأسأل الله العلى القدير حبًّا فى الذات العلية، وفى خير المرسلين وفى أهلى الله وفى آل بيت رسول الله أجميعن أن يكون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم شفيعنا يوم الدين وأن يبلغنا الله سبحانه به صلى الله عليه وسلم- التمتع بلذة النظر إلى وجهة الكريم آمين. فإن وفقت فمن الله سبحانه وببركة إمام الأنبياء والمرسلين حبيب رب العالمين، وإن قصرت فمن نفسى وأسأل الله سبحانه وتعالى المغفرة والسماح وأصلى واسلم على الهادى الأمين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الغر الميامين المحجلين وأصحابه الهادين المهتدين وأتباعه ومن سار على هدية إلى يوم الدين والله أسال أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

أ.م.د/ منى محمد على عيد

أستاذ مساعد بكلية الدراسات

الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

أسماء المراجع

(١) إتحاف السادة المتقين- الدرامى الترمذى- مؤسس التاريخ العربى.

(٢) الإتقان فى علوم القرآ،- جلال الدين عبد الرحمن السيوطى: ط مصطفى الحلبى، ١٩٧٨م.

(٣) اثر النحاة فى البحث البلاغى، أ. د عبد القادر حسين ١٩٧٥م، الفجالة، القاهرة.

(٤) الأساليب البلاغية فى الأقوال النبوية فى كتاب إعجاز القرآن الكريم للبلاقلانى لأبو بكر محمد الطيب، بتحقيق الدكتورة فاطمة محمد المهدى.

(٥) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى- بتعليق المراغى: المكتبة التجارية بمصر.

(٦) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغى- للدكتورة إبتسام أحمد، مراجعة وتدقيق: أحمد عبد الله فرهود- دار القلم العربى بحلب: طبعة أولى ١٩٩٧م.

(٧) الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة- تصنيف محمد بن على بن محمد الجرجانى- بتحقيق أ.د عبد القادر حسين/ مكتبة الآداب ١٩٩٧م.

(٨) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى الشافعى.

(٩) إعجاز القرآن للرمانى: ضمن ثلاث رسائل، دار المعارف.

(١٠) أمتاع الأسماع بما للنبى (صلى الله عليه وسلم) من الأحوال والأموال والحفده والمتاع بتحقيق محمد عبد الحميد النميرى: دار الكتب العلمية.

(١١) البداية والنهاية لابن كثير/ طبعة بيروت.

(١٢) البردة للبوصيرى- دار القرآن للنشر والتوزيع بشرح شيخ الإسلام.

(١٣) بغية الإيضاح- عبد المتعال الصعيدى- المطبعة النموذجية.

(١٤) البلاغة أ.د محمد محمد أبو موسى ١٩٨٩م.

(١٥) البلاغة التطبيقية دراسة وتحليل لنصوص أدبية- د/ منى محمد على عيد ١٩٩٧م.

(١٦) البلاغة النبوية- د/ إخلاص فخرى عمارة- مكتبة الآداب ١٩٩٧م.

(١٧) البلاغة الواضحة دار المعارف، مصر.

(١٨) البيان والتبين- للجاحظ بتحقيق السندوبى.

(١٩) تاريخ الطبرى مؤسسة عز الدين ١٩٨٥م.

(٢٠) تاريخ نشأت البلاغة وعلم المعانى- أ.د هاشم محمد هاشم.، أ.د.م/ منى محمد على عيد، د/ فايزة عبد الحميد ٢٠٠٢: ٢٠٠٧.
(٢١) تحفة الآحوزى بشرح جامع الترمذى للإمام الحافظ أبى العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفورى، جـ١٠/ ١٩٦، دار الكتب العلمية.
(٢٢) التصوير الفنى للحديث النبوى- لمحمد الصياغ- المكتبة الإسلامية، طبعة أولى- ١٩٩٨م.
(٢٣) التعبير البيانى رؤية بلاغية نقدية- د. شفيع السيد، ط خامسة، مكتبة الآداب ٢٠٠٣م.
(٢٤) التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الكريم، أ. د هاشم محمد هاشم.
(٢٥) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلانى، ط: المكتبة العلمية المدينة المنورة.
(٢٦) الجنى الدانى فى حروف المعانى- الحسن بن قاسم المرادى بتحقيق د/ فخر الدين قباوة أ. محمد نديم فاضل، ط أولى ١٩٧٣م.
(٢٧) جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمى، توفيق حسن نجار محمد ١٩٩٩م.
(٢٨) حاشية الدسوق ضمن شروح التلخيص ، ط الحلبى.
(٢٩) الحديث النبوى الشريف من الوجهة البلاغية، د/ عز الدين على السيد (بدون).
(٣٠) الحضرة المباركة للعارف بالله عبد المقصود محمد سالم، ١٩٨٢م.
(٣١) خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم للإمام محمد ابو زهرة. دار الفكر العربى.
(٣٢) خصائص التراكيب/أبو موسى مكتبة وهبة.
(٣٣) الخصائص الكبرى الكبرى للسيوطى (بدون).
(٣٤) دفاع عن البلاغة.
(٣٥) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانى- ط رشيد رضا، ط المرغى.
(٣٦) ديوان شوقى، د أحمد الحوفى، دار النهضة ١٩٨٠م.
(٣٧) الرسالة المحمدية، للسيد سليمان الندوى، (بدون).
(٣٨) الرؤية الفنية لظاهرة الصمت عند البشر د/ سرى الشريف، ١٩٩٩م.
(٣٩) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى- للألوسى، دار إحياء التراث العربى ١٣٥٣هـ.
(٤٠) زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، دار الرسالة لابن نعيم.

(٤١) سبيل الوصول بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم، د محمد سليمان فرج، مكتبة النجاح، طرابلس.
(٤٢) السدرة فى الأحاديث المشتهرة، دار الكتب العلمية.
(٤٣) سنن ابن ماجه، حقق نصوصه ورقم كتبه وأحاديثه وعلم عليه محمد فؤاد عبد الباقى، المكتبة العلمية بيروت لبنان.
(٤٤) سنن أبو داود ، ط مصطفى الحلبى.
(٤٥) سنن الترمذى، ط مصطفى الحلبى.
(٤٦) سير أعلام النبلاء للذهبى، مؤسسة الرسالة.
(٤٧) سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، جمع وترتيب محمود المصرى أبو عمار، مكتبة الصفا، ٢٠٠٥م.
(٤٨) السيرة النبوية الخشعمى واسحاق بن راهوية (بدون).
(٤٩) السيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هشام بتحقيق محمد فهمى السحباتى، وخيرى سعيد، المكتبة التوفيقية ، ٢٠٠٣م.
(٥٠) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ط، بيروت.
(٥١) شذى العرف فى فن الصرف، للأستاذ الشيخ/ أحمد الحملاوى، مؤسسة المعرفة للنشر والتوزيع.
(٥٢) شرح الديوان لأبو العتاهية، ط: أولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
(٥٣) شرح صحيح مسلم، الإمام، أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى بتحقق- هانى الحاج وعماد ذكى البارودى- المكتبة التوفيقية.
(٥٤) شروح التلخيص، طبع حلبى.
(٥٥) الشفاء فى بديع الاكتفاء لشمس الدين النواصى، تحقيق ومراجعة.
(٥٦) شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائلة وخصائصه، للإمام الحافظ بن كثير بدون، مطبعة حسان، طبعة أولى، ١٩٨٢م.
(٥٧) صحيح البخارى، ألفه الإمام الشيخ الحافظ البخارى بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة- بتحقيق- طه عبد الرؤوف سعد.
(٥٨) صحيح الترمذى، ط: مصطفى الحلبى.
(٥٩) صفوة الصفوة لابن الجوزى، ط: مطبعة الوعى بحلب.

(٦٠) الصناعتين لأبو هلال العسكرى، بتحقيق البجاوى وأبى الفضل، ط: أولى ١٩٥٢م.
(٦١) الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للطوى، ١٩٤٠م، ط: مطبعة المقتطف، ط: بيروت.
(٦٢) عظمة الإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة، محمد محمد عامر تقديم السيد حسن منصور شعبان (بدون).
(٦٣) عمدة القارى شرح (صحيح البخارى)، للإمام العلامة مدير أبى محمد محمود بن أحمد العينى، ط: أولى ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م، ط م مصطفى.
(٦٤) الفاصلة القرآنية، د/ عبد الفتاح لشين، طابعة ١٩٨٢م.
(٦٥) فقه السنة على المذاهب الأربعة كتاب الشعب (بدون).
(٦٦) فقه السيرة- د/ محمد سعيد رمضان البيوطى، طبعة سابعة ١٩٧٨م.
(٦٧) فن البلاغة- د. عبد القادر حسين، مؤسسة الرسالة.
(٦٨) كتاب قرة العيون على الجوهر المكنون منظومة للإمام العارف بالله الأخضرى بشرح الإمام على بن على العزى بتحقيق منى محمد على عيد رسالة دكتوراه ١٩٩٠م.
(٦٩) الكتاب لسيبوية طبع الأميران ١٣١٦هـ.
(٧٠) كشف الخفاء ومزيد الألباس فيها اشتهر على ألسنة الناس العجلونى.
(٧١) كشف المعانى فى المتشابه المثانى للإمام بن جماعة بتحقيق منى محمد على عيد، رسالة ماجستير ١٩٨٧م .
(٧٢) كنز العمال فى سنة الأقوال والأفعال ، طبع مؤسسة الرسالة.
(٧٣) اللطائف السنية فى مولد ومديح خير البرية.
(٧٤) لباب البيان- د.محمد حسن شرشر- دار الطباعة المحمدية، ١٩٨٧م.
(٧٥) المثل السائر فى أدب الشاعر للكاتب ضياء الدين أبن الأثير، قدمه وعلق عليه (د/ الحوفى- د: بدوى طبانه) دار نهضة مصر الفجالة القاهرة.
(٧٦) مجلة الأزهر الشريف مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٨٨م.
(٧٧) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهج ورسالة بحث وتحقيق "محمد الصادق إبراهيم"، دار القلم دمشق، ١٩٩٥م.
(٧٨) محمد (صلى الله عليه وسلم)- لتوفيق الحكيم- المطبعة النموذجية.

(٧٩) مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى، ترتيب محمود خاطر، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٦م.
(٨٠) مذكرات اللورد كرومر والاتجاهات الوطنية فى الأدب الحرية، د/محمد محمد حسين.
(٨١) مُشكلات القرآن دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت: لبنان.
(٨٢) مطول على التخليص- لسعد الدين التفتزانى، مطبعة أحمد كامل.
(٨٣) معانى التراكيب- د/ عبد الفتاح لاشين- ١٩٨٣م.
(٨٤) معجزات النبى صلى الله عليه وسلم، للإمام الحافظ عماد الدين أبى الفدى بن كثير، مكتبة الصف ٢٠٠٦م.
(٨٥) المعجم المفصل فى علوم البلاغة، د/ أنعام دار الكتب العلمية، ط: أولى ١٩٩٢م.
(٨٦) المعجم الوجيز- مجمع اللغة العربية- طابعة خاصة لوزارة التربية والتعليم، ٢٠٠٥، ١٤٢٦هـ.
(٨٧) المعجم الوسيط.
(٨٨) الموسوعة الذهبية فى إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية الدكتور/ أحمد مصطفى، ط/ أولى داربن الجوزى.
(٨٩) مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى بتحقيق محمد مجد الدين عبد الحميد، ط. المدنى عيسى الباب الحلبى.
(٩٠) من أوصاف النبى صلى الله عليه وسلم- للترمزى، بتحقيق وتعليق سميح عباس- دار الجيل بيروت- ١٩٨٧- طابعة ثانية.
(٩١) المنهج الواضح.
(٩٢) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص لابن يعقوب المغربى، ط: عيسى البانى الحلبى.
(٩٣) الموطأ للإمام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس، تحقيق حامد أحمد الطاهر وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى، دار أحياء الكتب عيسى البابى الحلبى.
(٩٤) النبأ العظيم لمحمد عبد الله دران، ط: السعادة بمصر.
(٩٥) نبى البر محمد صلى الله عليه وسلم- كتاب الشعب: ط: ثالثة.

(٩٦) نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر للإمام الحافظ بن حجر العسقلانى.
(٩٧) نظريات فى علم البديع أ. د هاشم محمد هاشم أ. د منى محمد على، أ. د فايزة عبد الحميد(بدون).
(٩٨) نهج البلاغة للإمام على كرم الله وجهه فى مقدمة شرح نهج البلاغة لكمال الدين ميثم تحقيق، د/ عبد القادر حسين، ١٩٨٧، دار الشروق.
(٩٩) هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب- لأبو بكر جابر الجزائرى- مكتبة الإيمان- طبعة ثانية- ٢٠٠٦م.
(١٠٠) الهوامل والشوامل لأحمد أمين- ١٩٥١م.
(١٠١) وفيات الأعيان لابن خلكان- الطبعة الميمانية.